



كتاب محمد - صلى الله عليه وسلم - في مكة
دراسة نقد وتحليل

رئيف رفعت حلمي عكييلة

ماجستير في الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية

٢٠١٩ / ١٤٤٠ هـ

كتاب محمد - صلى الله عليه وسلم - في مكة
دراسة نقد وتحليل

رئيف رفعت حلمي عكيمة
MDW123AT076

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية

المشرف:

الأستاذ المشارك الدكتور / عبدالله شاعر محمد الجنيدي

شعبان ١٤٤٠ هـ / أبريل ٢٠١٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاعتماد

تم اعتماد بحث الطالب: رثيف رفعت حلمي عكيلة

من الآتية أسماؤهم:

The thesis of **Raeaf Refaat Helmi Akkila** has been approved
By the following:

المشرف

الاسم: الأستاذ المشارك الدكتور/ عبدالله شاعر محمد الجنيدى

التوقيع:

المشرف على التعديلات

الاسم: الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد البيومى

التوقيع:

رئيس القسم

الاسم:

التوقيع:

عميد الكلية

الاسم:

التوقيع:

عمادة الدراسات العليا

الاسم:

التوقيع:

التحكيم

التوقيع	الاسم	عضو لجنة المناقشة
	الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي الطنطاوي	رئيس الجلسة
	الأستاذ الدكتور/ محمود محمد رسلان	المناقش الخارجي
	الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد البيومي	المناقش الداخلي
	الأستاذ المشارك الدكتور/ عبدالناصر خضر ميلاد	ممثل الكلية

إقرار

أقر بأن هذا البحث من عملي وجهدي إلا ما كان من المراجع التي أشرت إليها، وأقر بأن هذا البحث بكامله ما قدم من قبل، ولم يقدم للحصول على أي درجة علمية أي جامعة، أو مؤسسة تربوية أو تعليمية أخرى.

اسم الباحث: رثيف رفعت حلمي عكيلة

التوقيع:

التاريخ:

DECLARATION

I acknowledge that this research is my own work except the resources mentioned in the references and I acknowledge that this research was not presented as a whole before to obtain any degree from any university, educational or other institutions

Name of student: **Raeaf refaat Helmi Akkila**

Signature:

Date:

حقوق الطبع

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات لمشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٩ م © محفوظة

رئيس رفعت حلمي عكييلة

كتاب محمد - صلى الله عليه وسلم - في مكة - دراسة نقد وتحليل

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب موقع من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
- ٢- يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليمية، لا لأغراض تجارية أو تسويقية.
- ٣- يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور؛ إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار:

الاسم: رئيس رفعت حلمي عكييلة

التوقيع:

التاريخ:

شكر وتقدير

بعد حمد الله تعالى وشكره، وإقرار بتوفيقه وامتنانه، أتقدم بالشكر الجزيل لكل من كان سببا في هذا البحث وأبدأ بسبب وجودي في الوجود، والأخص بالذكر منها ما من غاب عن ناظري، ولم يغيب عن خاطري ألا وهو والدي رحمه الله تعالى، لأنه كان السبب في توجهي للعلم الشرعي، وأثنى بمن حملت همي صغيرا وكبيرا أُمى الحنون فجزاهما الله تعالى عنى خير الجزاء في الدارين.

ثم الشكر لمن كان سببا لهذا البحث، جامعة المدينة العالمية، حيث فتحت لي بابا لإتمام دراسة العلم الشرعي، وأخص بذلك الإدارة والعاملين بها، والدكتور / محمد البساطي الذى اختار موضوع هذا البحث، والدكتور / عبدالله حسين شاكر المشرف على البحث حتى الإنتهاء منه، ولكل من ساهم ولو باليسير في ظهور هذا البحث .

وأرجع التقصير في هذا البحث لقلة أدواتى وضعف همتي، أسأل الله تعالى أن يعيننى على طاعته، وأن يوفقنى لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه مولى ذلك والقادر.

ملخص البحث

في هذا البحث أعرض لقضية الإستشراق والمستشرقين من خلال دراسة تحليل ونقد لكتاب أحد المستشرقين، وهو مونتجمري وات، وكتابه محمد ﷺ في مكة، لإلقاء الضوء على الشبهات والإفتراءات التي تعرضت لها هذه السيرة العطرة وفروعها من كتاب وسنة وصحابة كرام، وفي جميع ما سبق تناولت وجهات نظر الكاتب ما وافق فيها الشرع، وما خالفه، مدعماً ذلك بالأدلة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ، وأقوال الثقات من الأئمة الأعلام، بل وبأقوال المنصفين من ملة الكاتب نفسه، إضافة لإظهار تناقضات الكاتب في طيات كتابه، وإبرازها مع الرد عليها بنفس المنهج .

Abstract

Summary of the research: In this research I applying oneself to the author of the book, "Muhammad " in Mecca, in the first chapter I provided a definition and his stature for Muslims and non-Muslims, then I disclaim with the book and its scientific value. In the second chapter, I inquisition the opinion of the author about the Prophet's invitation and his apostolate, in terms of Islam as religion, revelation and the Great Qur'an. In the third chapter I gathered what the writer gave him the light of our Prophet before the mission, and his opinion in the prophethood of the Prophet and invitation for Quraish, and then stabbed by the Messenger of God. In the fourth and last chapter, I compute the historical opinions of Watt regarding the distinguished companions groups and individual, his opinions on the persecution of Muslims and the reasons for emigration to Abyssinia, and closure the research with his opinions about Arabs and Quraysh. In all of the above, the opinions of the writer dealt with what he agreed to the sacred law of islam, and what he disobey it, supported by evidence from the Great Qur'an book of God and the route of his prophet Muhammad, and the words of the trustworthy luminaries imams, and even the catchwords of the fair minded of the writer religion himself..

فهرس المحتويات

أ	صفحة العنوان
ب	البسمة
ج	الإعتماد
د	التحكيم
هـ	إقرار
و	DECLARATION
ز	حقوق الطبع
ح	شكر وتقدير
ي	ABSTRACT
ب	الفهرس
١	المقدمة
٢	خلفية البحث
٦	مشكلة البحث
٦	أهداف البحث
٧	أهمية البحث
١٢	مصطلحات البحث
١٢	أسئلة البحث
١٢	هيكل البحث
١٤	الفصل الأول:
١٤	التعريف بالكاتب: وليام مونجمري وات وكتابه محمد ﷺ في مكة
١٥	المبحث الأول: التعريف بالكاتب: وليام مونجمري وات
١٥	* المطلب الأول: مولده:
١٥	* المطلب الثاني: نشاطه الأكاديمي:
١٥	* المطلب الثالث: المناصب التي تولاهها:

١٦.....	* المطلب الرابع: مؤلفاته:
١٨.....	* المطلب الخامس: قيمة وات العلمية عند الباحثين المسلمين.
٢٠.....	* المطلب السادس: قيمة وات عند المستشرقين:
٢٢.....	المبحث الثاني: التعريف بالكتاب، وقيمه العلمية.
٢٥.....	* منهج وات في كتابه:
٢٩.....	الفصل الثاني: آراء وات حول الدعوة والإسلام:
٣٠.....	المبحث الأول: الإسلام.
٥٢.....	المبحث الثاني: الوحي.
٦٩.....	المبحث الثالث: القرآن الكريم:
٨٩.....	المبحث الرابع: الطعن المبطن لكل من تتعلق به السيرة.
٩٤.....	علماء الحديث ورواته:
٩٩.....	المؤرخين:
٩٨.....	المفسرين:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
١٠٧.....	الفصل الثالث: شخصية الرسول الكريم ﷺ.
١٠٨.....	المبحث الأول: رسول الله ﷺ:
١٠٩.....	* وات وما قبل البعثة النبوية الشريفة:
١١٠.....	* وات ونبوة محمد ﷺ:
١٢٥.....	* رسول الله ﷺ ومدح وات له:
١٥٠.....	الفصل الرابع: الآراء التاريخية لوات:
١٥١.....	المبحث الأول: الصحابة الكرام ﷺ وأرضاهم.
١٦٠.....	أبو بكر الصديق ﷺ:
١٦٤.....	آل البيت الكرام: "حمزة والعباس ابني عبدالمطلب، وجعفر ابن أبي طالب ﷺ":
١٦٨.....	أما خديجة الكبرى ﷺ:
١٧٢.....	عثمان بن عفان ﷺ:
١٧٣.....	خالد بن سعيد ﷺ:

١٧٥.....	نعيم بن عبدالله النحام <small>رضي الله عنه</small> :
١٧٧.....	عثمان بن مظعون <small>رضي الله عنه</small> :
١٨١.....	* الإضطهاد عند وات:
١٨٥.....	* الهجرة إلى الحبشة:
١٩١.....	المبحث الرابع: العرب وقريش.
٢٠٨.....	الخاتمة:
٢١١.....	* التوصيات:
٢١٣.....	المراجع.

* المقدمة:

نحمده ونصلى على رسوله الكريم ﷺ، كان اختيار كتاب وات محمد ﷺ في مكة سببا لاطلاعي على كثير من الأمور التي خفيت عنى كمسلم وكطالب علم، وما قيل وما يقال عن هذه الدعوة المباركة من قبل المستشرقين، فكان نقد وتحليل الكتاب بعد الاستعانة بالله، فحصلت على ترجمة للكتاب، وشرعت بنقده وتحليله وذلك من خلال أربعة فصول، أولها كان للتعريف بالكاتب والكتاب، فترجمت له مبرزا لقيمته العلمية عند المسلمين وغيرهم، ثم عرجت لذكر الكتاب وقيمه العلمية، أما الفصل الثاني فعرضت لآراء الكاتب حول الدعوة والرسالة، ففصلت القول في آرائه في الإسلام والوحي والقرآن، وطعنه بالسيرة ومن تتعلق به السيرة، أما الفصل الثالث، فكان لشخصية النبي الكريم ﷺ خلال مراحل الدعوة قبل وبعد البعثة، والطعون به ﷺ، وختمت البحث في الفصل الرابع بآراء الكاتب التاريخية في الصحابة رضي الله عنهم ومسألة اضطهاد قريش للمسلمين في مكة، وهجرتهم إلى الحبشة أيضا، وفي المبحث الأخير عرجت على نظرة الكاتب للعرب وقريش ورأيه فيهما، واجتهدت قدر المستطاع الإنصاف في نقد وتحليل ما تم ذكره آنفا.

* خلفية البحث:

في جزيرة العرب، وتحديدًا في مكة المكرمة، ومنذ أن بزغ فجر الدعوة الإسلامية، وهذه الدعوة المباركة لم تسلم من حرب شعواء عليها لا هوادة فيها.

وعلى الرغم من اختلاف الزمان والمكان إلا أن طبيعة هذه الحرب تغير زمانها وتغير مكانها وأشخاصها أيضًا، إلا أن أساليبها ومبادئها لم تتغير، فالتاريخ يعيد نفسه.

ففي ذلك الزمان بدأ الهجوم على هذا النبي الخاتم ﷺ بداية من أقرب المقربين لصاحب هذه الدعوة ﷺ، مرورًا بمن جاوره من القرى والمدن حول مكة المكرمة زادها الله تشريفًا، وانتهاءً بمن كان بعيدًا كفارس والروم الذين عادوه وجيشوا الجيوش ضد دعوته المباركة.

هذه كانت الصورة قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، وفي هذا الزمان لا زالت هذه الدعوة المباركة على الرغم من انتشارها، وسطوع حقها على أرجاء المعمورة، إلا أن هناك خصومًا أشداء لها.

سواء كانوا ممن هم من بني جلدتنا والله المستعان، ممن تبني فكر أعداء الإسلام وتأثر بهم، أو ممن خالف هذه الدعوة في الاعتقاد من اليهود والنصارى والملحدين والعلمانيين، فكان منهم مستشرقون ومنصرون واستعماريون وغيرهم... الخ.

فالفريقان على حد سواء استخدموا خيلهم وركابهم للهجوم على هذه الدعوة المباركة، ولكن الله تعالى تكفل بحفظ دينه ونصرة نبيه ﷺ.

وقيض ربنا ﷻ من ينافح ويدافع عن هذه الدعوة المباركة والرسالة السامية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وتنوع المدافعون عن هذا الدين، فمنهم من لا ينتسب لهذا الدين ودافع عنه، كأبي طالب وأبي البختري^(١) وغيرهم.

(١) أبو طالب : (540م - 619 م) هو عبد مناف بن عبد المطلب الهاشمي القرشي الكناني ، يُكْتَبُ بأبي طالب ، وهو عم النبي محمد ﷺ وكافله ، ووالد رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب ﷺ ، أبو البختري : هو العاص بن هشام ، وقيل هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي . من زعماء قريش في الجاهلية. كان من الذين نقضوا الصحيفة التي قاطع بها مشركو مكة بني هاشم والمسلمين. ولم يكن من الذين يؤذون النبي محمد ﷺ ، بل كان يكف الناس عنه أول أمر الدعوة. والده هو ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ .

ومنهم ممن انتسب لهذا الدين من الصحابة الكرام ﷺ والتابعين رحمهم الله، وحصر هذا لا طاقة لأحد به.

بل كان ممن دافع عن هذا الدين ما هو خارج عن نطاق المؤلف كنزول الملائكة في بدر، وكما في حادثة نقض الصحيفة^(١) في مكة زادها الله تشريفاً.
وما هذا البحث إلا ضمن سلسلة الذب عن هذا الدين الحنيف، وعن صاحب الرسالة ﷺ.

حضر مع المشركين موقعة بدر في العام الثاني للهجرة (٦٢٤م)، ونهى النبي محمد ﷺ عن قتله، إلا أن الصحابي المجذر بن زياد البلوي قتله، ثم اعتذر إلى النبي فقال: "والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبي إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته"، إذ أنه حين التقى به في ميدان المعركة قال زياد: "إن رسول الله ﷺ قد نمانا عن قتلك"، فقال أبو البختري: "وزميلي" (يعني زميله جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد الليثي الذي خرج معه من مكة)، فقال المجذر: "لا والله، ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك"، فقال أبو البختري: "لا والله، إذن لأموتن أنا وهو جميعاً، لا تتحدث عني نساء مكة، أي تركت زميلي حرصاً على الحياة". أسلم ابنه الأسود بن أبي البختري. سيرة ابن هشام.

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، ج: ٧، ص: ٥٨٩، برقم: ٣٨٨٢.

* مشكلة البحث:

في الشأن الأكاديمي، تكمن مشكلة الدراسة في أن هذه النوعية من المستشرقين قد نجحت ولعقود من السنين في رسم صورة عن نفسها بدت بالحيادية والمنصفة من خلال الإنصاف الجزئي لبعض القضايا^(١).

فمن الصعب على معظم المستشرقين النصارى المشتغلين بدراسة الإسلام "وأكثرهم متدينون" أن ينسوا أنهم يدرسون ديناً ينكر عقائد أساسية في النصرانية ويهاجمها ويفندها، مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء.

كما أنه من الصعب عليهم أيضاً أن الدين الإسلامي قد قضى على النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها^(٢)، فهذا هو السبب الرئيسي لتعصبهم ضد الإسلام. ومن الملاحظ أن هناك فروقات في المنطلقات بين الاستشراق والتنصير وإن اتفقت الغايات العليا لهاتين الوجهتين.

فالمنصر داعية للدين النصراني "المسيحي"، أو هو داعية لخروج المسلم عن دينه فحسب، أما المستشرق... فهو باحث في تراث المسلمين وقيمهم ومفاهيمهم وأخلاقياتهم يث نتائجه في دراساته وبحوثه وكتبه ومحاضراته.

(والمنصر نسبياً... صريح في دعوته، واضح فيها، وإن حاول إخفاءها تحت ستار الخدمة الإنسانية، لكنه لا يتردد في أن يعلق الصليب على صدره أو في مكتبته أو عيادته أو معمله أو مدرسته. أما المستشرق فباطني... يتظاهر بالعلمية والمنهجية والتجرد والموضوعية، وإن كان من القساوسة الرهبان، ويحاول الوصول إلى أغراضه الباطنة ممتطياً صهوة العلم والتجرد.

وقد وفق بعضهم دون شك في إشعار بعض "الآخرين بهذا" فانقاد له بعضهم، وتنبه له الآخرون

(١) أمجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونجرمي وات أمودجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص: ٥١، نقلاً عن: زقروق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص: ٨٧، نقلاً عن اللبان ص: ٣٤، ومسألة قضاء الإسلام على النصرانية، لعل المراد بها ليس القضاء عليها بالكامل، وإنما حل محل الدين الغالب، كما في كثير من البلدان كمصر وسوريا مثلاً.

فأخذوا منه وردوا، وكان ما ردوه أكثر مما أخذوه منه^(١).

ومع شيء من التجوز أقول "شبهات المستشرقين"، والحق أنها في أغلب الأحيان "مفتريات وتشكيكات" يقصدون إلى إثارتها قصدا ابتغاء الفتنة، لا طلبا للمعرفة أو الهدى.

وهذه المفتريات معظمها قال به أكثر من واحد، قال تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^(٢).
ومن ينطبق عليه ذلك، المستشرق "وات" فالمشكلة الرئيسية في هذا المستشرق ما اشتهر عنه أو ما يوصف به من حياديته وإنصافه، الأمر الذي دفع البعض لقبول العديد من الآراء والتوجهات التي يلقي بها في طيات كتابه.

وهو بذلك ينفذ من خلال هذه الآراء للطعن في أساس عقيدة المسلم وتوحيده، وتقرير قناعات ومفاهيم خطيرة معادية للإسلام، فلم يسلم منه رسول ولا وحي ولا صحابي ولا كتاب ولا مؤرخ.
لذا سأعمل مستعينا بالله تعالى، ومن خلال تقليب صفحات هذا الكتاب على مناقشة آرائه وتوجهاته في العديد من النقاط، ومنها على سبيل المثال:

- هل كان منهجه علميا بحتا أم لا؟
 - المصادر التي اعتمد عليها وات في هذا الكتاب.
 - الرد على الشبهات التي يلقي بها من خلال دس السم في العسل.
 - آراء الكاتب بنوعها: ما يتفق فيه مع المسلمين... وما يخالفهم فيه.
- وبداية كان توفر الكتب الخاصة بموضوع البحث عقبة، وذلك لندرتها رغم انتشارها عبر المواقع الإلكترونية.

وقمت بزيارة العديد من المكتبات، وحضرت معارض للكتب، ولم أوفق في الحصول على مرادي.
وبناء عليه وسعت نطاق البحث خارج دولة الإمارات، فقامت بالتواصل مع بعض الأخوة في المملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، والمملكة الأردنية الهاشمية، وتونس أيضا، وما ذلك إلا بتوفيق من الله تعالى.

(١) أمجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتائبون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونترجمري وات
أمودجا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٢، نقلًا
عن النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص: ٨٥٢.

(٢) سورة الذاريات - الآية: ٥٣.

أضف إلى ذلك زيارة بعض مواقع الكتب الإلكترونية، كجملون والنيل والفرات، وكانت خاتمة هذه الرحلة المكتبة العامة لمدينة الشارقة، والمكاتب العامة لمدينة دبي بفروعها، كفرع رأس الخور، والراشدية وهور العنز، وغيرها الكثير، والتي أسعفتني كثيرا في هذا البحث.

أضف إلى ذلك عقبة وجود ترجمتين لهذا الكتاب، ترجمة للدكتور عبدالله عبدالرحمن الشيخ، وأخرى لشعبان بركات، جزاهما الله خير الجزاء، وهما الترجمتان اللتان رجح لها الباحثون خلال دراسة هذا الكتاب وتحليله ونقده.

وكان لاختلاف ألفاظ كل مترجم، وإن اتفقا في المعنى العام، صعوبة للربط بين الترجمتين وبالتالي الربط بين الأبحاث الأخرى المتعلقة بالكتاب، ولعل هذا هو سبب وجود بعض الفجوات في ثنايا البحث، عند التخريج.

فعند الإحالة لكتاب محمد ﷺ في مكة على إطلاقه، فالمراد به الكتاب المترجم من قبل الدكتور عبد الله الشيخ، وإلا ذكرت أن النص المذكور من ترجمة شعبان بركات، نفعنا الله بعلمهما. وفي بعض الأحيان، كنت أورد النص الآخر، إن احتاج المقام لإيراده، وإلا اكتفيت بالإحالة لرقم الصفحة.

* أهداف البحث:

مما لاشك فيه أن جهودنا مهما بلغت ذروتها، واتسمت بالمصداقية والموضوعية في الذب عن هذا الدين وصاحب دعوته ﷺ، فهي لا تذكر، لأنها جهد بشر.

وربنا تبارك وتعالى قد تكفل بحفظ دينه حيث لم يقبل بدين إلا هو ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، وتكفل بحفظ كتابه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)، وتكفل سبحانه بحفظ نبيه ﷺ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣).

وقد أظهر الله تعالى نصره دينه بطرق شتى، منها ما كان من أتباع نبيه ﷺ من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) سورة آل عمران - الآية: ١٩.

(٢) سورة الحجر - الآية: ٩.

(٣) سورة المائدة - الآية: ٦٧.

ومنها مما سخره الله تعالى جنودا من سوى البشر للدفاع عن هذا الدين وأتباعه فقدرته تعالى مطلقة ﴿وَمَا يَلْمُزُوكُمْ رَبُّكَ إِلَّا هُورًا﴾^(١) كالملائكة وجبريل عليه السلام بل وحتى من الدواب والبهائم والحشرات كما في حادثة نقض الصحيفة^(٢).

ومنها ما كان ممن دافع وناجح عن هذا الدين، وإن لم ينتسب لهذا الدين، سواء في عهد النبي ﷺ كأمثال أبي طالب والمطعم بن عدي^(٣) وأبي البخري.

أو في زماننا المعاصر من اليهود والنصارى من المستشرقين والمثقفين، وهذا من باب تسخير الله تعالى لعباده مسلمهم وكافرهم للذب عن هذا الدين الحنيف.

وما هذا البحث إلا نقطة في بحور الذب عن ديننا الحنيف، جند الله تعالى كل قطرة فيها للدفاع عن دينة وعن نبيه ﷺ.

وحسبي أن يتقبل الله تعالى هذا العمل المتواضع، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، إنه مولى ذلك والقادر عليه.

* أهمية البحث:

أهمية هذا البحث تكمن في مناقشة رجل له مكانته العلمية بين المستشرقين، ولا أدل على ذلك من ترجمة كتبه للغة العربية، ومناقشة العديد من الباحثين لكتاباتة، والذي يعد هذا البحث أيضا واحدا منها.

فها هنا رجل من المستشرقين ليس كغيره، فهو قسيس ابن قسيس وتلمذ على يد قسيس

(١) سورة المدثر - الآية: ٣١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج: ٧، ص: ٥٨٩، برقم: ٣٨٨٢.

(٣) (المطعم بن عدي بن نوفل، كان شريفاً ذا صيت في قريش، وكان حسن البلاء في أمر الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم، وفيه يقول أبو طالب بن عبد المطلب:

أُطْعِمُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ حُطَّةً *** وَإِنِّي مَتَى أَوْكَلْتُ فَلَسْتُ بَوَائِلِ

ومدحه حسان بن ثابت لهذا الشأن، فقال:

فلو أنّ مجداً خلد الدهر واحداً *** من الناس أبقى مجده اليوم مطعماً ...

الاشتقاق لابن دريد، اشتقاق أسماء رجال بني عبد شمس، ج: ١، ص: ٨٨، مات المطعم بن عدي بعد هجرة النبي ﷺ بسنة وهو يومئذ ابن تسع وتسعين، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ج: ١، ص: ٩٥.

مستشرق أيضا.

وهذا المستشرق يدعى بأنه يلتزم الحيادية والإنصاف واتباع المنهج العلمي من خلال سرده للمواضيع التي يطرحها، مما جعل لأفكاره وآرائه قبولا لدى بعض المسلمين المتشككين في دينهم. ومما لا شك فيه أنه التزم بهذه المسألة في بعض الأمور، لكن المتتبع لموضوعاته يلمس أن هذا من باب التخدير لبت أفكار وتوجهات معينة. وإجمالاً... فهذا المستشرق وغيره، وهذه الدراسة وغيرها، لن تكون الأولى وليست هي الأخيرة كذلك.

لأن الله تعالى فصل في هذه المسألة قبل أربعة عشر قرناً، فقال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(١).

لذا... سأعمل على ربط الادعاءات التي أثيرت في زمن النبي ﷺ من قبل مشركي مكة واليهود، وادعاءات المستشرقين أمثال "وات" في العصر الحاضر.

وبما أن الكفر ملة واحدة، فلا عجب أن ترى بعض المستشرقين ينادوا بما نادى به مشركوا مكة قبل أربعة عشر قرناً.

إذ أن الهدف واحد، والسياسة المتفق عليها واحدة أيضاً، ألا وهي تشويه صورة الإسلام، وذلك من خلال التعرف على الشبهات لاستغلالها.

(كما أن هؤلاء المستشرقين لهم علاقة بصنع القرار السياسي المتعلق بالأماكن أو المجالات التي تخصصوا بها، ليسهموا في تأييد آلة الشر الاستعمارية.

فعمدوا من خلال الاستشراق لإقناع الباحثين بالأخذ عنهم والثقة بهم والافتتان بما يقولون، وهو ما يؤدي لخطر الهزيمة النفسية الذي قد يؤدي بدوره إلى إضلال الأجيال القادمة وتحريف الواقع^(٢). كما عمدوا لبت الفرقة والفتنة بين المسلمين، من خلال إثارة الشبهات لتشكيكهم في دينهم، ومحاولة ردتهم عنه.

(١) سورة البقرة - الآية: ١٢٠.

(٢) أنظر، أجد فورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتائبون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات أمودجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية - ص ٥١، ٥٣.

ومن خلال دراستي لموضوع البحث، تنبعت إلى أن كثيرا من الطعن الموجه للنبي ﷺ، والصحابة الكرام ﷺ، كنا قد درسناه في المراحل الدراسية قبل الجامعة، ومن قبل أساتذتنا في تلك المراحل، وما ذاك إلا دليل على تغلغل مثل هذه الأفكار الخاطئة عن طريق المناهج الدراسية.

(ورد في كتاب "التنصير والمنصرين"، وهو كتاب يتحدث عن نشاط الجمعيات التنصيرية: "أن كرومر^(١) حين جاء إلى مصر ضيق على الهيئات التنصيرية فاشتكته هذه إلى الحكومة البريطانية. فأرسلت الحكومة البريطانية الشكوى إلى كرومر ليرد عليها، فجمع المنصرين وقال لهم: "هل تتصورون أن أقف في وجهكم أو أضيق عليكم؟

ولكنكم تقومون بأعمال استفزازية، فتخطفون الأطفال وتنصرونهم بالقوة وأحيانا تخطفون الكبار كذلك، فيستفز هذا مشاعر المسلمين فيتمسكون بدينهم أكثر. ولكنني اتفقت مع شاب تخرج حديثا في كلية اللاهوت بلندن، ليجيء إلى مصر ويضع سياسة تعليمية ستحقق لكم جميع أهدافكم، وكان يعنى دنلوب^(٢)"^(٣). فهذه سياسة أعداء هذا الدين على تنوع مسمياتهم، سمهم إن شئت مستعمرين أو منصرين أو مستشرقين، فالهدف واحد، وهو ضرب الإسلام في عقر داره.

وبعون الله تعالى سيتم إجراء دراسة تحليلية لمعلومات واستنتاجات بثها وات في كتابه هذا، وسيتم

(١) إفلين برينغ كرومر (١٨٤١م - ١٩١٧م) المندوب السامي في مصر، آثاره: مصر الحديثة، وقد نقله إلى العربية الأستاذ عبد العزيز عرابي "القاهرة ١٩٥٥م"، وعباس الثاني خديوي مصر، المرجع: نجيب العقيلي، المستشرقون، ج: ٢، ص: ٦٧ .
(٢) دوغلاس دنلوب، (١٨٦١م - ١٩٣٧م) هو معلم ومبشر اسكتلندي، وضع في مصر نظامًا تعليميًا لخدمة أهداف الاحتلال البريطاني، حصل دنلوب على درجة الماجستير في الآداب من جامعة غلاسكو سنة ١٨٨٣م، ثم الدكتوراه في القانون من نفس الجامعة سنة ١٨٩٨م، جاء دنلوب إلى مصر مبشرًا، فعينه اللورد كرومر مستشارًا لوزارة المعارف، فوضع نظامًا تعليميًا نُسب إليه في مصر أثناء الاحتلال الإنجليزي لها، وعدّه الوطنيون المصريون معرقلًا لتقدم البلاد في مجال التعليم. وقد أطيح بدنلوب بعد سنة ١٩٢٠م، في أعقاب ثورة ١٩١٩م، المرجع: ويكيبيديا.

(٣) أمل الشبتي، السيرة النبوية في كتابات الاستشراق البريطاني - دراسة تاريخية نقدية، رسالة ماجستير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، ص: ٣٧، نقلا عن: أنور الجندي، معالم التاريخ الإسلامي المعاصر، ص: ٣٣، محمد قطب، المستشرقون والإسلام ص: ٤٩، وفي الحاشية: " هذا الكتاب وقع في يد محمد قطب عندما أحضره صديق له وجده أثناء قيام أحد الأقباط في الصعيد بهدم منزله وإعادة بنائه، وعندما أراد الحصول عليه مرة أخرى لم يجده في المكتبات، فطلب من صديق له أن يحضره له من مكتبة المتحف البريطاني، فقبل له: إن هذا الكتاب من الكتب الممنوع إعارتها أو تصويرها، وترى الباحثة بأنهم ما منعوا تصويره إلا لأنه سيكشف تأمرهم على الإسلام وأهله -، نقلا عن: المنجد في الأعلام واللغة، ١٩٩٧م - ص: ٤٦٢، أحمد عطية الله: القاموس السياسي - ص: ٩٧١ - ٩٧٢. محمد قطب، المستشرقون والإسلام، ص: ٤٩.

تحليل ما كتبه من خلال دراسة علمية وفقا للمنهج العلمي في الرد على ذلك.
مع الأخذ بعين الاعتبار أن الكاتب ليس مسلما، لوضع منهج للرد عليه من خلال نقض
كلامه بظاهر الأدلة، وبيان تناقضات وقع فيها، وذكره لنقاط أوردها غيره موجهة ضد الإسلام، ويدعى
فيها الدفاع عن الإسلام، بينما المتمعن في ذلك، يرى إيرادها لها من باب التشكيك لا من باب الدفاع،
إضافة لإثبات عدم اتباعه لأسلوب المنهج العلمي في كتابه هذا.

وكنت قد كتبت مسودة في بداية بحثي ذكرت فيها بأن هذا البحث سيكون للرد على من ليس
بأهل للحديث والتأليف عن سيرة خير البشر، وأقصد بذلك "وليام مونتجمري وات".
وكان من التعليقات والتوجيهات التي وجهت لي أن قيل لي: ومن أنت حتى تتكلم عن وات؟
ما وزنك العلمي مقابل رجل له مؤلفات وكتب؟

واصلت كتابة بحثي رغم صحة كلام المعارض نوعا ما، فمن حيث الوزن العلمي فأنا ليس لي
حتى مقال واحد، فضلا أن تكون لي كتبا مؤلفة ومترجمة أيضا.

أما عن سبب مواصلي البحث رغم ذلك، فهو قناعتي بأربعة أمور:
الأول: إن كان لا يريد على أمثال وات إلا من هو بمنزلة العلمية، فما فائدة الرسائل العلمية في
الجامعات والكليات، وما أنا إلا واحد من هؤلاء.

الثاني: أنه إذا جاء الحق زهق الباطل ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١)، ولم تحدد الآية مكانة علمية لمن
جاء بالحق.

فمجرد مجيء الحق، "أسأل الله تعالى أن يجعلني من أهله"، كائنا من كان من جاء به، فسيجعله
الله تعالى سببا لزهوق الباطل مهما كان عظم هذا الباطل.

وكما هو معلوم بأن الصحراء المظلمة الشاسعة مترامية الأطراف، يكفيها شعلة صغيرة للإنارة
طاردة هذه الظلمة.

الثالث: أما من حيث بلوغ الحق، فهذا ليس من شأني، بل هو إلى المولى تبارك وتعالى فالواجب
علي الاجتهاد بإخلاص، وعلى الله تعالى التكلان.

قال ابن كثير رحمته الله: في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾^(٢) أَي نَادِ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ دَاعِيًا لَهُمْ

(١) سورة الإسراء - الآية: ٨١.

(٢) سورة الحج - الآية: ٢٢.

إِلَى الْحُجِّ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَمَرْنَاكَ بِبِنَائِهِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ قَالَ: " يَا رَبِّ كَيْفَ أُبَلِّغُ النَّاسَ وَصَوْتِي لَا يَنْفُذُهُمْ"، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: " نَادِ وَعَلَيْنَا الْبَلَاغُ " (١).

الرابع وهو الأهم: قال مالك رحمته الله: ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل (٢)، فإن وفقت لهذا العمل مخلصا لوجهه الكريم، فهي الغاية والمراد.

وقد سأل أستاذ في الدراسات الإنجليزية سؤالا للدكتور توفيق بن خلف الرفاعي خلال نقاش لهم حول الإسلام قائلا له: أي أحد سوف يتساءل: من أبو حامد (٣)؟

لكنهم لن يتساءلوا أبدا "من مونتجمري وات، أو جولد زيهر (٤)، أو لويس غارديه وأمثالهم"، حتى وإن كانت لك مؤلفات باللغة العربية وغيرها كما أعرف، فإنك غير معروف عندنا، لذا سوف تبقى كتبك غير معروفة عندنا وشخصك مجهولا.

فرد عليه أبو حامد: ليس مهما أن أعرف اليوم عند هؤلاء أو هؤلاء، المهم أن أقول الحق، والحق بذاته سوف ينتشر، وليس مهما أن ينسب لي هذا الحق أو ينسب لغيري، فالنتيجة: أن الحق بطبيعته غلاب لا محالة.

كما أن طبيعة الباطل زاهقة مهزومة حتى في نفوس أصحابها، وآية في القرآن تقرر هذه الحقيقة ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٥).

وأمر آخر: هو أن من حاول معرفة الحق بمعرفة الرجال، لم يصل إلى الحق فإن الرجال تعرف

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج: ٥، ص: ٣٦٤، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ج: ٥، ص: ٥١٢.

(٢) مقولة للإمام مالك رحمته الله حين قيل له بعدما ألف الموطأ: يوجد موطآت أخرى غير موطأك، فقال: ما كان لله دام واتصل، ذكرها ابن علان الشافعي في كتابه دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، فضل طلب العلم وتعليمه وأثر ذلك بعد الموت.

(٣) هي كنية الشيخ توفيق بن خلف الرفاعي، وهو من مواليد ١٩٥٥م، تخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٧٩م، حاصل على الماجستير من جامعة البنجاب .

(٤) إجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م): هو مستشرق يهودي مجري عُرف بنقده للإسلام وبجدية كتاباته، ومن محري دائرة المعارف الإسلامية، ولقد اشتهر بغزارة إنتاجه عن الإسلام حتى عد من أهم المستشرقين لكثرة إسهامه وتحقيقاته عن الإسلام ورجاله، متأثراً في كل ذلك ربما بيهوديته. يعتبر على نطاق واسع بين مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا. تلقى تعليمه في جامعة بودابست، برلين، لايدن بدعم وزير الثقافة هنغاري. أنظر الويكيبيديا نقلا عن الموسوعة العربية الميسرة. موسوعة شبكة المعرفة الريفية. ١٩٦٥، الزركلي، خير الدين - الأعلام (1980).

(٥) سورة الإسراء - الآية: ٨١.

بالحق (١).

لذا أعود لبيان أهمية هذا البحث، نافيا أي صفة لي، سوى أني عبد فقير لا حول لي ولا قوة، عرض علي أمر حول رسول الله ﷺ وسيرته العطرة وصحبه الكرام ﷺ، فيه ما لا حصر له من الافتراء والبهتان عليه ﷺ، فوجب علي إنكاره قدر استطاعتي (٢).

فمستعينا بالله، مع إقراي بضعف همتي، وقلة بضاعتي، وتقصيري في جنب الله ورسوله ﷺ شرعت في هذا البحث، راجيا المولى تبارك وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

* مصطلحات البحث:

من خلال تصفح أبواب هذا الكتاب، سيتم التطرق لبعض المصطلحات ومحاولة شرحها، ومن ذلك على سبيل المثال: القرآن، الوحي، العربي، البدوي.

* أسئلة البحث:

السؤال الأول: هل اتبع وات المنهج العلمي في كتابه؟

السؤال الثاني: ما هو موقف وات من: الوحي؟ القرآن الكريم؟ نبينا محمد ﷺ؟ الصحابة الكرام

ﷺ؟ علماء المسلمين ومؤرخيهم؟

السؤال الثالث: هل كانت مصادر وات كافية؟ وهل تم اختيارها بتجرد؟

السؤال الرابع: هل قام وات بتحليل بعض التشريعات الإسلامية، وبعض المواقف النبوية ومواقف

الصحابة الكرام ﷺ حسب المنهج العلمي الصحيح؟

(١) الرفاعي، لك القرار، ج: ٢، ص: ٨٣٧ - ٨٣٨.

(٢) امتثالاً لأمر النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَوْعَى الْإِيمَانِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ - كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، ج: ٢، ص: ١٩، رقم: ١٤٠، أحمد في مسنده، مسند أبو سعيد الخدري ﷺ، ج: ٣، ص: ٣٩٧، رقم: ١٠٩٢٠، أبي داود في سننه، باب الخطبة يوم العيد ج: ٣، ص: ٤٩١، رقم: ١١٤١، صحيح ابن حبان، ذكر وصف النهي عن المنكر إذا رآه، ج: ١، ص: ١٨٨، رقم: ٣٠٥.

* الدراسات السابقة :

- = أمجد قورشة، وسوسن هاكوز - المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه مونتجمري وات أتمودجًا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية (د. ط) الأردن - بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية - ٢٠١٤م.
- = نعمات محمد عبد الرحمن الجعفري - العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة (د. ط) الكويت - بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - ٢٠١٤م.
- = أمجاد الربابعة - مباحث في الإستشراق (د. ط) السعودية - جامعة الملك سعود ١٤٣٦هـ. هيا العتيبي - تقرير موجز عن المستشرق مونتجمري وات (د. ط) السعودية - جامعة الملك سعود (د. ت).
- = عماد الدين خليل المستشرقون والسيرة النبوية بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات بيروت دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ.
- = أمل بنت عوض الثبيتي - السيرة النبوية في كتابات الاستشراق البريطاني - دراسة تاريخية نقدية (د. ط) السعودية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى - ٢٠٠٣م.
- = أحمد محمد آل يحيى، شبهات المستشرقين حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي - بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة بجامعة المدينة العالمية، قسم الدعوة ، بإشراف الدكتور محمد رفيق الإسلام .
- = جعفر شيخ إدريس - منهج مونتجمري وات في نبوة محمد ﷺ (د. ط) تونس - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ١٩٨٥م.

الفصل الأول

التعريف بالكاتب: وليام مونتهجيري وات، وكتابه محمد ﷺ في مكة

المبحث الأول: التعريف بالكاتب:

* المطلب الأول: مولده.

* المطلب الثاني: نشاطه الأكاديمي.

* المطلب الثالث: المناصب التي تولاها.

* المطلب الرابع: مؤلفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب وقيمه العلمية.

المبحث الأول: التعريف بالكاتب: وليام مونتجمري وات^(١).

* المطلب الأول: مولده:

ولد في الرابع عشر من شهر مارس لعام ١٩٠٩م بالمملكة المتحدة، وكان والده أندرو وات قسيساً أيضاً.

* المطلب الثاني: نشاطه الأكاديمي:

- درس في أكاديمية لارخ (١٩١٤م - ١٩١٩م).
- وكلية جورج واتسون بأدنبرة وجامعة أدنبرة (١٩٢٧م - ١٩٣٠م).
- وكلية بالبول بأكسفورد (١٩٣٠م - ١٩٣٣م).
- وجامعة جينا بألمانيا ١٩٣٣م.
- وجامعة أكسفورد (١٩٣٨م - ١٩٣٩م).
- وجامعة أدنبرة (١٩٤٠م - ١٩٤٣م).
- كما نال درجة الأستاذية عام ١٩٦٤م.

* المطلب الثالث: المناصب التي تولاهما:

عمل وات راعياً لعدة كنائس في كل من لندن وأدنبرة، ومتخصصاً في الإسلام لدى القس الأنجليكاني في القدس.

كما عمل رئيساً لقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أدنبرة في الفترة ما بين عامي ١٩٧٤م، ١٩٧٩م، وقد قام خلالها بتدريس الإسلام عقيدة وتاريخاً وحضارة، لعدة أجيال من الطلبة كثير منهم مسلمون، عرب وباكستانيون.

(١) أنظر أمجاد الربيعية بإشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود، نسخة من سيرة موجزة كتبها عن نفسه، وهي منشورة في دليل الباحثين البريطانيين نقلاً من الدرر السنوية، <https://dorar.net/adyan/879>، نعمات محمد عبد الرحمن الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص - ١٦٨، أمجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتائبيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات نموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٩.

دعي للعمل أستاذا زائرا في كل من: جامعات تورنتو بكندا ١٩٦٣م، ١٩٧٨م.
وكلية فرنسا في باريس عام ١٩٧٠م. وجامعة جورج تاون بواشنطن عامي ١٩٧٨م، ١٩٧٩م.
من خلال ما تم بيانه آنفا عن المستشرق وات، يظهر مدى تأثيره بالبيئة التي نشأ فيها، بداية
من والده الذي كان قسيسا، فنشأ في كنفه وترى على يديه.
ويظهر تشبعه بالنصرانية من خلال المناصب التي تولاها راعيا لكنائس في كل من لندن وأدنبرة،
أضف إلى ذلك تخصصه في الإسلام لدى القس الأنجليكاني في القدس.
فمن خلال ذلك كله يظهر مدى تأثيره بالإسلام، فقد قام بحكم تخصصه هذا بتدريسه بعدة
فروع كالعقيدة والتاريخ والحضارة.
ويظهر عيانا تركيزه على الإسلام من شتى الجوانب من خلال المؤلفات ها، والمذكورة في الجزئية
التالي ذكرها.

* المطلب الرابع: مؤلفاته:

اهتم وات بدراسة سيرة النبي ﷺ، وهو معروف لدى طلابه بتعصبه ونزعاته التنصيرية، وله
العديد من المؤلفات، منها ما ترجم إلى العربية.
ومن أشهر كتبه في السيرة والتي تبرز لنا اهتمامه بهذه الجزئية من الموضوع العام في الإسلام وهو
سيرة النبي الكريم ﷺ، وإلقائه الضوء على جوانب عديدة من هذه السيرة، والبحث في بعض أدق
تفاصيلها، والكتب هي:

محمد ﷺ في مكة " وهو الكتاب الذي نحن بصددده "

محمد ﷺ في المدينة.

محمد ﷺ نبي ورجل دولة.

إضافة لكتب في جوانب أخرى من الإسلام، ومنها:

القضاء والقدر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

الفلسفة الإسلامية والعقيدة.

الفكر السياسي الإسلامي.

تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى.

الأصولية الإسلامية والتحديث.
العلاقات الإسلامية النصرانية.
حقيقة الدين في عصرنا.
الفترة التكوينية للفكر الإسلامي.
موجز تاريخ الإسلام.
الجبر والاختيار في الإسلام.
عوامل انتشار الإسلام.
الوحي الإسلامي في العالم الحديث.
العظمة التي كان اسمها الإسلام.
تاريخ إسبانيا الإسلامية.
الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر.
محمد ﷺ النبي والسياسي.
أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا.
فضل الإسلام على الحضارة الغربية.
* كما له مقالات، منها:

الإسلام والجماعة الموحدة، الجدل الديني وتاريخ الجزيرة العربية.
* إضافة للعديد من الدراسات والبحوث في الدوريات الإسلامية والاستشرافية.

* وفاته:

توفي الكاتب وليام مونتجمري وات في 24 أكتوبر 2006م، في أدنبرة بالمملكة المتحدة عن
عمر يناهز 97 عاماً.

* المطلب الخامس: القيمة العلمية للمستشرق مونتجمري وات عند الباحثين المسلمين:

(تحتل أعمال وات بشهرة واسعة بين المشتغلين بالدراسات الإسلامية والعربية في الغرب والشرق على السواء)^(١)، وتطرق هنا إلى موقف المسلمين منه ثم موقف المستشرقين ومن شاكلهم، ثم أختتم بالكتاب وما له من قيمة علمية.

(راج عند بعض الباحثين في ظاهرة الاستشراق أن عددا من المستشرقين قد اتصفوا بالإنصاف والموضوعية^(٢)، على الرغم من خلفياتهم المسيحية، وبعض الأحيان التبشيرية، وهذا الرواج أدى إلى تمرير قناعات ومفاهيم خطيرة معادية للإسلام)^(٣)، ومن أشهر من وصف بالموضوعية والحيادية المستشرق القسيس البريطاني وات.

ف نجد عمله حظى بالتقدير التام بين العلماء المسلمين، مما يبرهن على أن (المستشرق لا يلزمه أن يعتنق الإسلام كي يصير معروفا عند العالم الإسلامي عالما جادا مقبولا)^(٤).

(فالمستشرقون دائما يحاولون من تحت ظلال راية الدفاع عن الحق والإسلام والرسول ﷺ وأمانة البحث العلمي، أن يعملوا على نقض المسلمات الإسلامية والقضايا القرآنية للتشكيك في قيمتها لدى الدارسين، إذا لم يصلوا بالقارئ إلى حد تجنيده لحرما كفرها)^(٥).

(ومع ذلك نجد (وات) ينتقد الإسلام بصفته عالما مسيحيا عقلانيا، وهو ينتقد رفاقه في ذات الوقت، وهذا يعني أنه موضوعي إلى حد ما، فهو يقدر آراء المسلمين دون أن يقبلها، ومن ثم يقدره

(١) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ١٦٨ .

(٢) ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره الأستاذ عبد المتعال الجبري رحمته الله في كتابه السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، حين قسم المستشرقين لثلاثة أقسام: قادحين ومنصفين ومستشرقون أسلموا، فعد الأستاذ عبد المتعال مونتجمري وات من المستشرقين الذين أنصفوا الإسلام وإن لم يسلموا، وقد نوه الكاتب إلى أنه ذكر رأيه في كتاباتهم، ص: ٤٧ .

(٣) أمجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتايون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات نموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية ص: ٤٩ .

(٤) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ١٦٤ .

(٥) عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ٩٦ .

المسلمون دون مشاركته في آرائه المعروضة بالضرورة) (١).

(إن نظرة وات الإيجابية تجاه بعض الأحداث والقضايا التاريخية التي تناولها الروايات، التي يفند بها ادعاءات بعض المستشرقين يخالفها كثير من الأحكام المضطربة والمشوشة والمغالطات الجريئة) (٢).
حرص وات في كتبه أن يظهر بمظهر المحايد، وأجرى محاولات لمحاولة المسلمين، حتى عده بعض المؤلفين بأنه "المستشرق المتعاطف"، ويعده الأستاذ عبدالمتعال جبيري (٣) من المستشرقين المنصفين، ونقل عنه في الإسلام والجماعة المتحدة قوله: "أن الإسلام يدعو إلى وحدة البشر على أساس العقيدة لا العنصرية" (٤)، كما (يعتبر من أكثر المستشرقين إدهاشا بالنسبة للباحث المحلل لإنتاجه الفكري الثري) (٥).
وقد وصف منهجه في دراسة نبوة محمد ﷺ "جعفر شيخ إدريس (٦) " بقوله: (فالأستاذ وات يريد إذا أن يكتب باعتباره مؤرخا منصفًا، مؤمنا بالله الواحد، ملتزما الحياد في القضايا الدينية التي يختلف فيها الإسلام والمسيحية، ويقرر الحقائق التاريخية كما هي.

ويرى أن التزام المنهج العلمي في البحث لا يقتضى الوصول إلى نتائج مناقضة للمعتقدات الإسلامية، ولا يقول قولًا يلزم عنه إنكار لشيء من معتقدات المسلمين الأساسية، وهو وإن كان مؤمنا بأهمية العوامل

(١) نعمات محمد الجعفري بعنوان: "العيوب المنهجية في سياق الروايات الحداثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة الكويت، ص: ١٦٥.

(٢) المرجع السابق - ص: ١٦٣.

(٣) عبد المتعال جبيري: وُلد بمركز الإبراهيمية بمحافظة الشرقية عام ١٩٢٦م، حصل على ليسانس اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية من كلية دار العلوم بالقاهرة، ثم دبلوم التربية وعلم النفس من كلية التربية جامعة عين شمس، كذا حصل على دبلوم الدراسات العليا في النحو، ثم حصل على الماجستير ثم الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية من كلية دار العلوم. عمل بالتدريس ثم تفرغ للدعوة وهاجر إلى أمريكا الشمالية وبقي في «نيوجرسي» ١٢ عامًا يدير المركز الإسلامي، وتوفي عام ١٩٩٥م، نقلًا عن مركز تفسير للدراسات القرآنية، وهو مركز علمي وقفي متخصص مقره مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية <http://www.tafsir.net>.

(٤) عبد المتعال جبيري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ٤٧.

(٥) خضر شايب، نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص: ٢٣٨.

(٦) جعفر شيخ إدريس: هو جعفر شيخ إدريس محمد صالح بابكر عبد الرحمن بلل، ولد عام 1931م بمدينة بورسودان شرق السودان، والده ووالدته من منطقة نوري بشمال السودان، متزوج وأب لثلاث بنين وبنات، وجدٌ لسبعة أحفاد، انظر موقع الشيخ، <http://www.jaafaridris.com>.

المادية وباحثا عنها، إلا أنه لا يعدها المسيرة لحركة التاريخ، ولا يؤمن بالنظرة المادية إلى الحياة^(١).

* المطلب السادس: قيمة وات عند المستشرقين:

يرى المستشرقون أن مونتجمري وات قسيس جمع بين الالتزام بالمسيحية، وتوثيق الصلة بالمسلمين، والاتصاف بالموضوعية في دراسته للإسلام.

(ويعد وات من أبرز أعلام المستشرقين المعاصرين في بريطانيا، وأكثرهم تنوعا في مجال دراسته الإسلامية، وتحظى أعماله بشهرة واسعة بين المشتغلين بالدراسات الإسلامية والعربية)^(٢).

ويعلق المستشرق البريطاني المعروف سير هاملتون جيب^(٣) على الكتاب قائلا: "بأنه يجعل القارئ يشعر بأنه كتبه رجل عاش بالخيال تجربة محمد ﷺ في مكة أكثر من أي كاتب سابق.

يضاف إلى ذلك تنظيمه الدقيق لمواد البحث الذي يعد إضافة جديدة قيمة لدراسة أصول الإسلام.

لقد اهتم الكتاب خاصة بالأرضية الاقتصادية والاجتماعية، وعلاقتها بنظريات القرآن الدينية، ولهذا يؤمل أن يؤدي إلى تقدير حق لهذا القائد العظيم أكثر في الغرب مما مضى"^(٤).

ويقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسن^(٥): "من النادر أن ترى عالما لا يهتم فقط بجمع مواد

(١) أمجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتائبيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات أنموذجا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٤، شيخ إدريس، منهج مونتجمري وات في نبوة محمد ﷺ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس - ص: ٢٠٩، أنظر محمد ﷺ في مكة، ص: ٤١.

(٢) أمجاد الربابعة، مباحث في الاستشراق، بإشراف الدكتور خالد، القاسم - جامعة الملك سعود .

(٣) هاملتون ألكسندر روسكن جب (١٨٩٥م - ١٩٧١م) هو مستشرق إنجليزي، ولد في مدينة الإسكندرية (مصر) في ٢ يناير ١٨٩٥م، وتوفي في ٢٢ أكتوبر ١٩٧١م، وتعلم في اسكتلنده في المدرسة الثانوية الملكية في أدنبرة، وفي ١٩١٢م، دخل جامعة أدنبرة حيث تخصص في اللغات السامية: العربية والعبرية والآرامية، وقد نال في حياته كثيرا من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علميا، والواقع أن هاملتون جب كانت شهرته فوق قيمته العلمية، وانتاجه أدنى كثيرا من الشهرة التي حظي بها لأسباب كلها بعيدة عن العلم، عبد الرحمن البدوي - موسوعة المستشرقين، ص: ١٠٥ .

(٤) عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، ص: ١٢١، وفي الحاشية ذكر أنه من تعليق جب الذي اعتمده الناشر على غلاف كتاب محمد ﷺ في مكة، وهناك ملاحظة على لفظ "نظريات القرآن"، فالقرآن ليس بنظريات، بل هو أحكام وشرائع منزلة من رب العباد من فوق سبع سماوات .

(٥) مكسيم رودنسون (١٩١٥م - ٢٠٠٤م) ولد في باريس بتاريخ ٢٦ - ١ - ١٩١٥م، وحصل على الدكتوراة في الآداب ثم

بحثه، بل يطرح الأسئلة على نفسه، ويجيب عليها بصورة علمية يضاف إلى ذلك أمانة علمية شديدة تصدر عن فكر لا حيلة له أمام الحقيقة.

هذا الانفتاح الفكري، وتلك الأمانة العلمية، وهذه المهارة في الكشف عما هو أصيل وجوهري، جعل من كتابه محمد ﷺ في مكة حدثاً تاريخياً في الدراسات عن نبي الإسلام ﷺ^(١). كما أنه ينتقد على أقرانه المستشرقين إلحاحهم في النزعة النقدية، ويحاول أن يضع ضوابط منهجية تشكّم هذه النزعة من أن تتحول إلى عملية هدم اعتباطي يشبع الأهواء الذاتية، ولا يقوم على أساس موضوعي^(٢)، ولعل وات أراد من خلال نقده لغيره من أقرانه المستشرقين أن يبرز عنهم، ويظهر للمسلمين بمظهر المتسامح، تحديراً لهم، لبيث ما عنده من أفكار وشبهات بل وافتراءات وادعاءات لا أصل لها، ولا مستند علمي له، وليس كما يزعم بأنه يسلك منهاجاً علمياً في كتاباته. والعجيب أن افتراءات وات هذه عدها بعض المستشرقين خروجاً عن المؤلف المتعارف عليه عند أهل هذا الفن.

بل إن أحد معاصريه "ألفريد جيوم"^(٣)، يظهر ذلك في مطالبته لزميله مونتنجيري وات مؤلف كتاب محمد ﷺ في مكة أن يكون موضوعياً وأن يعتمد المنهجية العلمية ولا يخرج عنها^(٤).

على شهادة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، والمدرسة العلمية للدراسات العليا، ونال منحة الصندوق الوطني للأبحاث العلمية، وعين أستاذاً في المعهد الإسلامي بصيدا من لبنان، نجيب العقيلي، المستشرقون، ج: ١، ص: ٣٥٩.

(١) عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتنجيري وات، ص: ١٩٣. وفي الحاشية ذكر أنه من تعليق رودنسون الذي اعتمده الناشر على غلاف كتاب محمد ﷺ في المدينة.

(٢) هيا العتيبي، تقرير موجز عن المستشرق مونتنجيري وات، إشراف الدكتور: خالد القاسم جامعة الملك سعود نقلاً عن عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتنجيري وات، ص: ٦٢ دار الثقافة، الدوحة، ١٤١٠هـ، والطبعة التي بين يدي طبعة دار ابن كثير، ط: ١، ٢٠٠٥م، ص: ٧٩.

(٣) ألفريد جيوم أو غيوم (١٨٨٨م - ١٩٦٦م) تخرج من جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) وعين محاضراً للغة العبرية في المعهد الملكي بلندن "١٩٢٠م"، المرجع: نجيب العقيلي، المستشرقون، ج: ٢، ص: ١١٧.

(٤) أمل بنت عوض الثبيتي، السيرة النبوية في كتابات الاستشراق البريطاني، دراسة تاريخية نقدية، رسالة ماجستير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، ص: ٦٣، نقلاً عن محمد البهي: المبشرون المستشرقون، ص: ٣٠، صابر طعيمة: أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي - ص ٧٩، نذير حمدان: مستشرقون سياسيون جامعيون مجتمعيون، ص: ٢٣١، ولعل مراده بالمنهجية العلمية التي يعتقدها ألفريد جيوم شخصياً، وليست المنهجية العلمية المبنية على أسس علمية.

=

يعنى بذلك منهج المستشرقين في التعامل مع الإسلام وسيرة نبيه ﷺ وتاريخه ولا يخرج في ذلك عن الخط التقليدي للمستشرقين في التجني والافتراء والتزييف (١).

* المبحث الثاني: التعريف بالكتاب، وقيمه العلمية.

" محمد ﷺ في مكة " هو عنوان أحد كتب المؤلف "وات" في سيرة النبي الكريم ﷺ، ويقع في مائة وست وثمانين صفحة من القطع المتوسط، منها اثنان وثلاثون صفحة مخصصة للملاحق. وقد ترجم الكتاب الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، وراجع الكتاب وعلق عليه الدكتور أحمد الشلبي، وطبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب بجمهورية مصر العربية، في عام ١٩٩٤ م، وهناك ترجمة أخرى للدكتور شعبان بركات .

وهو - كما يبدو من عنوانه - يتناول الفترة المكية من حياة الرسول ﷺ سواء قبل البعثة أو بعدها، مع مقدمة موجزة عن الأوضاع في مكة وشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. (ولعل أبرز ما يلفت نظر المتتبع لأعمال وات أن سيرة النبي محمد ﷺ حظيت بتقدير متميز من اهتمامه، فقد أخرج ثلاثة كتب نشرتها له جامعة أكسفورد بإنجلترا) (٢) أحدها كتاب "محمد ﷺ في مكة" محور بحثنا هذا.

وللكاتب كتابان آخران في السيرة النبوية هما كتاب محمد ﷺ في المدينة، والآخر محمد ﷺ نبي ورجل دولة، وله كتاب رابع أيضا ولكن ليس من طبعة جامعة أكسفورد، بعنوان محمد ﷺ النبي والسياسي.

كما يذكر الكاتب مصادره التي أخذ منها مادته العلمية فيقول بأنه: "أخذ بالقرآن الكريم وكتب

(١) المرجع السابق .

(٢) نعمات محمد الجعفري، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت بعنوان: " العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة "، ص - ١٦٨ .

السنة، كصحيح البخاري (١) ومسلم (٢) ومسند أحمد بن حنبل (٣) ، وكتب التاريخ المتقدمة في القرنين الثالث والرابع كالسيرة النبوية لابن هشام (٤) وطبقات ابن سعد (٥) وتاريخ الطبري (٦) " (٧) .
وهي مصادر متخصصة وأصيلة وصحيحة، واعتماده هذه المصادر يعد أمراً إيجابياً يدل على

(١) الإمام صاحب الصحيح هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، ولد بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ودفن بـ (خرتلك) قرية على فرسخين من سمرقند ، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج : ١ ، ص : ٨٦ .

(٢) هُوَ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ الْحَافِظُ الْمُجَوِّدُ الْحُجَّةُ الصَّادِقُ، أَبُو الْحُسَيْنِ، مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ وَرْدِ بْنِ كُوشَادَ، الْقَشِيرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، صَاحِبُ «الصَّحِيحِ»، فَلَعَلَّهُ مِنْ مَوَالِي قُشَيْرٍ، قِيلَ: إِنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ. وَأَوَّلُ سَمَاعِهِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةَ مِنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى التَّمِيمِيِّ، وَحَجَّ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَهُوَ أَمْرُدٌ، وسير أعلام النبلاء للذهبي فصل تاريخ البخاري ج : ١٠ ، ص : ٣٧٩ .

(٣) أحمد بن حنبل : هو الامام حقا، وشيخ الاسلام صدقا ، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن بكر بن وائل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الائمة الاعلام ، هكذا ساق نسبه ولده عبدالله، واعتمده أبو بكر الخطيب في « تاريخه » وغيره ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، الطبقة الثانية عشر ، ج : ٩ ، ص : ٤٣٤ .

(٤) «صاحب السيرة» عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري . وقيل: الذهلي. أبو محمد البصري، النحوي. نزيل مصر. مهذب السيرة النبوية. سمعها من زياد بن عبد الله البكائي صاحب ابن إسحاق، ونقحها، وحذف جملةً من أشعارها، وروى فيه مواضع عن عبد الوارث التتوري وغيره. وثقه أبو سعيد ابن يونس ، وثوَّقِي سنة ثمان عشرة ومائتين، وقيل: سنة ثلاث عشرة.

وكان عالم مصر بالغريب في الشعر، والسيرة المشهورة بابن هشام هي له، وله أنساب حمير وملوكها، وشرح ما وقع في أشعار البتيرة من الغريب. قيل له: لو أتيت الشافعي فأبى أن يأتيه ثم قيل له، فأثابه فذاكره أنساب الرجال فقال له الشافعي بعد أن تذاكرا طويلاً: دع عنك أنساب الرجال؛ فإنها لا تذهب عنّا وعنك، وخُذْ بنا في أنساب النساء فلما أخذنا في ذلك بقي ابن هشام مبهوراً، فكان ابن هشام يقول بعد ذلك: ما ظننتُ أنّ الله خلق مثل هذا وكان يقول: الشافعي حُجَّةٌ في اللُّغة. الواقي بالوفيات ، عبد المجيد ، ج : ٢٢ ، ص : ١٤٧ .

(٥) محمد بن سعد ابن منيع، الحافظ العلامة الحجة، أبو عبد الله البغدادي كاتب الواقدي ومصنف « الطبقات الكبير » في بضعة عشر مجلداً و « الطبقات الصغير » وغير ذلك. ولد بعد الستين ومئة، فقيل: مولده في سنة ثمان وستين. وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار.

(٦) مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ (بْنِ يَزِيدَ) الطَّبْرِيُّ : الإمام الجليل المفسر أبو جعفر، صاحب التصانيف الباهرة، مات سنة عشر وثلاثمائة، ثقة صادق قال الخطيب: كان ابن جرير أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفة وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً بالأحكام، عالماً بالسنن وطرقها، (صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها)، عارفاً بأقاويل الصحابة والتابعين، الحلال والحرام عارفاً بأيام الناس وأخبارهم. وله تصانيف كثيرة، وتفرد بمسائل حفظت عنه ، لسان الميزان للعسقلاني ، المحمدون ، ج : ٥ ، ص : ١١٥ .

(٧) محمد ﷺ في مكة - تعريب شعبان بركات - ص : ٧ وفي نسخة الشيخ ص : ٤١ ، ٤٢ بنص آخر .

مصادقيته^(١).

ذكر الكاتب في مقدمة كتابه أيضا بأن "هذا الكتاب يهتم ثلاثة طوائف من القراء على الأقل"^(٢).

فالتائفة الأولى التي ذكرها هم "الذين يهتمهم الموضوع كدارسين للتاريخ"، وقد أكد هذا المعنى بقوله "فهذا الكتاب موجه أولا وبصفة رئيسية للمهتمين بالتاريخ"^(٣).

أما الطائفة الثانية والثالثة فهم الذين يتناولونه لأنهم مسلمون أو مسيحيون^(٤):
- فأما المسلمون: فسيتم إستعراض ما ذكره الكاتب من خلال ما يعتقد المسلمون في الكتاب والسنة الصحيحة، وفق منهج علمي سليم.

ولا أعول في ما كتبه الكاتب على رأي شخصي، وإنما لما أقره الإسلام.
- وأما المسيحيون: قال الكاتب " أنه يقدم للمسيحيين المادة التاريخية التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند تكوين الرأي اللاهوتي " الديني " ^(٥)، ونحن نسلم لما قاله ما دام أنه يتبع المنهج العلمي سبيلا للوصول إلى ذلك.

وقد حصر الكاتب كتابه كما هو العنوان بمحاور ثلاثة:
فالمحور الأول: الشخص المعني: وهو محمد رسول الله ﷺ.
والمحور الثاني: الذي حصر نفسه به الزمان: فقد حدد الفترة المكية.
إضافة للمحور الثالث وهو المكان: فموقع بحثه في مكة المكرمة زادها الله تشريفا.

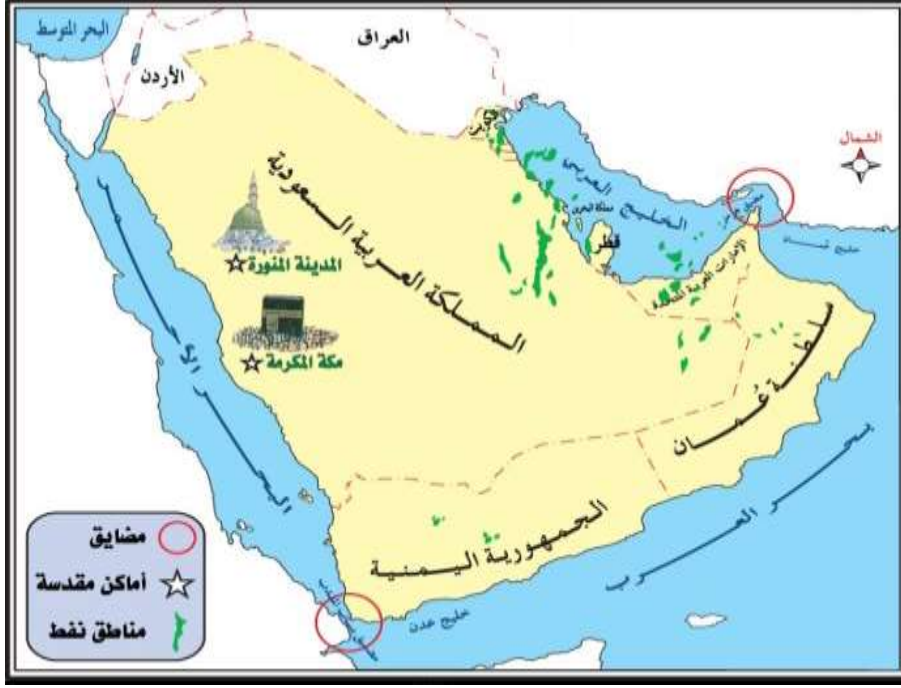
(١) محمد ﷺ في مكة - تعريب شعبان بركات - ص: ١٣، وفي نسخة الشيخ ص: ٤٧ بنص آخر .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٠ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٠ .

(٥) المرجع السابق .



فسأعرض في هذا البحث المتواضع لآراء وات، ثم أعرضها على بعض آراء بني جلدته، سواء ممن أسلم منهم، أو ممن بقي على دينه، لكنه التزم المنهج العلمي الصحيح، إضافة للعديد من الردود من كتابات الكاتب نفسه.

وبذلك... تجد أن الكتاب قد بذل فيه الكاتب جهدا ووقتا لا ينكر، لا سيما أنه يتفوق على غيره في إمتلاكه أدوات قوية للبحث العلمي.

* منهج وات في كتابه:

أشار الكاتب إلى بعض الأمور المهمة في البحث العلمي من خلال كتابه لتأصيل المنهج العلمي للباحث، فبين منهجه في مقدمته فقال: "كان منهجي قبول ما ورد في التراث بصفة عامة، ولكن مع العناية والتصحيح بقدر الإمكان إذا كان هناك شك في وجود أخبار موضوعة " تشكيل متحيز " ولا أرفضها إجمالا إلا إذا كان هناك تناقض خفي " (١).

ها هنا منهج علمي صحيح، رسم فيه الكاتب خطوات علمية صحيحة لمن اتبعها من خلال الخطوات التالية:- قبول ما ورد بصفة عامة.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٦ .

- إذا كان هناك شك في أخبار موضوعه، فيعمد إلى العناية والتصحيح بقدر الإمكان.

- يرفضها إجمالاً إذا كان هناك تناقض خفي.

كما ذكر منهجاً للوصول إلى الحيادية في البحث العلمي من خلال الرجوع للمصادر فقال:
"لكي نصل إلى نظرة أكثر حياداً سيكون من المفيد أن نتعرض أولاً للمصادر التي تناولت الأحابيش
١، ابن هشام والواقدي والطبري" (٢).

* فالأصل في الحيادية... الرجوع إلى المصادر.

وأشار أيضاً للسبيل للوصول إلى الموضوعية، بقوله: "عندما تتم إزاحة كل ما علق بالموضوع
من بدع وسوء فهم بطريقة موضوعية ستبقى الحقائق المسلم بها، لكنها لا تعطينا رخصة كافية لإعادة
صياغة الأحداث" (٣).

* فالأصل أيضاً للوصول للموضوعية... إزاحة البدع وسوء الفهم.

أما في مسألة الادعاءات، فهو يرفضها ما لم يكن لها تفصيل في المراجع، فحين تطرق إلى أن
البعض يدعى وجود خلاف في زعامة مكة، قال بأنه: "والقول بأن عبد المطلب (٤)، وحرب بن أمية
(٥) كانا في حالة تنافس على زعامة مكة، قول مشكوك فيه، ما دمنا لا نجد تفاصيل عن ذلك في
المراجع" (٦).

* فالعمدة أن أي قول لا يوجد له تفاصيل في المراجع هو قول مشكوك فيه.

(١) (الأحابيش - قال الجوهري: هم بطن من قريش وقال المؤيد صاحب حماة في تاريخه: هم من بطون كنانة بن خزيمة، قال
الجوهري: وسمي بذلك بجبل اسفل مكة اسمه حبشي اجتمع عنده بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة فحالفوا قريشاً على أنهم يد
واحدة على عدوهم ما سجا ليل ووضح نهار وما أرسى حبشي مكانه فسموا الأحابيش قال صاحب حماة: وليسوا من الحبشة كما
يتوهم بعضهم. ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، للقلقشندي ، ما يقال فيه أولاد فلان ، ج : ١ ، ص : ١٥٦ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩٩ .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٣١٥ .

(٤) هو : عبد المطلب واسمه شيبه الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، وأمه : سلمى بنت عمرو النجارية الخزرجية.
توفي نحو عام 578م، وكان عمره ٩٨ سنة ودفن بمكة.

(٥) حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي الكناني، كان من حنفاء مكة وأكابرها. وهو والد الصحابي أبو سفيان وجد
الصحابي معاوية وهو أمير قريش وكنانة، وكان قائد قبيلة كنانة في حرب الفجار ضد قبائل قيس عيلان. أمه : ليلى بنت الربيع بن
الوليد بن كنانة .

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ٩٠ .

=

كما أنه يرفض أيضا التشكيك الغير منطقي في أي مسألة، ما لم يكن هناك أساس لذلك، فيقول: "وعلى أية حال، فإن التدقيق في المصادر يشير إلى أن هذه المبالغة المشار إليها لم تكن حقيقة يمكن إدراكها.

وعلى أية حال، فالروايات المتعلقة بذلك قد تم عرضها " بلا شك " روح التعاطف مع هاشم وبنيه وأحفاده، لكن لا أساس للإفترض بوجود قدر كبير من الأكاذيب والتزييفات الخطيرة " (١).
* فالإفترضات لا بد من وجود أساس لها، والادعاء وحده لا يكفي.

هذه الأسس التي وضعها وات في كتابه، وهي أسس علمية مقبولة، وعليها سيتم تقييم كتابه، وهي باختصار: ١ - قبول ما ورد بصفة عامة.

٢ - عند الشك في أخبار موضوعه، فيعتمد إلى العناية والتصحيح.

٣ - يرفضها إجمالاً إذا كان هناك تناقض خفي.

٤ - لتحقيق الحيادية لا بد من الرجوع إلى المصادر.

٥ - للوصول للموضوعية يجب إزاحة البدع وسوء الفهم.

٦ - أي قول لا يوجد له تفاصيل في المراجع هو قول مشكوك فيه.

٧ - الإفترضات لا بد من وجود أساس لها، والادعاء وحده لا يكفي.

وستكون هذه الأسس التي وضعها الكاتب بنفسه، هي الفصل في كل ما أورده في كتابه، والحكم عليه هل التزم بهذه الأسس أم لا؟

يعتمد وات على منهج النقد التاريخي الذي استقاه من المستشرق الألماني الشهير ثيودور نولدكه^(٢)، فليست المادة عملاً توثيقياً خالصاً، بل هي قراءة نقدية وسوسولوجية^(٣) لمسيرة محمد ﷺ النبي ورجل الدولة.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٨٨ .

(٢) ثيودور نولدكه: (١٨٣٦م - ١٩٣١) يعد شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع، وقد أتاح له نشاطه الدائب وألمعية ذهنه واطلاعه الواسع على الآداب اليونانية، وإتقانه التام لثلاث من اللغات السامية " العربية والسريانية والعبرية " مع استطالة عمره حتى جاوز الرابعة والتسعين أن يظفر بهذه المكانة ليس فقط بين المستشرقين الألمان، بل بين المستشرقين جميعاً، عبد الرحمن البدوي - موسوعة المستشرقين، ص: ٤١٧ .

(٣) (السوسولوجيا : هي علم الاجتماع وهو الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي للأفراد، والأساليب التي ينتظم بها المجتمع بإتباع خطوات المنهج العلمي .

يرتكز الكتاب على فكرة عبقرية الرسول محمد ﷺ الدينية والسياسية والدبلوماسية في الحقبين
المكية والمدنية^(١).

كما يلحظ المطلع على كتاب وات أنه يجمع بين أمور ثلاثة في مجمل حديثه عن الإسلام أو
أي من فروعها، وقد أطلقت عليها "ثلاثية وات" لتكرارها في معظم ثنايا كتابه، فهو يجمع بين كل من:
١ - المدح. ٢ - والتشكيك. ٣ - والظعن.

كما يذكر الكاتب في كتابه إعجابه ومدحه للعديد من الأمور والحقائق والمسلمات كالإسلام
ومزاياه، والنبي ﷺ والقرآن الكريم أيضا.

أضف إلى ذلك دفاعه وتفصيله لكثير من الافتراءات والشبه التي تطرح حول الإسلام والنبي
ﷺ والقرآن، والتي ستظهر في بحثنا هذا بإذن الله تعالى، لنطلع هل كان دفاعه هذا كافيا وافيا، أم أن به
من التشكيك والظعن الشيء الكثير.

وسيتم التطرق لهذا خلال المباحث المتنوعة في هذا البحث بإذن الله تعالى، ثم إيضاح ما تم
التشكيك به، والرد على الظعن أيضا.

من خلال ما ذكر يظهر أن للكتاب وزنا وثقلا في الوسط العلمي، جعلته سببا لكل من كتب
في الاستشراق والمستشرقين أن يتطرق إليه وإلى ما فيه.

(١) نقلا عن جريدة الأخبار اللبنانية، العدد ٢٢٧٩، الجمعة ٢٥ أبريل ٢٠١٤م، مقال: قراءة في كتاب، للكاتب محمد عبد الله
فضل الله، كتاب محمد ﷺ النبي ورجل الدولة لمونتجمري وات .

الفصل الثاني: آراء وات حول الدعوة والإسلام

المبحث الأول: الإسلام.

- الإسلام وإعجاب وات به.
- الإسلام في نظر وات.
- الإسلام ورأي وات فيما كتب عنه.

المبحث الثاني: الوحي.

- التعريف اللغوي.
- التعريف الشرعي.
- أنواع الوحي:
- الوحي المجرد.
- التكليم من وراء حجاب.
- الوحي بواسطة ملك.

المبحث الثالث: القرآن الكريم.

- تعريفه لغة.
 - تعريفه إصطلاحاً.
 - ثلاثية وات في طرحه للقرآن الكريم: المدح، التشكيك، الطعن.
- ### المبحث الرابع: الطعن المبطن لكل من تتعلق به السيرة العطرة.

- المطلب الأول: الطعن في المفسرين.
- المطلب الثاني: الطعن في رواية الحديث.
- الإسناد.

المطلب الثالث: الطعن في المؤرخين.

المبحث الأول: الإسلام.

* الإسلام وإعجاب وات به:

يقر وات رغما عنه بتأثره بالإسلام، وينظر إليه نظرة تقدير وإعجاب وذلك في العديد من المواضع في كتابه.

فيقول: "كان السبب الأول في نجاح محمد ﷺ جاذبية الإسلام، وقيمه كنظام ديني واجتماعي لسد حاجات العرب الدينية والاجتماعية" (١).

ومن ذلك أيضا قوله عن الإسلام: "الإسلام دين بكل تأكيد، لكن قد تكون أفكار الغرب عن الدين هي التي يعتربها القصور" (٢).

ويؤكد على ذلك في موضع آخر في معرض حديثه عن الإسلام، فقال: " والآيات القرآنية الأولى لم تقدم سوى تنبيه للعلاج الحقيقي لهذا الوضع، أعني أنها ركزت على أن الأساس الجديد للتضامن الاجتماعي إنما يكمن في الدين" (٣).

أما رسالة الإسلام ورسالة النبي ﷺ فقد قال فيها: "وكانت رسالته في جوهرها دينية حاولت علاج الجوانب الدينية في هذا المجتمع المريض دينيا" (٤).

كما وصف وات الإسلام إقتصاديا بقوله: " فدعوة محمد ﷺ إلى الإسلام رغم أنها دعوة في الأساس دينية، إلا أنها لامست أمورا اقتصادية" (٥).

وأقر في نهاية كتابه بالحقيقة حين قال: " وهذه الفكرة " عدم انفصال الدنيا عن الدين " غالبا - وربما دائما - تعد حقيقة واقعة في الشرق الأدنى، إنها فكرة يراها الغرب غريبة، فغربة هذه الأفكار بالنسبة للغرب - على أية حال - لا يجب أن تعمي بصائرنا عن الحقيقة التي مؤداها أن الجوانب الدينية في الإسلام كانت دائما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالجوانب الأخرى" (٦)، فهذا كلام حق صدر عنه.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٥٢ - وترجمة الدكتور الشيخ " وربما جاز لنا أن نصر على أن محمدا ﷺ ما نجح كني وقائد " النص: زعيم سياسي "، إلا لأن دعوته كانت ذات أبعاد سياسية واجتماعية معلنة " - محمد ﷺ في مكة، ص: ٢٤٤ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٤٥ .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٤ .

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٧١ .

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٩ .

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩٤ .

وقد أقر الكاتب بهذه الحقيقة في كتاب آخر، أشار إليه المترجم^(١)، وهو كتاب "الإسلام والمسيحية"، فقال: "الإسلام يضم كل القيم والأفكار الأساسية في الأديان التي سبقته، لذلك فهو دين المستقبل"^(٢).

هذه الفكرة التي يطرحها وات، لكسب قلوب وعقول المسلمين، ثم يبدأ بتغيير اتجاه ومعطيات الحديث شيئاً فشيئاً، وبشكل متفرق بين مواضيع ومباحث الكتاب لئلا يشعر القارئ بأنه مهاجم ومعارض للإسلام.

ولوات رأي فيما يخص الإسلام من خلال نقاط معينة تطرق إليها وات في كتابه، وهي:

- الإسلام لقريش خاصة، أم للبدو أم للعرب؟ وأهمية رسالة الإسلام.
- الأفكار الجاهلية في الثوب الإسلامي.
- من لم ينتسب للإسلام... هل هو خارج الجماعة الإسلامية وبالتالي فهو عدو؟
- تأثير الإسلام بالأديان الأخرى.

يحاول الكاتب إيصال فكرة للقارئ، من خلال تسمية الأمور بغير أسمائها لصرف النظر عن حقيقتها، والتشكيك بها، وهو ما فعله حين تحدث عن الإسلام.

فيصف الإسلام بعدة أوصاف، فتارة يقول أنه "الحركة التي بدأها محمد ﷺ"، فقال " وهذا يعنى أن المؤرخ من منتصف القرن العشرين - مع عدم إهمال الجوانب الدينية والفكرية للحركة التي بدأها محمد ﷺ أو التقليل من شأنها - يريد أن يسأل أسئلة كثيرة عن الخلفية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية "^(٣).

ثم خالف نفسه بوصف الإسلام كحركة فقال واصفا الإسلام تارة أخرى بأنه "حركة نضال" فقال: " ولا يمكن التعبير عن الإسلام كحركة للذين يملكون ضد الذين لا يملكون، وإنما الأقرب إلى الصحة أنه كان حركة نضال بين الذين يملكون والذين امتلكوا منذ وقت قريب "^(٤).

كما وصفه أيضا في موضع آخر بأنه " ظاهرة " في قوله: " ومع هذا فقد كان للصحراء الدور

(١) أقصد الدكتور الشيخ.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٧٤.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤١.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٨٨.

الأول في ظاهرة الإسلام ككل " (١).

وللرد على ذلك أقول: أقر وات في كتابه بأن الإسلام له رسالة، وأن هذه الرسالة جوهرها وأساسها ديني (٢)، ولا يلزم من كونها لا مست بعض الأمور الاقتصادية كونها حركة.

أضف إلى ذلك أن الله تعالى أرسل النبي ﷺ برسالة دينية سماوية ربانية، وأن ما وصف به الإسلام من كونه حركة شبابية نضالية ما هي إلا جزء من أجزاء من حقيقة هذا الدين.

فبالفعل كانت حركة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وكانت أيضا نضال لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ﷻ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

لكن لا يعنى هذا أو ذاك أنها حركة اجتماعية، أو نضال خارج عن كونه ديناً من الله تعالى، وفي موضع آخر من كتابه، يصف الكاتب الإسلام بأنه "الحركة الشبابية" في قوله: " والنقطة الأكثر أهمية التي تظهر من عرضنا هذا هي أن الإسلام الشاب كان في جوهره حركة شبابية (٣).

وللرد على ذلك أقول: إن كان قصد الكاتب أن أكثر من اتبع النبي ﷺ في المرحلة الأولى من الدعوة هم من الشباب، فهو مصيب في ذلك.

علما أن هناك من كبار السن من دخل في دين الله في هذه المرحلة، وتعليل ذلك أن ذلك لكون الشباب ليسوا على نفس الدرجة من ارتباطهم بأسلافهم من الآباء والأجداد، بل أقل.

وقد ذكر الله تعالى ارتباطهم بأسلافهم بقولهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٤). وطبيعة كبار السن أنهم مرتبطون ارتباطا وثيقا بأبائهم وأجدادهم أكثر من الشباب، ومرد كل الأمور عندهم آباءهم، وما لم يعرفه آباءهم فهو منكر بالنسبة إليهم قال تعالى حكاية عنهم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ (٦).

وأما إن كان مراد الكاتب كونه موجه للشباب دون غيرهم " وهو بعيد "، فالواقع يثبت عكس

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٩.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٧١.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٨٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.

(٦) سورة ص، الآية: ٧.

ذلك، إن كان في بداية الإسلام أو ما تلا ذلك.

ثم يأتي وات ليعطي انطبعا بأن الإسلام حركة خاصة للقرشيين، ولأهل مكة، كما بين ذلك في موضع آخر حين قال: "عدَّ محمد ﷺ نفسه في البدء مرسلًا لقريش خاصة" فقال: "لقد كان محمد يعتبر نفسه نبيا أرسله الله سبحانه في الأساس لقريش أو لقريش فقط، ولم يكن هناك إشارة قبل موت أبي طالب إلى أنه فكر في مد رسالته للعرب كافة" (١).

وللرد على ذلك أقول: الأمر لا يرجع لما عدّه رسول الله ﷺ، وإنما لما أرسله الله تعالى به، ثم أن واقع حال الإسلام اليوم يثبت عكس ما قال وات، فقد كتب الله لهذا الدين الانتشار في ربوع المعمورة. فالله جل جلاله أرسل النبي ﷺ وحدد له مهمته ﷺ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣).

وأما النبي ﷺ فذكر ذلك، كما في حديث: «وكان النبي يبعث لقومه خاصة، فبعثت للناس كافة» (٤)، وحديث: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي لِّلنَّاسِ كَافَّةً» (٥).

وقد أقر وات بنفسه في ذلك حين تنبأ لهذا الدين بأنه سيكون دين المستقبل (٦)، ولعل هذا كفاية للرد عليه من واقع كتبه.

كما قام بإظهار الإسلام كدين خاص للبدو، وليس لعموم العرب كافة، وأشار إلى أنه دين لعمل نقلة في حياة العرب، وذلك لنقلهم من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، فقال: "وقد افترضنا

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٧٤.

(٢) سورة سبأ - الآية: ٢٨.

(٣) سورة الأنبياء - الآية: ١٠٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، برقم: ٤٣٣ باب قوله ﷺ «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا» ج: ١، ص: ١٦٨، ومسلم في صحيحه، برقم: ١١١٥، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج: ٥، ص: ٤، أحمد في مسنده، حديث أبي ذر الغفاري ﷺ برقم: ٢١٠٥٢، الدارمي في سننه برقم: ١٣٩٥، باب الأرض كلها طهور ما خلا المقبرة والحمام، ج: ١، ص: ٣٢٢.

(٥) الهيثمي، مجمع الزوائد برقم ٩٥٨٦ باب عرض الإسلام والدعاء إليه قبل القتال ج: ٥، ص: ٥٥٤، السيوطي، جامع المسانيد والمراسيل، برقم ٦٧٠٠، ج: ٢، ص: ٤٧٢، الطبراني، الأحاديث الطوال، باب حديث رسول الله ﷺ إلى ملوك الأرض، ج: ٢، ص: ٥٩.

(٦) محمد ﷺ في مكة، ص: ٢٧٤.

فيما ذكرناه آنفا أن ظهور الإسلام مرتبط بالتغيير من حياة البداوة إلى الاقتصاد التجاري^(١). وقد أشار لهذه الجزئية حين ادعى أن مسألة تشريع الإنفاق كالزكاة والصدقات "إنما كانت إنتاجا لمثل عليا أخلاقية جديدة تتناسب وحاجات الحياة المستقرة"، فقال: "وعلى أية حال، فالمسألة لم تكن بسيطة، إنها ليست مجرد إحياء للمثل البدوية القديمة، وإنما كانت نتاجا لمثل عليا أخلاقية جديدة تتناسب وحاجات الحياة المستقرة"^(٢).

وأكد على هذه النظرية حين أعاد صياغتها بطريقة أخرى، فقال: "وقد افترضنا فيما ذكرناه آنفا أن ظهور الإسلام مرتبط بالتغيير من حياة البداوة إلى الاقتصاد التجاري"^(٣). ثم يعود ويدندن وات حول هذه القضية في موضع آخر، فيقول: "التغييرات المتعلقة بالزواج، وشرب الخمر، ربما لا تكون راجعة إلى عوامل إسلامية، وإنما إلى الاختلاف بين حياة البادية وحياة الاستقرار"^(٤).

ولرد على ذلك أقول: بل هي عوامل إسلامية بحتة، وعدم الالتزام بها سواء في حياة البادية أو حياة الاستقرار يؤدي لزعزعة الاستقرار ولمشاكل اجتماعية خطيرة كما هو حاصل الآن في المجتمعات التي لا تتبع هذا الأمر.

والرد عليه بما أقر هو به من خلال إطرئه على الإسلام، فقد أثبت أنه أساس للضمان الاجتماعي، وأن الجوانب الدينية في الإسلام مرتبطة بالجوانب الأخرى، فقال "لا يجب أن تعمى بصائرنا عن الحقيقة التي مؤداها أن الجوانب الدينية في الإسلام كانت دائما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالجوانب الأخرى"^(٥).

وخرج وات في وصفه للإسلام، عن كون الإسلام دين من الله تعالى، مدعيا قومية رسالة النبي ﷺ فزعم أنه "حركة التوسع العربي العظيمة"، فقال: "فلا بد أن محمدا كان واعيا بأفكار ومعان

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٦٢.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٨.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٦٢.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٦٧.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩٤.

أيديولوجية^(١) يمكن تطويرها لتكون أساسا لحركة التوسع العربي العظيمة^(٢).

وقد أكد على هذا الأمر أيضا في معرض حديثه عن الأنصار فقال: "لإيمانهم بأن الله سبحانه أرسل محمدا برسالة إلى العرب"، فقال: "والذي لا شك فيه، أن الأنصار كان لديهم بعض التحقق من هذه المضامين عندما قبلوا بالدين الإسلامي، لكن غالبهم كما نفترض قد أصبحوا مسلمين لإيمانهم بأن الإسلام هو الدين الحق، أو بتعبير أوضح لإيمانهم بأن الله سبحانه أرسل محمدا ﷺ برسالة إلى العرب"^(٣).

ويعتذر المترجم للكاتب بأن السياق هنا يعني أنه بعد انتهاء المرحلة القرشية "المكية" انتقل الإسلام إلى مرحلة أخرى "المرحلة المدنية"، فإن يك ذلك... فهو كما قال المترجم، مع التحفظ على أن رسالة النبي ﷺ معروفة من أول أمرها بأنها للعرب والعجم.

وكما وعدت في بداية البحث أن نفسح المجال لشهادة شاهد من أهل وات للرد عليه، فترك المجال لأحد المستشرقين للرد على هذه النقطة، وهو سير توماس أرنولد^(٤) الذي يرفض في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" هذه الرؤية الخاطئة فيقول: "من الغريب أن ينكر بعض المؤرخين أن الإسلام قصد به مؤسسه ﷺ في بادئ الأمر أن يكون دينا عالميا برغم هذه الآيات البيئات"^(٥).

(١) الأيديولوجيا أو الأيديولوجية باليونانية القديمة إيديا، «فكرة»، ولوغوس، «علم، خطاب»؛ بالعربية: الأدلوجة، الفكرية، الفكرانية، العقيدة الفكرية تناولت تعريفات عديدة جانباً أو أكثر من جوانب هذا المصطلح، بوصفه مفهوماً حديثاً، إلا أن التعريف الأكثر تكاملاً يحدد الأيديولوجيا بأنها "النسق الكلي للأفكار و المعتقدات و الاتجاهات العامة الكامنة في أنماط سلوكية معينة. وهي تساعد على تفسير الأسس الأخلاقية للفعل الواقعي، وتعمل على توجيهه. وللنسق المقدره على تبرير السلوك الشخصي، وإضفاء المشروعية على النظام القائم والدفاع عنه. فضلاً عن أن الأيديولوجيا أصبحت نسقاً قابلاً للتغير استجابة للتغيرات الراهنة والمتوقعة، سواء كانت على المستوى المحلي أو العالمي".

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩٦.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٨٣.

(٤) توماس أرنولد 1864 م - 1930 م: تعلم في كامبريدج، وقضى عدة سنوات في الهند أستاذاً في جامعة عليكرة، وأستاذاً للفلسفة في لاهور، ومساعداً لأمين مكتبة ديون الهند، وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن، ثم اختير عميداً لها، وكان معجبا بالإسلام متضلعا في علومه، منصفا له في أبحاثه عنه، فلم تعد عليه هفوة واحدة على ما كتبه في دائرة المعارف الإسلامية، وحقق من المصنفات فيه، وهو مقترح وضع مصنف في تراثه، ومرس أسسه، فعد مرجعا في الدراسات الإسلامية نجيب العقيلي - المستشرقون، ج: ٢، ص: ٨٤.

(٥) يستشهد أرنولد بالآيات التالية سورة الشعراء، آية ٦٩، ٧٠، سورة الأنبياء، آية: ١٠٧، سورة الفرقان، الآية: ١، سورة

ويضيف أرنولد: "لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب، بل للعالم أجمع نصيب فيها، ولم يكن هناك غير إله واحد، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة".^(١)

ولم يقف أرنولد وحده بمواجهة هذا الخطأ الواضح، إنما هناك كولدزيهر ونولدكه^(٢) وسخاو^(٣) الذي يؤكد: "أن الرسالة الإلهية ليست مقصورة على العرب، بل إن إرادة الله تشمل جميع المخلوقات، ومعنى ذلك خضوع الإنسانية كلها خضوعاً مطلقاً.

وقد كان لمحمد ﷺ بوصفه رسولا من الله حق المطالبة بهذه الطاعة، وقد كان عليه أن يطالب بها، وهذا ما ظهر من أول الأمر جزءاً لا ينفصل من جملة ما أراد تحقيقه من مبادئ"^(٤).

ها هنا ملاحظ منهج وات في تدرجه في حرف الفكرة الأساسية الصحيحة عن مسارها، فتارة يوهم بأنه نوع من الحركات الاجتماعية لإصلاح مجتمع مكة، ثم يوسع الدائرة قليلاً بجعل هذه الحركة لأهل البادية لعمل نقلة نوعية لهم، ثم يختتمها بقومية الإسلام.

أمر آخر أيضاً، أن الإسلام وأوامره ونواهيه، صالح لكل زمان ولكل مكان ولكل إنسان وفي كل الأحيان، وهو دين لحياة البداوة، والحياة المستقرة، وأي نوع من أنواع الحيوان.

فهو ليس دين مادي بحت، ولا دين رهباني، فلا رهبانية في الإسلام^(٥)، ومع ذلك فعبادة الله تعالى لا تبني على الاقتصاد التجاري، وما هذا إلا مغالطة في واقع الإسلام والمسلمين افترضها وات.

النور، الآية: ٧، سورة الصف، الآية: ٩.. الخ.

(١) نولدكه تمت ترجمته ص: ٢٥ .

(٢) كارل إدورد سخاو (١٨٤٥ - ١٩٣٠ م) هو مستشرق ألماني رحل إلى الشام والعراق، ونشر كتاباً بالألمانية عن رحلاته، كما أعد فهرساً للمخطوطات السريانية في مكتبة برلين. أصبح أستاذ سنة ١٨٦٩ و في سنة ١٨٧٢ أصبح أستاذ كرسي في جامعة فينبا، وفي عام ١٨٧٦ أصبح أستاذ في جامعة برلين، وفي عام ١٨٨٧ عُين أستاذ للغات الشرقية، أنشأ المدرسة الشرقية ببرلين، ومن منشوراته باللغة العربية عن البيروني (الأثار الباقية عن القرون الخالية و (تحقيق ما للهند من مقولة) و عن الجواليقي أربعة مجلدات (طبقات ابن سعد) وأكمله غيره و (المعرب من الكلام الأعجمي) أنظر ويكيبيديا، نقلا عن الموسوعة العربية الميسرة .موسوعة شبكة المعرفة الريفية. ١٩٦٥، الزركلي، خير الدين - الأعلام (1980) .

(٣) عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، ص: ١٣٤، نقلا من: أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص: ٤٨ - ٥٠.

(٤) العامري، الجدل الحديث في بيان ما ليس بحديث، باب لام ألف ج: ١، ص: ٢٥٨، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب النكاح، ج: ١٠، ص: ١٣٣، العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ج: ٢، ص: ٤٦٤، السرخسي، المبسوط في الفقه الحنفي، ج: ٤، ص: ١٩٢ .

=

مما يدل على أن هناك عدم وضوح رؤية في حديث وات عن الإسلام، وهذا الأمر إن دل على شيء فيدل على أن وات حين لم يقر بالمسلمات، فإنه يبدأ في التعليل والتحليل والتأصيل والتفصيل... الخ، بعيدا عن الواقع، ليبرر رفضه لهذه المسلمات. ثم يبدأ وات في المرحلة الثالثة من ثلاثيته، وذلك من خلال البدء شيئا فشيئا بالانتقاص، والطعن، بل والافتراء على الإسلام بما ليس فيه.

وما ذهب إليه وات غلط بيّن في سبب ظهور الإسلام، فالسبب الذي ذكره وات مخالف لما أخبر به ﷺ في جزء من الحديث الصحيح: "وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، وعزهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبئلك وأبئلي بك" (١).

فمثلا يعطى وصفا مخالفا للفكرة الأساسية عن الإسلام، مرة من خلال التقليل من شأن رسالة الإسلام، بوصفها ذات "أهمية ضئيلة نسبيا للرسالة" فيقول: "فالإرتباك الذي تسببه مثل هذه الآيات لأولئك الراغبين في التشكيك في صدق محمد ﷺ لا يجب أن يصرف الإنتباه عن الأهمية الضئيلة نسبيا للرسالة التي يريد أن يبلغها لهم أحد الموحدين (٢).

أو بأن يلمح إلى وجود "أفكارا جاهلية في ثوب إسلامي" فيقول: "ولقد ذكرت في موضع آخر أننا نجد بعض الأحاديث المعترف بها أفكارا جاهلية في ثوب إسلامي" (٣).

وللرد على ذلك أقول بداية لا يرفض الإسلام كل ما في الجاهلية، وهو ما أقر به وات بنفسه من خلال حديثه عن المحتوى القرآني، فقال: "وكانت استجابة القرآن لهذا الوضع ذات أبعاد مختلفة. فبتركيزه على السخاء والكرم "المقصود الصدقة والزكاة" إنما يجي جانبا من جوانب المثل القديمة عند العرب.

ولا يبنى أيضا من فراغ، وإنما على قواعد وأسس كانت موجودة بالفعل في الروح العربية" (٤).

(١) ونص الحديث رواه مسلم في صحيحه، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، ج: ١٧، ص: ١٦٦، برقم: ٧١٥٦، ابن حبان في صحيحه، ذكر الخصال التي يجب على المرء تفقدها من نفسه حذر إيجاب النار له بارتكاب بعضها، ج: ٢، ص: ١٧، برقم: ٦٣١، النسائي في سننه، باب قراءة القرآن على كل الأحوال، ج: ٥، ص: ٢٦، برقم: ٧٩٧٧.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٣١٢.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٨٠.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٧.

فلم يأت الإسلام لمحاربة كل أفكار الجاهلية، بل إن النبي ﷺ قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (١).

ولإثبات ذلك، وليبيان أمور أقرها النبي ﷺ وإن كانت في الجاهلية، فحدث ولا حرج، ومن ذلك مثلا ما ورد في قصة الأشج بن قيس رضي الله عنه حين أسلم وقومه في السنة السابعة من الهجرة، ثم قدم إلى النبي ﷺ في المدينة في السنة التاسعة.

فسبقه قومه إلى مسجد رسول الله ﷺ ليلتقوا به، أما هو فقد تباطأ كي يغتسل ويصلح من هندامه ويتعطر ثم دخل المسجد.

فإذا بقومه يلتفون حول رسول الله ﷺ، وإذا بالرسول ﷺ يرقبه وينادي عليه: "الأشج؟"، قال: نعم.

قال ﷺ: "ها هنا يا الأشج" .. وأشار إلى جواره وكان بجواره أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، فأفسح له أبو بكر رضي الله عنه.

فجلس الأشج رضي الله عنه بجوار رسول الله ﷺ، فوضع رضي الله عنه يده على كتفه وقال له: "إن فيك خصلتين يجبهما الله ورسوله، الحلم والأناة".

فقال الأشج: أخصلتان جبلت عليهما أم اكتسبتهما؟ قال رسول الله ﷺ: "بل جبلت الله عليهما يا الأشج" (٢)، وما ذلك إلا إقرار منه رضي الله عنه لأمر كانت في الجاهلية.

ومنها أيضا أن النبي ﷺ بعد فتح مكة زادها الله تشريفا قال لعثمان بن طلحة رضي الله عنه (٣) حين

(١) أحمد في مسنده: مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج: ٣، ص: ٨٠، برقم: ٨٨٨٢ بلفظ " صالح الأخلاق بدلا عن مكارم الأخلاق، أبي شيبة في مصنفه: باب ما أعطى الله تعالى محمدا رضي الله عنه، ج: ٧، ص: ٤٤٠، برقم: ٢٧٥٠٨ بنفس لفظ أحمد، البيهقي، في سنن البيهقي: باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ج: ١٥، ص: ٢٥٢، برقم: ٢١٢٤٢، الشهاب في مسنده، ج: ٢، ص: ١٩٢، برقم: ١١٦٥.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد باب ما جاء في الأشج رضي الله عنه ورفقته: ج: ٩، ص: ٦٤٨، برقم: ١٦٠٦٠، وعند مسلم في صحيحه: باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله رضي الله عنه، ج: ١، ص: ١٦٤، برقم: ٨٣، والترمذي في سننه، باب ما جاء في التأنى والعجلة: ج: ٦، ص: ١١٩، برقم: ٢٠١٨، وابن ماجه في سننه، باب الحلم، ج: ٢، ص: ١٤٠١، برقم: ٤٢٧٩.

(٣) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسمه عبدالله بن عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالدار العبدي حاجب البيت أمه أم سعيد بن الأوس قتل أبوه طلحة وعمه عثمان بن أبي طلحة بأحد ثم أسلم عثمان بن طلحة في هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وشهد الفتح مع النبي ﷺ فأعطاه مفتاح الكعبة وفي الصحيحين من حديث بن عمر قال دخل النبي ﷺ الكعبة ودخل معه بلال =

أعطاه مفتاح الكعبة: "خذوها - يعني حجابة الكعبة - يا بني طلحة خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم" (١)، فأقرهم ﷺ عليها كما كانت في الجاهلية.

كما أتى وات بصفات للإسلام، تنفي كونه ديناً من عند رب الأرض والسموات فمن ذلك أنه يسعى لفصل التوحيد عن الإسلام، فهل يقبل الإسلام بلا توحيد.

فقال: "لم تلعب الصحراء دوراً خلاقاً في نشوء مفهوم التوحيد عند محمد ﷺ، ومع هذا فقد كان للصحراء الدور الأول في ظاهرة الإسلام ككل" (٢).

وقد أقر غير واحد من الغربيين بالوحدانية التي دعى إليها الإسلام، فضلاً عن ما أقر به وات في ثنايا كتابه.

ومن أقر بذلك الأستاذ "ثالوني غبريال يسي" (٣) حين قال: "ليس هناك دين أنقى في التوحيد من الإسلام" (٤)، فهدف المستشرقين المعلن وغير المعلن هو هدم هذا الدين.

ثم ذهب وات لأبعد من ذلك، حين تصور بأن الرسول ﷺ لم يكن يعرف حتى أواخر العصر المكي الأبعاد الحقيقية لدعوته "الإسلام"، وأنها لقريش خاصة أو للعرب وحدهم فيقول:

"عدَّ محمد ﷺ نفسه في البدء مرسلًا لقريش خاصة، وليس لدينا أية وسيلة لمعرفة ما إذا كان ﷺ قد فكر بتوسيع أفق رسالته لتشمل العرب جميعاً قبل وفاة أبي طالب أو بعدها.

وقد اضطره تدهور وضعه ﷺ مع ذلك أن ينظر إلى أبعد من ذلك، فلا نسمع من ثم خلال سنواته الثلاث الآخرة في مكة إلا عن علاقته بالقبائل البدوية، وسكان الطائف ويثرب" (٥).

وعثمان بن طلحة وأسامة بن زيد الحديث ثم سكن المدينة إلى أن مات بها سنة اثنتين وأربعين قاله الواقدي وابن البرقي وقيل استشهد بأجنادين قال العسكري وهو باطل، الإصابة في تمييز الصحابة، العين بعدها التاء، ج: ٤، ص: ٣٧٣.

(١) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: كتاب الصلاة، ج: ٤، ص: ٢٤٧، النووي في شرحه على صحيح مسلم: ج: ٩، ص: ٧١، قال العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عباس رضي الله عنه رفعه بسند فيه عبد الله بن المؤمل، وثقه ابن معين في رواية، وابن حبان وقال يخطئ، وضعفه آخرون، ج: ١، ص: ٤٤٥.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٩.

(٣) لم أقف له على ترجمة، ولعل ذلك لاختلاف نطق الاسم وكتابه بين العربية والإنجليزية.

(٤) عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص: ٥٩.

(٥) هيا العنبي، تقرير موجز عن المستشرق مونتجمري وات، إشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود، محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٧٤.

فبالإضافة لسوء وصف وضع النبي ﷺ في مكة المكرمة، أضاف الكاتب لذلك جهله ﷺ بأبعاد دعوته، حاشاه ﷺ من ذلك.

ولرد على ذلك أقول (أن فهم السيرة لا يمكن أن يتم إلا وفق نظرة شمولية تدرس حركة الإسلام كخطوات في برنامج شامل مرسوم في علم الله، ومحدد في قرآنه. وأن الرسول ﷺ لم يكن سوى منفذ لهذا البرنامج بأسلوب يعتمد على قدراته وأخلاقياته وذكائه وإمكاناته الفذة في التخطيط والتنفيذ.

وبرغم أن القرآن نزل منجما وراحت آياته تنزل على مكث، لكي تلامس الأحداث وتعلق عليها بعد وقوعها، إلا أنه بمجموعه كمبدأ "أيدولوجية" لا يخرج عن نطاق كونه برنامجا إلهيا شاملا ترتبط ممارساته الجزئية بكليات شاملة محددة سلفا في علم الله. ومن ثم فإن "الظروف الراهنة" ليست هي الحتمية المؤقتة التي تحدد مسار الإسلام، وخطى رسوله ﷺ.

إنما هناك "الهدف" الذي يفرض أحيانا "وقفة" ضد الأعراف والظروف، "وتمردا" عليها، و"إنقلابا" شاملا على مواضعها. وهذا ما يبدو واضحا منذ أول لحظة في الشعار الحاسم الذي طرحه الرسول ﷺ بوجه الجاهلية، ألا وهو كلمة التوحيد "لا إله إلا الله".

فأي ظرف راهن، موقوت، أوحى بهذا الشعار الانقلابي الشامل الذي جاء يدمر على الوجود الجاهلي جل قيمه وأهدافه ومعالمه ومفاهيمه وعاداته وتقاليده) (١).

(ووات أسوة بجل الباحثين الغربيين يأخذ بالمفهوم الغربي الحديث للنمو التدريجي للأديان، أي أن الرسول أو النبي ﷺ يعمل وفق المقتضيات المرحلية لكل فترة تاريخية.

ومن ثم فإن منظوره للدين إنما هو وليد مواضع تلك الفترة، فهو لا يملك إبتداء رؤية شمولية عن أبعاد دوره كنبى ﷺ، وعن الملامح النهائية للعقيدة التي جاء لكي يبشر بها.

فمحمد ﷺ "على سبيل المثال" ما كان يعرف في المرحلة المكية أن الدعوة الإسلامية هي دعوة عالمية، بل ما كان يعرف أنها دعوة للعرب جميعا، ولم يتبين له ذلك إلا في فترات تالية، ووفق

(١) عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، - ص: ١٣٥.

الظروف التاريخية التي كان يجتازها حيناً بعد حين.

وقد يلبس هذا المفهوم الوضعي الخاطيء للدين، كحركة شاملة ذات أهداف محددة إبتداءً، مع واحدة من أشد الحقائق أهمية في مسيرة الأديان.

تلك هي أن كل دين سماوي لا يتنزل دفعة واحدة، ويطلب من المؤمنين به الالتزام بكافة واجباته ومنهياته... مرة واحدة.

إنما يتنزل على مراحل، وينبني تدريجياً عبر مدى زمني قد يطول وقد يقصر، وهو خلال صيرورته تلك، يتعامل مع المراحل التاريخية وفق معطياتها المرحلية لكي يقدر على مد الجسور وإقامة الحوار وتحقيق التأثير المطلوب.

هذا إلى أن النمو العقيدي، وفق هذا المنظور الحركي يحقق من النتائج الإيجابية ويبني من القيم ويعزز من المبادئ ما لا يتحقق عشر معشاره في حالة التنزل الكامل دفعة واحدة.

ولهذا تنزل القرآن الكريم على مراحل، وهو يقولها بوضوح ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾^(١).

وراح من خلال تنزله ذاك على مراحل، يبني الإنسان المسلم والجماعة المسلمة خطوة خطوة ولبنة لبنة، من أجل أن يستقيم البناء ويقدر، عن طريق الإلتحام بين التعاليم والتاريخ، أن يحقق هدفه حركياً... وليس وفق طرائق الجدل النظري واللاهوت.

ولكن هذا لا يعنى البتة أن الأنبياء عليهم السلام ما كانوا يرون أبعد من مواطنيهم أقدامهم... وأنهم ما كانوا يعرفون سوى مطالب المرحلة الزمنية التي يعملون خلالها، كما يرى المفهوم الغربي للتطور التدريجي.

إن وات يقع في إسار هذا المفهوم بسبب من كونه ابن بيئته الثقافية، لكي ما يلبث أن ينفذه في أكثر من مكان من كتابه عن محمد ﷺ فيقع في حشد من الأخطاء^(٢).

يقول د. الشيخ في حاشية الترجمة: " أكثر الآيات التي تكلمت عن عموم رسالة الإسلام نزلت في سور مكية، مما يدل على أن عموم الرسائل كان مفهومها لدى الرسول ﷺ من أول الأمر.

(١) سورة الإسراء - الآية: ١٠٦.

(٢) عماد الدين خليل، المستشرقون والسير النبوية - بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، ص: ١٧٧ - ١٧٨.

ويضاف أيضا: كيف له أن يدعى مثل هذا الادعاء وقد أثبتت كتب السيرة أن رسول الله ﷺ قد أعلنها من الأيام الأولى لدعوته حين قال لعمه أبو طالب أمام قريش: "يا عم كلمة واحدة تعطونها، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات"^(١).
كما يذكر وات قضية جد خطيرة إذا اعتقد صحتها فيقول: "ومن قبيل الموازنة مع الإتجاهات العربية القديمة، فإن على المرء أن يعتبر من هو خارج الجماعة الإسلامية عدوا، ما دام المجتمع الإسلامي قد حل محل القبيلة أو العشيرة كوحدة اجتماعية".

فهذا افتراء على الإسلام بما ليس فيه، فالله تعالى يقول في حق الأبوين الكافرين ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٢)؟

بل ومن أمره ﷺ لأسماء رضي الله عنها: "صلى أمك"^(٣)، وهي كافرة؟

ثم أن أحكام أهل الذمة تنفى ذلك أيضا؟

وهناك أمر آخر لا يكاد يخلو جزء من كتاب وات هذا وكتبه الأخرى، ألا وهو التعريض بالتأثر بالأديان والكتب السماوية السابقة، إن كان في معرض الحديث عن الإسلام أو القرآن أو الرسول ﷺ، لذا لم نفردها هذه المسألة بحثا مستقلا، وآثرنا إثارتها في موضعها المناسب، فجعلنا لكل مقام مقال.
(فيرى وات أن النبي ﷺ أخذ عن ورقة بن نوفل^(٤) في بداية الدعوة فيقول: "ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد ﷺ لسبب معرفته كتب المسيحية المقدسة، ولا شك أن المقطع القرآني حين رده محمد ﷺ قد ذكره بما هو مدين به لورقة".

ولهذا فمن الأفضل الافتراض بأن محمدا ﷺ قد عقد صلوات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج: ٣، ص: ١٢٢، ابن هشام في السيرة النبوية، قصة أبي أزيهر الدوسي، ج: ٢، ص: ٢٢٤، ابن إسحاق، السيرة النبوية، وفاة أبي طالب وما جاء فيه.

(٢) سورة لقمان، الآية رقم: ٣١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، ج: ٥، ص: ٢٢٣٠، برقم: ٥٩٧٩، الطيالسي في مسنده، ما روت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، ج: ٢، ص: ٢٩٠، برقم: ١٦٤٤، ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ج: ٢٨، ص: ٢٦٠، برقم: ٥٩٧٩.

(٤) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصي، أمه هند بنت أبي كثير بن عبد العزى، هو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان، الوافي بالوفيات ج: ٢٧، ص: ٢٢٣.

وتعلم أشياء كثيرة، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيرا بأفكار ورقة^(١)، هذا وغيره الكثير مما يفيض به الكتاب من محاولة الربط بين الإسلام واليهودية والنصرانية^(٢).

وللدرد على ذلك أقول أنه من الغريب أن وات يؤكد على أنه " لا يكاد يكون ضروريا لدراسة حياة محمد ﷺ تحديد الأهمية النسبية للتأثيرات اليهودية والمسيحية، خاصة وأن كثيرا من التفاصيل هي موضع خلاف.

ولكن الضرورة الرئيسة هي أن ندرك أن مثل هذه الأشياء كانت منتشرة قبل مجيء القرآن إلى محمد ﷺ، وأنها كانت جزءا من إعداده وإعداده بيئته لرسالته^(٣).

ويؤكد وات على ذلك في هذا الشأن فيقول: "وعلى هذا فالعلم الصحيح، وكذلك النزاهة اللاهوتية التي ينبغي أن يتحلى بها المؤرخ، تقتضى أن القضية المطروحة عن تأثير الأفكار اليهودية والمسيحية وربما غيرهما على أهل مكة في القرن السابع للميلاد، وليس على محمد ﷺ نفسه بل وأكثر من هذا على القرآن الكريم، هذه النزاهة تقتضى منا أن أقول أن هذا التأثير:

١ - غير مؤكد.

٢ - كما أنه قضية غير بسيطة، أي: لا يمكن إطلاق القول فيها على عواهنه.

٣ - وجود هذا التأثير غير المباشر، أو التأثير الناتج عن البيئة المشتركة لا يعنى أن التأثير المباشر يجب إنكاره تماما^(٤).

بل إن المنطق السليم ليوجب في هذه الحالة أن أقول أن تشابه النصوص في الإسلام والأديان قبله، دليل على أن الدين من عند الله، وأن الإسلام دين حق، لأن الله تعالى يقول ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ

(١) في ترجمة الشيخ: " فمن بين الرجال الذين عرفناهم مع محمد ﷺ، فإن ورقة كان على صلة وثيقة بمحمد ﷺ، وكان معروفا بدراساته للأناجيل فهذه الآيات القرآنية الأنف ذكرها " إقرأ... " كانت تذكر محمدا ﷺ عند قراءتها بما هو مدين لورقة بن نوفل به... ومن الأسهل أن نفترض أن محمدا ﷺ كان على صلة متباعدة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة على الوحي، والأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة، ص: ١٢٠.

(٢) أمجاد الربابعة، مباحث في الاستشراق، بإشراف الدكتور خالد، القاسم - جامعة الملك سعود، محمد ﷺ في مكة، تعريب شعبان بركات - ص: ٩٣، تعريب دكتور عبد الرحمن الشيخ فيه اختلاف بالألفاظ وبرقم الصفحة - ص: ١٢٠.

(٣) ولعل الأولى أن أقول نزول القرآن عوضا عن أن أقول مجيء القرآن، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتِّعَافُ الْأَعْرَابِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ سورة الأعراف، الآية: ٧.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٣٠٨.

مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴿١﴾.

بعد أن تم الرد على هذه النقطة من خلال إقرار وات، لا بد من إقرار مسائل مهمة، ألا وهي:
أولاً: أن شريعة الإسلام شريعة ناسخة لكل الشرائع السابقة، أما ما ورد في الشرائع السابقة،
فإن لم يخالف شريعة الإسلام فهو من شريعتنا أيضاً، والقاعدة تقول: "شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد
ناسخ من شرعنا" (٢).

الأمر الثاني: أن النبي ﷺ أجاز الإخبار عن بني إسرائيل، فقال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا
حرج" (٣)، فإن كان رسول الله ﷺ يتلقى كما يزعمون، فلم الإذن بالحديث عنهم؟ الجواب: لأن شريعته
ناسخة لكل الشرائع السابقة.

الأمر الثالث: أن أي تشابه وتوافق فمرده إلى أن مصدر التشريع في الأديان الثلاثة واحد، وهو
رب الأرض والسموات.

ولكن لا يفهم من هذا كله أن الأمر على عواهنه، بل له ضوابط وحدود، ولا يفهم منها أيضاً
أن الإسلام نقل من اليهودية أو النصرانية.

بعد إقرار ذلك، أرجع إلى وات الذي اهتم في كتبه (بإبراز تاريخية العلاقة بين الإسلام من جهة
واليهودية والمسيحية من جهة أخرى).

ورسم لهذه العلاقة إطاراً عاماً بناه اعتماداً على رؤيته للمراحل التاريخية والاجتماعية التي سادت
في الجزيرة العربية قبل انطلاق دعوة محمد ﷺ وبعدها (٤).

وبعد أن أوردنا ما أقر به وات على نفسه، أقول بأن (كلام "وات" في هذا السياق يخضع لنقد
كبير؛ إذ أن زعمه بأن لأصحاب الديانات كل هذا النفوذ والتأثير لا يتناسب مع الأثر الواقعي في ذلك

(١) سورة الشورى - الآية: ٢٨.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب البيوع، ج: ٥، ص: ١٨، العيني، عمدة القاري شرح صحيح
البخاري، كتاب المناقب، ج: ١٦، ص: ١٠٢، النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ج: ١٥، ص: ٧٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج: ٣، ص: ٢٤٤، برقم: ٩٩٣٣، أبو داود في سننه، باب الحديث عن بني
إسرائيل، ج: ١٠، ص: ٩٦، برقم: ٣٦٦٣، ابن حبان، ذكر الإباحة للمرء أن يحدث عن بني إسرائيل، ج: ٦، ص: ٤٠، برقم:
٦١٤٥.

(٤) أمجد فورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتائبون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات
أمودجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٤.

الزمان.

فلماذا لم يقدرُوا أن يغيروا شيئاً من وثنية العرب على مدى ألفي سنة؟
وإذا كان لهم كل ذلك التأثير، فلم لم ينصروهم أو يهودوهم وقد خلت لهم الساحة قبل بعثة
محمد ﷺ؟

ولم لم يحدثوا فيهم ذلك الأثر والانقلاب الذي أحدثه الإسلام فيهم^(١)؟
(وإذا كان الله تعالى قد تكفل بأرزاق الناس، وجعلهم شركاء في رزق أجسامهم فهل يفرق بينهم
في رزق الروح وغذائها؟
هذا إذا سلمنا بأوجه الشبه وما أقلها، وما أكثر ما خالف فيه القرآن المقدس خلافاً
جذرياً)^(٢).

وأما دعوى أنه تعلم التوحيد من الكتابين فبطلانها ظاهر، لأن التوحيد هو الفطرة وهو الأصل،
والتعدد هو الخارج عن الأصل والزائد عليه.

وما كان مركوزاً في الفطرة، لا يحتاج إلى التلقي والتعليم، وإنما يحتاج إلى التثليث والوثنية.
كما في الحديث عنه ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو
يمجسانه "^(٣)، وهي قضية قررها علماء الاجتماع وعلم النفس.

كما أن التوحيد هو دين إبراهيم عليه السلام، وكان الحنفاء^(٤) يذهبون إليه ولم يعرف نصارى العرب

(١) أجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات
أنموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٤،
ص: ٥٥، محمد ﷺ في مكة - ص: ٨٧ .

(٢) عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص: ٢٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: باب ما قيل في أولاد المشركين: ج: ١ - ص: ٤٦٥، رقم: ١٣٦١، أحمد في مسنده، مسند أبي
هريرة رضي الله عنه، ج: ٢، ص: ٤٦٤، رقم: ٧١٦١، الترمذي في سننه، كتاب القدر: ج: ٦، ص: ٢٨٦، أبي داود في سننه، باب في
ذراري المشركين: ج: ١٢، ص: ٤٨٧، رقم: ٤٧٠٦.

(٤) الحنيفية هي دين إبراهيم، مؤسس الديانات الإبراهيمية. بحسب الإسلام هو الاعتقاد عملاً وقولاً بالإيمان بأن الله هو الخالق
وهو واحد ليس له شريك وأن جميع العبادات القلبية الحسية من حب وخوف ورجاء والعبادات البدنية المادية الفعلية تصرف له
من صلاة وزكاة ونحوهما، وأن الرسل الذين جاءوا بالدعوة لله هم عباد الله ورسول منه يدعون لعبادته، ومن أشهر حنفاء العرب قبل
الإسلام أمية بن أبي الصلت، زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة. وذلك اقتداءً بإبراهيم الخليل أول الحنفاء وسيد الحنفيين
ورأس الحنيفية.

التوحيد حتى يقول فوستر (١) أن محمدا ﷺ أخذه عنهم، ففاقد الشيء لا يعطيه (٢).

ولعل أمر هذا المبحث يمكن تلخيصه في حقيقة جلية، وهذه الحقيقة تتمثل في النقاط التالية:
(تأثر الحضارات والشعوب بعضها من بعض واقتباس بعضها من بعض هو أمر طبيعي، ولكن الزيف العلمي والتجني على الحقيقة هو أن نفقد التمييز بين مفهوم الأثر والتأثير الطبيعي بين الحضارات، وبين اتهام القرآن باقتباس مضامينه من الآثار اليهودية والمسيحية (٣).

- إن هذا التشابه الظاهر بين الديانات الثلاث هو النتيجة الطبيعية لأديان مصدرها الأساسي واحد، وهذا هو الفرق في منهج المسلمين ومنهج المستشرقين في التعامل مع الوقائع التاريخية (٤).
- إن إصرار المستشرقين في نفي صفة الوحي الإلهي عن القرآن، يجعلهم يقصون القرآن عن المنزلة التي يستحقها بين الكتب السماوية، ويزيد مقدار الهوة بين ادعاءاتهم ومزاعمهم، وبين الحقيقة القرآنية الربانية.

وفي نهاية هذا المبحث يبرز التساؤل المنطقي: إذا كانت للنبي ﷺ قبل مبعثه كل هذه الاتصالات، فلماذا لم يعتنق اليهودية أو المسيحية؟

إذا كانت كل هذه التأثيرات اليهودية والمسيحية منتشرة في الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ فلماذا لم نجد أن أهل الجزيرة العربية قد تحولوا لليهودية أو المسيحية؟
إن الحجم الذي أعطاه "وات" لقضية التأثير اليهودي المسيحي على الجزيرة العربية قد أخذ بعدا غير حقيقي، بل أقرب إلى الخيال، إذ أن واقع الروايات التاريخية وواقع نتائج تلك المرحلة تسير في اتجاه

(١) فوستر فرانك: مستشرق له شبهة: " أن محمدا ﷺ نادر مبدع، ابتكر النثر الفني الادبي" ويرد عليه ديزيريه بلانشيه" كفي هذا القرآن مجدا وجلالا أن الأربعة عشر قرناً التي مرت عليه لم تستطع أن تحفف أسلوبه، بل لم يزل غزواً كأن عهده بالحياة أمس" ويكفي أن الصناعة الوحيدة لقريش كانت الشعر وبسهولة كان يمكن كشفه وتعريه كذبه لو كان كاذبا كما يدعي المغرضون، ومقولته هذه هي مقولة أغلب المستشرقين، ومنهم وات، وهذا هو سبب إيرادنا لمقولته، المرجع: <http://rasoulallah.net>.

(٢) عبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ١٥٢.

(٣) أمجد قورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات نموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٨ نقلًا عن نقد الخطاب للحاج - ص: ٢٨٥، ٢٨٦، عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، تونس، ١٩٨٥م، ص: ١٦٥.

(٤) عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية - تونس ص: ١٦٥.

=

معاكس للاتجاه الذي سلكه وات) (١).

وهنا ندرك أن منهج وات وإن اختلف في أسلوبه وتنوعت أدواته، إلا أنه في نهاية الأمر لا يخالف سلفه وخلفه من المستشرقين، بل يصل للنتائج التي توصل إليها سائر المستشرقين، مع التأكيد على عدم وجود اختلاف جوهري فيما بينهم.

إن النجاح العظيم للنبي ﷺ لا يتصور أن يكون قائماً على تصيد معلومات ناقصة وخرافية من عوام الكتائبين.

وإلا فقد ادعى النبوة آخرون افتضح أمر كذبهم، وبعضهم كان يجمع إلى أدق ضروب الختل (٢)، ثقافة علمية عالية.

(ثم إن نجاح الدعوات الدينية لا يكفي للوصول إليه إقامة الدليل القاطع على حقائقها فحسب، ولكن يجب أن يصحب هذا سمو خلقي عظيم، وتأثير روحاني كبير.

وهكذا كان لمحمد ﷺ النصيب الأوفى من السمو والتأثير، والله لا يؤيد بالنجاح متنبئاً كذاباً، وإلا بطلت حجته - سبحانه - على عباده الذين يخالفون تعاليمه.

على أن التوراة والإنجيل لم يكونا منشورين بحيث يستطيع عامة اليهود والنصارى أن يحفظوا منهما شيئاً.

فإن أول طبعة عربية للعهد القديم قد نشرت بعد المسيح بتسعة قرون، أي بعد موت محمد ﷺ بما يقرب من ثلاثة قرون.

بينما أول طبعة رسمية عربية للعهد الجديد قد ظهرت بعد ذلك بقرنين، كما قال بودلي (٣)، ثم

(١) أجمد قورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتائبون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونترجمري وات أمودجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٨.

(٢) الختل والختلان: الخداع.

(٣) كولونيل رونالد فيكتور كورتيناوي بودلي (١٨٩٢م - ١٩٧٠م) هو مستشرق بريطاني التحق بالجيش البريطاني عام ١٩٠٨م، وتدرج في رتبة إلى أن وصل رتبة كولونيل عندما ترك الخدمة الحكومية ذهب ليعيش بين عرب الصحراء، لأنه - كما يقول في مقدمة كتابه - كان ضجراً من التعقيدات التافهة التي جاءت عقب الحرب العالمية الأولى، وبقي مع الأعراب سبع سنين، وسمع عن محمد الرجل الذي وُحِدَ حفنة من القبائل المتنافرة المتنافسة، وجعلهم دعامة إمبراطورية من أعظم إمبراطوريات العالم قوة، وسمع عنه أنه الرجل ذو القلب الحار الذي حوّل الوثنيين وعبدة الأصنام إلى مؤمنين صادقين، يؤمنون بإله واحد وباليقين وبالمتبع والبعث في الحياة الأخرى. هذا ما قاله في مقدمة كتابه: "الرسول". لم أقتنع بتحليل بودلي وسبب مجيئه من عاصمة الضباب - لندن - ليعيش

قال: وما روي عن أن ورقة بن نوفل كان لديه ترجمة للتوراة لا تكفى لإقامة شبهة تلقى محمد ﷺ عنها شيئا، لأن ورقة توفي قبل أن يبدأ محمد ﷺ في تدوين ما أوحى به جبريل عليه السلام إليه. ثم إننا الآن بعد عصر الطباعة لا نرى النصارى واليهود يحفظون شيئا من كتابهم المقدس، لأن أسلوبه لا يستساغ حفظه) (١).

وقد رد أحد أبناء هذا الدين على هذه المسألة بسؤال جد خطير: "هل تصلح المسيحية للبشرية الآن؟".

(قال فيلسوف الاجتماع الشهير "جان جاك روسو" (٢) وهو مسيحي لحما ودما: ويقولون لنا أنه إذا وجد شعب من المسيحيين الحقيقيين فإنهم يؤلفون مجتمعا هو أكثر المجتمعات التي نتصورها كمالا، وأنا لا أرى في هذا الفرض سوى صعوبة كبرى واحدة... وهي أن المجتمع المكون من مسيحيين حقيقيين لا يعود مجتمعا بشريا.

بل أقول أيضا: إن هذا المجتمع المزعوم لن يكون رغم كل كماله أقوى المجتمعات ولا أدومها... فبقدر كماله ستعوزه الرابطة، وستكون جرثومة هلاكه في كماله ذاته".

ثم قال: "إني أخطئ إذا تحدثت عن جمهورية مسيحية، فالكلمتان متناقضتان، إن المسيحية تبشر بالعبودية والطاعة، وروحها ملائمة أكثر مما ينبغى للطغيان، ويستغل الطغيان دائما هذه الحقيقة الصالحة: أن المسيحيين الحقيقيين خلقوا ليكونوا عبيدا) (٣).

ويقول أيضا: (إن المسيحية بدلا من أن تربط قلوب المواطنين بالدولة تبعدها عنها باعتبارها من

سبع سنين مع بدو الصحراء. والراجح عندي - والله أعلم - أنه كان يقوم بمهام استخباراتية استعمارية تنصيرية لمصلحة التاج البريطاني، وهي ظاهرة معروفة في الدوائر الاستشراقية والاستعمارية والتنصيرية، مهدي رزق الله أحمد، مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه "الرسول حياة محمد" دراسة نقدية، موقع المكتبة الشاملة.

(١) عبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ١٥٧.

(٢) جان جاك روسو (1712م، 1778م)، ولد في جنيف في ٢٨ يونيو ١٧١٢م، ولد عليلا ضعيفا، وكان الأمل في حياته طفيفا وتولته عمته بعنايتها حتى أنقذته، وأسرته روسو فرنسية الأصل، نزحت من باريس لأسباب دينية واستقرت في جنيف في عام ١٥٢٩م، وكانت أمه سوزان برنار مليحة القسما، موفورة الحيوية واسعة الثقافة تحب الموسيقى وتقرأ القصص وتقرض الشعر، وقد كلفتها ولادته حياتها، المرجع: نجيب المستكاوي جان جاك روسو، حياته، مؤلفاته، غرامياته، ص: ٧.

(٣) عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ١٧٢، نقلا عن عبد الكريم أحمد، العقد الاجتماعي، ص: ٢٣٧.

أشياء الدنيا، ولست أعرف شيئاً أكثر تناقضاً مع الروح الاجتماعية من ذلك^(١).
 (كما أن عيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل لم تتهياً له الأسباب لظهور مقتضيات الأخلاق
 جميعاً، كما تهيأت للنبي ﷺ.
 فالمسيح لم يتزوج حتى نقتدى به في حياتنا الزوجية، ولم يتول سياسة البشر وحكم الناس حتى
 نتأسى به في هذا.
 فكان محمد رسول الله ﷺ هو النموذج المتكامل الذي يحتاج إليه البشر، وكان القرآن الكريم
 بياناً وافياً يحتوي على ما يفى مطالب البشرية الخلقية والروحية، فنزل وحي جديد بعد محمد ﷺ،
 والحالة هذه يعد ضرباً من التكرار والعبث^(٢).
 المواعظ التي تنسب إلى عيسى عليه السلام وأقواله الأخرى لا تفي بالعرض ولا تشفى الغليل، وخالصة
 ما أثر عنه - حسبما دونه أصحابه - أن المسيحية دين يقوم على المحبة والشفقة، وعلى مبادئ مثالية
 لا يمكن تطبيقها من الناحية العملية.
 وليس هذا كل ما في الأمر كما يقول "أرنولد بنت"^(٣) بحق، فمبادئ المسيحية لا تناسب إلا
 حياة الرهبان الذين يعيشون بمعزل عن الناس، ولا تتفق مع مقتضيات الحياة الاجتماعية والوطنية
 والدولية^(٤).

(١) المرجع السابق، ص: ١٧٣، نقلاً عن عبد الكريم الخطيب، النبي محمد ﷺ - ص: ٤٤٥.

(٢) عبد المتعال الجبري - السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص: ١٦٠ - ١٦١.

(٣) أرنولد بنت Arnold Bennett " ١٨٦٧ - ١٩٣١ " روائي ومسرحي وناقد إنجليزي، ولد بالقرب من هانلي Hanley في
 منطقة ستافوردشاير Staffordshire وتوفي بالتيفويد في لندن. المرجع موقع المعرفة <http://www.marefa.org>.

(٤) عبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص: ١٦٠.

* الإسلام ورأي وات فيما كتب عنه:

تطرق الكاتب في كتابه هذا لمن سبقه وعاصره من المستشرقين عند كتابتهم عن الإسلام، ويبين ذلك ما له من سعة إطلاع، وقوة في أدوات بحثه.

١ - فقال ناقدا كايثاني^(١): "أما أوسع الدراسات، فهي دراسة كايثاني في كتابه "حوليات الإسلام"، وليس من الصعب تصحيح مبالغته في الشك^(٢)"^(٣).

٢ - وعاب على فلهوزن^(٤) فقال: "كانت معالجته للمصادر معالجة غير علمية، فقد رفضها ورضي أن ينساق وراء أفكاره وأحكامه المسبقة، ولم يخضع للمبادئ الموضوعية"^(٥).

٣ - كما عاب على لامانس^(٦) أيضا، فقال: "لامانس يفترض صدق النظرية التي يحاول إثباتها"^(٧).

٤ - وقد وصف الكاتب أقرانه ومن سبقه، فقال: "بأن علماء الغرب لم يكونوا دائما مخلصين

(١) الأمير ليونه كايثاني (١٨٦٩م - ١٩٢٦م) ولد في رومة وتخرج من جامعتها وتعلم سبع لغات منها الفارسية والعربية، وتقلد سفارة إيطاليا في واشنطن،، وقد رحل إلى الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان، وجمع مكتبة شرقية زاخرة بالمخطوطات النفيسة، وأضاف إليها ما عده من جذاذات، وما استنسخه من مكتبة الأب أسين بلاثيوس لنشر مصنفاته، فلما توفي وقفها على مجمع لنشاي فضمت ٢٠٠,٠٠٠ جذاذة جاهزة لاستئناف التصنيف، وقد عد الأمير مؤلفاته أكبر مستشرق في التاريخ الإسلامي، ومرجعا صحيحا لكثير من العلماء لما اشتهر به من عمق وسعة ودقة، نجيب العقيلي، المستشرقون، ج: ١، ص: ٤٢٩ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٤ .

(٣) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ٢٠٢ .

(٤) يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤م - ١٩١٨م) باحث توراني ومستشرق ألماني، صاحب الفرضية الوثائقية، المرجع: موقع المعرفة .

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩٨ .

(٦) هنري لامانس: مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي، شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقارا تاما إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجا سيئا جدا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين، ولد في مدينة خنت في بلجيكا في أول يوليو سنة ١٨٦٢م، وجاء إلى بيروت في صباه، وتعلم في الكلية اليسوعية ببيروت، وبدأ حياة الرهينة في ١٨٧٨م فأمضى المرحلة الأولى في دير لليسوعيين في قرية غزير في جبل لبنان طوال عامين، ثم قضى خمسة أعوام في دراسة الخطابة واللغات، وإنتاج لامانس يدور حول موضوعين رئيسيين (أ) السيرة النبوية، (ب) الخلافة الأموية، لكن له إلى جانب ذلك كتب ودراسات حول موضوعات متفرقة في العقيدة الإسلامية، وتاريخ سوريا وآثارها، وتوفي لامانس في ٢٣ أبريل ١٩٣٧م، عبد الرحمن البدوي، موسوعة المستشرقين، ص: ٣٤٧ .

(٧) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩٩ .

لمبادئهم العلمية، وأن استنتاجاتهم تحتاج إلى مراجعة، حتى من وجهة النظر التاريخية البحتة" (١).
 ٥ - كما اختصر الكاتب الأمر بإقرار منه عن علماء الغرب، فقال: "فالدراسات الغربية للقرآن كانت غالباً غير صحيحة" (٢)، وسيتم عرض ذلك في هذا البحث لإظهار الأخطاء التي وقع فيها وات، وعابها هو بنفسه على غيره.
 لا يمكن إنكار ما لوات من (إسهامات كبيرة الى حد ما في الذب عن الإسلام أمام الأخطاء المنهجية التي يقوم بها بعض الغربيين في تشويه صورة الاسلام، وهذا ما أدى الى اعتباره لدى البعض بأنه مستشرق محايد) (٣).
 (وقد تعرض وات للدراسات الاستشراقية السابقة التي تناولت الإسلام في مجموعة واسعة من كتبه، أبرز من خلالها جوانب مختلفة لطبيعة هذه الدراسات.
 ولعل من أهم القضايا التي ناقشها تلك التي تتعلق بمواقف مؤلفي هذه الدراسات المسبقة من الإسلام، وأثر ذلك على النتائج المتحققة لدراساتهم.
 ولا نغفل عن ذكر أهم نقد انتقده عليها، ألا وهو مجانبة كثير من هذه المؤلفات للحقيقة فيما يتعلق بدراسة الإسلام وجوانبه المتعددة تاريخياً، وقرآناً، وسيرة) (٤)، وفي هذه الجزئية سنتطرق لإظهار ما وقع فيه وات مما عابه على غيره.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤١.

(٢) محمد ﷺ في مكة، ص: ٨١.

(٣) أمجد فورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات نموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٤٩، ٥٠، نقلا عن: عبد المحسن، ماذا يريد الغرب من القرآن، مجلة البيان، السعودية، ص: ١٥٤، العالم، المستشرقون والقرآن، ص: ٨٥، ٨٦.

(٤) أمجد فورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الكتابيون لإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات نموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٩.

المبحث الثاني: الوحي.

قبل الدخول في خضم هذا المبحث لا بد أن أذكر الفرق بين الوحي والقرآن الكريم، ليتضح مراد الكاتب من الطعن في كل منهما.

ولتفصيل القول في هذه المسألة سينقسم بيان توجهات الكاتب حول القرآن الكريم والوحي إلى قسمين:

الأول: من حيث تلقيه عن طريق جبريل الأمين عليه السلام وهو "الوحي".

والثاني: من حيث محتوى القرآن الكريم ككتاب منزل من رب الأرض والسموات.

* أولاً: الوحي:

التعريف اللغوي:

الوحي في اللغة: هو الإعلام السريع الخفي.

ويطلق الوحي على: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، وكل ما ألقته على غيرك حتى علمه

فهو وحي كيف كان، وهو لا يختص بالأنبياء ولا بكونه من عند الله تعالى.

والوحي بمعناه اللغوي يتناول:

١- الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ

أَرْضِعِيهِ﴾^(١).

٢- الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ

بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(٢).

٣- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا عليه السلام لقومه. قال تعالى: ﴿فَنَجَّحَ عَلَيْنَا

قَوْمَهُ مِنَ الْحَرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٣).

٤- وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَيْكَ

أُولِيَايَاهُمْ لِيَجِدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٤).

(١) سورة القصص - الآية: ٧.

(٢) سورة النحل - الآية: ٦٨.

(٣) سورة مريم - الآية: ١١.

(٤) سورة الأنعام - الآية: ١٢١.

٥- ما يليه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْتِي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(١).

التعريف الشرعي: هو "إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة".

* أنواع الوحي:

لتلقي الوحي من الله تعالى طرق بينها الله تعالى في سورة الشورى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ﴾^(٢). فأخبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب:

* المرتبة الأولى: الوحي المجرد:

وهو ما يقذفه الله في قلب الموحى إليه مما أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله، ودليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾^(٣).

ومثال ذلك ما جاء في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"^(٤). وألحق بعض أهل العلم بهذا القسم رؤى الأنبياء في المنام، كرؤيا إبراهيم عليه السلام على ما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ﴿كَأَلَيْسَ إِنَّيَأَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾^(٥).

وكرؤى النبي صلى الله عليه وسلم في بداية البعثة على ما روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي، الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"^(٦).

(١) سورة الأنفال - الآية: ١٢.

(٢) سورة الشورى - الآية: ٥١.

(٣) سورة الشورى - الآية: ٥١.

(٤) الشهاب في مسنده، ج: ٢، ص: ١٨٥، برقم: ١١٥١، السيوطي، جامع المسانيد والمراسيل، الهمة مع النون من الجامع: ج: ٢، ص: ٣٥٧، برقم: ٥٩٢٩، عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الجامع: ج: ١١، ص: ١١١، برقم: ٢١١٦٤.

(٥) سورة الصافات - الآية: ١٠٢.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج: ١، ص: ٤، برقم: ٣، مسلم في صحيحه، باب

* المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة:

كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء:

كتكليم الله لآدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١).
وكتكليم الله تعالى لموسى عليه السلام على ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه فقال تعالى:
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (٣).
وكتكليم الله تعالى لنبينا محمد عليه السلام ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة، ودليل هذه المرتبة
من الآية قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ (٤).

المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة الملك:

ودليله قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (٥)، وهذا كنزول جبريل عليه السلام بالوحي
من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة، تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله وعنه، وبلغه جبريل عليه السلام
لمحمد عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَنْزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ (٦)،
وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (٧).
ولجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا عليه السلام ثلاثة أحوال:

١ - أن يراه الرسول عليه السلام على صورته التي خلق عليها، ولم يحصل هذا إلا مرتين:

بدء الوحي إلى رسول الله عليه السلام، ج: ٢، ص: ١٦١، برقم: ٣٥٨، أحمد في مسنده، مسند السيدة عائشة رضي الله عنها، ج: ٧، ص: ٢٢٠، برقم: ٢٤٨٠٥، صحيح ابن حبان، ذكر البيان بأن الكذب على المصطفى عليه السلام من أفرى الفرى، ج: ١، ص: ٨٦، برقم: ٣٣، البيهقي في سنن البيهقي، باب مبتدأ البعث والتنزيل، ج: ١٩، ص: ١٩٥، برقم: ١٨٠٨٥.

(١) سورة البقرة - الآية: ٣٧.

(٢) سورة النساء - الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الأعراف - الآية: ١٤٣.

(٤) سورة الشورى - الآية: ٥١.

(٥) سورة الشورى - الآية: ٥١.

(٦) سورة الشعراء - الآية: ١٩٢ - ١٩٤.

(٧) سورة النحل - الآية: ١٠٢.

=

رآه مرة بالأفق من ناحية المشرق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ (١٣) (١).
ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء، وهذا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) عند
سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (١٥) (٢).

٢ - أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنه وقد وعى الرسول ﷺ ما قال:
قالت عائشة: ﷺ ولقد رأيتُه ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد فينفصم عنه وإن جبينه
لينفصد عرفاً (٣).

٣ - أن يتمثل له جبريل ﷺ في صورة رجل ويخاطبه بالوحي:
فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل
شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد.
حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: "يا محمد
ﷺ أخبرني عن الإسلام".

فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم
الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً".
قال ﷺ: "صدقت"، قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه، قال: "فأخبرني عن الإيمان".
قال ﷺ: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال:
"صدقت".

قال: "فأخبرني عن الإحسان". قال ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".
قال: "فأخبرني عن الساعة". قال ﷺ: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".
قال: "فأخبرني عن أمارتها"، قال ﷺ: "أن تلد الأمة ربتهها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء
الشاء يتطاولون في البنيان".

(١) سورة التكوبر - الآية: ٢٣.

(٢) سورة النجم - الآية: ١٣ - ١٥.

(٣) صحيح ابن حبان، ذكر وصف نزول الوحي على رسول الله ﷺ، ج: ١، ص: ٨٩، برقم: ٣٨، وعند البخاري في صحيحه
بمعناه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج: ١، ص: ٤، برقم: ٢، وأحمد في مسنده، مسند السيدة عائشة ﷺ،
ج: ٧، ص: ٣٦٦، برقم: ٢٥٧٩٩.

قال: "ثم انطلق"، فلبثت مليا، ثم قال لي ﷺ: "يا عمر، أتدري من السائل؟" قلت: "الله ورسوله أعلم" قال ﷺ: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" (١).

وقد أخبر النبي ﷺ عن الحالتين الأخيرتين، في إجابته للحارث بن هشام رضي الله عنه لما سأل رسول ﷺ فقال: "يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟"، فقال رسول الله ﷺ: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول" (٢) (٣).

فالوحي عند علماء المسلمين، هو إعلام الله تعالى أنبياءه إما بكتاب أو برسالة ملك في منام، أو إلهام بأن ينفث في روع النبي ﷺ ما يريد الله إبلاغه له.

وفي الحديث أيضا: "بيننا أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت" (٤).

وعند نزول الوحي على الرسول ﷺ، يزداد وزنه، حتى يثقل على ناقله إذا نزل عليه الوحي وهو راكبها، قال ابن القيم في زاد المعاد: إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها (٥).

وقد قال زيد بن ثابت رضي الله عنه (٦) كاتب الوحي في صفة حال الرسول ﷺ حين نزل عليه الوحي،

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان: ج: ١، ص: ١٣٤، برقم: ٥٩، أحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج: ١، ص: ٤٨، برقم: ١٩٢، أبي داود في سننه، باب في القدر: ج: ١٢، ص: ٤٥٩، برقم: ٤٦٨٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ج: ١، ص: ٤، برقم: ٢، ومسلم في صحيحه، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي: ج: ١٥، ص: ٧٤، برقم: ٦٠١٢، أحمد في مسنده، مسند السيدة عائشة رضي الله عنها، ج: ٧، ص: ٢٢٧، برقم: ٢٤٨٥٤، ومعنى فصم: أي أفلع وانكشف.

(٣) محمد أبو شهبه، تفسير الوحي، موقع تفسير القرآن وعلومه 8-1-1. <https://sites.google.com/site/islamicssites/>

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ج: ١، ص: ٥، برقم: ٤، مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ج: ٢، ص: ١٦٧، برقم: ٣٦١، أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ج: ٤، ص: ٢٧٢، برقم: ١٤١٩٥، الترمذي في سننه، باب ومن سورة المدثر: ج: ٩، ص: ١٩٧، برقم: ٣٤٥٢، البيهقي في سننه، باب ما كان مطالبا برؤية مشاهدة الحق، ج: ١٠، ص: ١٧٩، برقم: ١٣٤٩٨.

(٥) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد رضي الله عنه: ج: ١ - ص: ٧٠، صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم في سيرة النبي المعصوم رضي الله عنه، ص: ٧٨.

(٦) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو سعيد وقيل أبو ثابت وقيل غير ذلك في كنيته استصغر يوم بدر ويقال إنه شهد أحدا ويقال أول مشاهدته الخندق وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك وكانت أولا مع عمارة بن حزم

وكان فخذة ﷺ على فخذ زيد رضي الله عنه، فوالله ما حدث ووجدت شيئاً أثقل من فخذ رسول الله ﷺ^(١).
(فظاهرة الوحي كانت مشاهدة، ومعها الوعي الكامل بما أوحى به إليه، ولم يخلط ﷺ - ولا مرة واحدة - طيلة العصر القرآني الذي يضم كل مراحل التنزيل بين شخصيته الإنسانية المأمورة المتلقية، وشخصية الوحي الأمرة المتعالية.

وكان إذا نزل عليه الوحي ولو ببعض آية، دعا أحد كتاب الوحي فأملى عليه ما نزل من القرآن. وضمنا لحفظ القرآن من أن يخلط بالحديث قال ﷺ: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"، وفي رواية بحذف لفظ "علي" أو "من كذب متعمداً"^(٢) ^(٣).

(إن الإنتقائية المرفوضة في منهج البحث العلمي التي سلكها وات في كتابه ليست إلا ليصل إلى نتيجة اعتقدها ويريد تقريرها وهي التشكيك في أن القرآن وحي من الله تعالى.

إن الذي يريد أن يصل إليه وات من كل تلك المحاولات والتحريفات هو أن القرآن ليس كلاماً أتى به محمد ﷺ من الله أو بوساطة ملك، إنما هو شيء نابع من نفسه وتفكيره وعقله)^(٤).
ذكر الكاتب في معرض بيانه للنقد الكلامي لنبوة محمد ﷺ "أن أعداء النبي ﷺ نقدوا قوله كني يتلقى الوحي من الله تعالى، ونقضوا عملية الوحي في حد ذاتها، وبين أن ادعاءاتهم التي أشاعوها حول الوحي هي:

فأخذها النبي ﷺ منه فدفعها لزيد بن ثابت فقال يا رسول الله بلغك عني شيء قال لا ولكن القرآن مقدم وكتب الوحي للنبي ﷺ وأمه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي وقال أبو هريرة حين مات اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في بن عباس منه خلفاً، الإصابة في تمييز الصحابة، ذكر من اسمه زيد، ج: ٢، ص: ٤٩٠.

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند زيد بن حارثة رضي الله عنه، ج: ٦، ص: ٢٤٥، برقم: ٢١٢٨٤، أبو داود في سننه، باب الرخصة في القعود من العذر: ج: ٧، ص: ١٨٤، برقم: ٢٥٠٨، ابن حبان، ج: ٥، ص: ٧٥، برقم: ٤٦٢٣، البيهقي في سننه، باب من اعتذر بالضعف والمرض والزمانة والعذر، ج: ١٣، ص: ٢٣٧، برقم: ١٨١٧٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم: ج: ١٨، ص: ١٠٣، برقم: ٧٤٥٩، أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ج: ٣، ص: ٤٢٩، برقم: ١١١٠٦.

(٣) عبد المتعال الجري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ٧١ - ٧٢.

(٤) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ١٧٤.

=

= الأول: أن محمدا ﷺ مجنون أو بتعبير آخر تملكه جن، لكنهم افترضوا أيضا أنه كاهن ينمق الكلام، كما افترضوا أنه ساحر أو ساحر شاعر^(١).

وبين أن الهدف من هذه الادعاءات هو "تكذيب محمد ﷺ وليس بقصد تحويل من آمنوا به إلى مصادقين لهم"، وذكر أيضا "بأن القرآن فند ادعاءاتهم وكذبها" فقال:
" هذه الإدعاءات قد يكون الهدف منها هو تكذيب محمد ﷺ فحسب، وتشويه صورته، وليس بقصد تحويل من آمنوا به إلى مصادقين لهم، وعلى أية حال فقد كان منوئوا محمد ﷺ يعتقدون بشكل عام أن تصوراتهم صحيحة، وقد فند القرآن الكريم إدعاءاتهم وكذبها " ^(٢).
أضف إلى ذلك أنهم إن وصلوا لمرادهم الأول، وهو تكذيب محمد ﷺ، فالأمر الثاني يكون تحصيل حاصل.

= الثاني: تأكيدهم بأن الوحي إنتاج بشري قد وضعه بنفسه أو ساعده على وضعه بشر آخرون، وأن هذا القول بلا شك يفترض أن محمدا ﷺ يتلقى معلوماته من الجن فقال:
" والمحاولة الثانية التي قام بها معارضوا محمد ﷺ فيما يتعلق بالوحي هو تأكيدهم على أنه إنتاج بشري، أي: إما أن محمدا ﷺ قد وضعه بنفسه، أو ساعده على وضعه بشر آخرون " ^(٣).
ويعلق الكاتب على هذه المسألة في موضع آخر فيقول: "ليس هناك صعوبة كبيرة في القول أن الشكل المحكم لهذه القصص ومعناها البعيد ومقاصدها التي تقصد إليها قد وصلت لمحمد ﷺ عن طريق الوحي، وليس نتيجة اتصاله بمصدر بشري مزعوم " ^(٤).

= أما الثالث: فمساره أنه ﷺ لم تكن شخصيته من النوع الذي يأتيه الوحي ^(٥).
وهنا يبرر الكاتب هذا النقد بسوء أدب في الكلام عنه ﷺ، مدعيا أن التركيز على عدم أهمية محمد ﷺ لا بد أن يصرفه المرء نحو الحقبة المكية ^(٦)، ونرجئ الرد على ذلك، حين نتعرض للحديث

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٥٩.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٦١.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٣١١.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٦١.

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٦٢.

عن رسول الله ﷺ إن شاء الله تعالى (١).

بل إن الكاتب ذكر أيضا أن النبي ﷺ يستحث الوحي فقال: (تؤخذ كلمة " مدثر " عادة على أنها تعنى مغطى بدثار، فإذا كان هذا المعنى صحيحا فإن فعل ذلك له علاقة ما بتلقى الوحي، فرما يكون ذلك لحث الوحي، أو وهو الأكثر احتمالا لحماية المتلقى من خطر التجلي الإلهي) (٢).

وأكد على ذلك في موضع آخر فقال: "من الممكن أن يكون محمد ﷺ قد طور بعض الأساليب والتقنيات " الأساليب " للإستماع إلى الوحي "

وقال أيضا: " وسيكون أمرا شائقا أن نعرف ما إذا كان محمد ﷺ لديه أية طريقة لحث الوحي على النزول عليه، إننا لسنا متأكدين مما إذا كان وضع نفسه في دثار يحقق هذا الغرض، والأكثر معقولة أن الوحي ينزل على غير توقع، وأخيرا - على أية حال - من الممكن أن يكون محمد ﷺ قد طور بعض الأساليب والتقنيات " الأساليب " للإستماع إلى الوحي (٣).

ولرد على مسألة حث الوحي أقول: ما ذكره وات يعطي إجماع بأن الأمر راجع له ﷺ، والأمر ليس كما وصفه وات، إنما هو تعليم من الله تعالى لنبيه ﷺ، لأن نزول الوحي إنما هو بأمر من الله تعالى ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٤).

بل وتأخر الوحي عليه ﷺ إنما كان تعليما له ﷺ، فرسول الله ﷺ قد يلجأ للدعاء والتوسل إلى الله، طلبا لنزول الوحي لحل مشكلة واجهته، أو إجابة سؤال استعصى عليه (٥).

وقد (كرر الكاتب مسألة إستدعاء الوحي أو استجلابه هذه عدة مرات في كتبه، وهي تساير

(١) أنظر الفصل الثالث، ص: ١٠١ من البحث .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٥ .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٢٩ .

(٤) سورة مريم - الآية: ٦٤ .

(٥) كحادثة الإفك المشهورة، عند البخاري في صحيحه، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، ج: ٢، ص: ٩٤٢، ومسلم في صحيحه، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ج: ١٧، ص: ٨٧، وأحمد في مسنده، مسند السيدة عائشة (رضي الله عنها)، ج: ٧، ص: ٢٧٩، ومثال آخر كواقعة سؤال قريش للنبي ﷺ عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، وعن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وعن الروح ما هو؟ ونزول جبريل عليه السلام بالجواب، رواه الطبري في تفسيره، سورة الكهف، ج: ١٥، ص: ١٢٦، القرطبي في تفسيره، ج: ١٠، ص: ٣٤٦، ابن كثير في تفسيره، ج: ٥، ص: ١٢٢ .

بالطبع نظريته لأنه إن كان الوحي أمرا داخليا ذاتيا، فلا غرابة أن يتعلم صاحبه كيف يستجلبه ويستحدثه سواء بالتنويم الذاتي كما يقول الكاتب أو بغيره من الوسائل.

ولكن مشكلة الكاتب كما ذكرت أنه لا يريد أن يلقي بهذه التهم كما يلقي بها الملحدون المنكرون للوحي، من غير نظرة في سيرة الرسول ﷺ، بل يريد أن يجد لها شواهد من هذه السيرة، فإذا أوعزته الشواهد الحقيقية، تمسك بأوهام وعدها شواهد.

وإلا فكيف يخطر ببال إنسان أن يكون "الدثار" وسيلة لإستجلاب الوحي، والذثار كما تحدثنا الروايات إنما حدث مرة واحدة، وحدث بعد الوحي وخوفا منه.

وجاء الوحي بعده ليأمره بإلقائه ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ (١) فَمُنْذِرًا (٢) وَرَبِّكَ فَكَثِيرًا (٣)﴾ (١).

ثم إذا كان محمد ﷺ قد تعلم طريقة يستجلب بها الوحي ويصحح أخطائه، فلا بد أن يكون واعيا بهذه الطريقة، وإلا فكيف يتعلم الإنسان طريقة، وهو لا يعي أنه يتعلمها؟

وإذا كان واعيا، فهو إذن يعلم أن الوحي ليس أمرا خارجيا، وإنما هو شيء ذاتي يحدثه هو في نفسه، فكيف يكون إذا صادقا في قوله إنه من الله؟

وإذا قلنا انه لم يكن واعيا حتى بهذا، فكيف يفسر وات مثل هذا السلوك من إنسان يعده أمينا عاقلا غير مجنون، سليما غير مريض، حوله رجال عقلاء أقوياء.

كيف يعيش رجل كهذا في مثل هذا الوهم طيلة ثلاث وعشرين سنة؟ وكيف يتابعه في هذا الوهم طيلة هذه المدة هؤلاء الرجال العقلاء الأقوياء؟ (٢).

ثم أن الكاتب في هذه الجزئية من البحث " حث الوحي "، يورد دليلا ضد فكرة يطرحها هو بنفسه ألا وهي "خوف رسول الله ﷺ من تجربة الوحي، وهمه بقتل نفسه فقال: "ويمكن تمييز تجربتين خاضهما الرسول ﷺ، الأولى الخوف من تجربة الوحي، والثانية يأسه الذي أدى به إلى التفكير في الإنتحار (٣)".

وللرد على ذلك أقول: إن كان الأمر راجع للنبي ﷺ في نزول الوحي من عدمه، فلم الخوف من هذه التجربة إذا؟

(١) سورة المدثر، الآيات (١ - ٣).

(٢) جعفر شيخ إدريس، منهج مونجمري وات في دراسة نبوة محمد ﷺ، ص: ٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٧.

ثم إن كان هناك سبيل لحث الوحي على النزول، أو أن هناك أساليب وتقنيات لذلك، فلم لم يسلك رسول الله ﷺ هذا السبيل، وهو بلا شك خير له من أن يقتل نفسه.

وإنما أوردنا هذه التهمة، لأن الشيء بالشيء يذكر، وسنتطرق لهذه المسألة مرة أخرى في معرض حديثنا عن رسول الله ﷺ ونظرة الكاتب إليه (١).

كما أن الكاتب قد طرح أمرا آخر في أمر الوحي ذاته، فيقول: "لا بد أن محمدا ﷺ قد ميز بشكل واضح بين ما يأتيه وحيا كما يعتقد، وبين ما ينتجه عقله الواعي" (٢)، ومن ثم ينقضها بقوله: "وإذا صدقنا محمدا ﷺ، فإن القرآن ليس نتاج عقله الواعي" (٣).

وإتماما للفائدة في هذه المسألة لا بد من التنويه لعدة نقاط:

أولا: ذكر الكاتب أن الوحي هو اعتقاد من محمد ﷺ، وهو ما يوهم بأن هذا الأمر فيه نسبة من الشك، ليس من الله تعالى.

ثانيا: ما ذكره عن عقله الواعي ﷺ، يوهم بأن هناك قرآنا من إنتاج العقل الواعي للنبي ﷺ وليس وحيا من الله.

ثالثا: أن الأمر فيه تفصيل:

فالوحي: من الله تعالى مباشرة، بأحد الطرق التي سألها الذكر سابقا.

أما الأمر النبوي: فهو تشريع من الله تعالى بلسان نبيه الكريم ﷺ.

- بينما العقل الواعي: فهو تصرفه ﷺ كبشر، وقد قال تعالى على لسان نبيه ﷺ في القرآن الكريم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (٤)، ففي هذه الآية أثبت الله له ﷺ صفة البشرية، كما أثبت أيضا تلقيه للوحي، وأن الأمر ليس نتاج عقله الواعي.

ويتطرق الكاتب لوصف الوحي بصفات عديدة، يكون نتاج هذه الصفات الشك في الوحي، وإكتمال القرآن.

فمن ذلك أنه يقول: "وعلى أية حال، فرمما يكون محمد ﷺ قد فعل شيئا في الوحي

(١) أنظر الفصل الثالث من هذا البحث ص: ١٣٠ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ١٢١ .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥ .

(٤) سورة الكهف - الآية رقم: ١١٠ .

المنزل عليه، كإعادة ترتيب الآيات الموحى بها.

وربما يكون قد حاول أن يصوب النص إذا أحس أن النص الموحى به يحتاج إلى إصلاح، ويعتقد أهل السنة بالناسخ والمنسوخ^(١).

وتارة أخرى يذكر أن النبي ﷺ كان "يشك في إكمال الوحي"، وأنه ﷺ كان يحصل لديه آيات ضائعة.

بل ذكر أيضا أن "النبي ﷺ كان له أسلوب لتصحيح القرآن الكريم"، فيقول: "على أية حال، فمن الممكن أن يكون محمد ﷺ قد طور بعض الأساليب للإستماع إلى الوحي.

ربما من خلال قراءته للقرآن الكريم قراءة هادئة بالليل، خاصة عندما كان يشك في إكمال الوحي، وقد تكون هذه طريقة لإكتشاف الآيات الضائعة، ولا بد أن التفاصيل المتعلقة بهذا الأمر ستظل محل تخمين.

ويبدو مؤكدا أن محمدا ﷺ كان لديه أسلوب أو آخر لتصحيح "أو تنقيح" النص القرآني باكتشاف الصيغة الصحيحة لما أوحى إليه ناقصا أو غير صحيح^(٢).

هنا الكاتب يطعن بالوحي من عدة جهات، ويترك احتمالية لوقوع كل من هذه المطاعن في الوحي من حيث:

= وجود نقص في القرآن.

= أو الشك في إكمال الوحي.

= أو احتمال وجود آيات ضائعة.

= أو وجود صيغة صحيحة وأخرى غير ذلك.

= أو تصحيح القرآن الناتج عن وجود أخطاء فيه.

إن واحدة من هذه المزاعم، كفيلة بهدم التسليم بكاملية كتاب الله تعالى، وكونه من الله تعالى. وفي هذا تناقض تام لما ذكره في بداية كتابه "أنه لن يجزم بأن القرآن وحي من عند الله، ولا أنه من وضع محمد ﷺ".

أما لالتماس العذر للكاتب فأقول، بأنه لعل مراده في هذه المسألة الناسخ والمنسوخ من آيات

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٢١.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٢٩.

الله تعالى، وقد خانه اللفظ في التعبير، إذ أن هناك آيات قد نسخت حكماً، وبقيت تلاوة كما هو معلوم.

فأقول مستعينا بالله تعالى: أما الوحي فقد إكتمل، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١)، ومن حيث الصحة والخطأ فلم يوحى لرسولنا الكريم ﷺ وحي ناقص أو غير صحيح ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢).

ومسألة الناسخ والمنسوخ لا خطأ فيها، وإنما هي دعوة مرحلية تمر بفترة لها أحكام، ثم فترة أخرى لها أحكام أخرى، كمسألة شرب الخمر ومراحل تحريم شربها معروفة بتدرجها. وقد أشار الكاتب بنفسه إلى ذلك من خلال تعرضه لأصالة القرآن الكريم فقال: "لقد حل القرآن الكريم مشاكل اجتماعية وأخلاقية وعقلية، ولكن ليس دفعة واحدة، وإنما على مراحل وتدرج غير محسوس"^(٣).

ولا يتطرق إلى الذهن أن هذه الدعوة المرحلية تكون في مسألة من مسائل العقيدة الأساسية، فأول أمر الدعوة هو التوحيد الخالص، وختامها لم يزعج عن ذلك البتة.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤)، بل إن الله تعالى تعهد بجمع القرآن الكريم، وأمر نبيه الكريم ﷺ بالتؤدة وعدم الإستعجال عند قراءته، فقال ﷺ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٥) ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ ﴿٥﴾.

وفي معرض شرح وات حول الروح أورد هاتين الآيتين للإستدلال بهما على وجهة نظره ﴿مَا نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(٧) ﴿٤﴾.

(١) سورة المائدة - الآية: ٣.

(٢) سورة الأنعام - الآية: ٣٨.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٦٤.

(٤) سورة الحجر - الآية: ٩.

(٥) سورة القيامة - الآية: ١٧.

(٦) سورة الحجر - الآية: ٨.

(٧) سورة القدر - الآية: ٦.

كما استدلت وات على أمر الوحي بآيتي سورة الحجر، وسورة القدر بجانب الصواب في استدلاله. حيث ادعى أنه لم يرد ذكر الملائكة حاملين الرسالة إلى النبي ﷺ إلا في مرحلة أخرى، واستدل بقوله تعالى: ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾^(٢).

وللد على ذلك أقول: هنا من الواضح أن المؤلف قد أخرج هذه الآيات عن سياقها، فأية سورة الحجر مسبوقه بالآيتين التاليتين ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴾^(٣)، فكانت الآية رقم (٨) الآنف ذكرها ردا على طلبهم، وفي آية سورة القدر ليس هناك إشارة إلى نزول الملائكة فحسب. وأكثر من هذا ففي الحقة المكية ليس هناك ذكر - على قدر ملاحظتي^(٤) - لسماع النبي ﷺ ما أنزل إليه، وربما لذلك يجب أن نتصور أن الروح يأتي بالرسالة إلى قلب محمد ﷺ أو عقله بطريقة ما غير التحدث إليه^(٥).

وينتقل وات بعد ذلك لوصف كيفية من كيفيات الوحي على نبينا ﷺ فيقول "بأن سماع الصلصلة" صوت الجرس "بعد تجربة تخيلية" فيقول: "وإذا نحينا جانبنا الملك الذي يأتي في هيئة بشرية فإن ما هو موصوف في الحديث ينطبق على الحالة الأولى، فلا شك أن سماع الصلصلة يعد تجربة تخيلية"^(٦).

وللد على ذلك أقول: الكلمة هنا لا تحمل المفهوم الدارج عن تصور ما لا وجود له في الواقع، فقط طبقها بولين^(٧) على القديسين المسيحيين بمعنى مختلف^(٨).

وبالغ وات في مسألة التخيل في الوحي واصفا الكيفية الثانية من كيفيات الوحي بأنه "من النوع الكلامي التخيلي" فيقول: "وعبارة" من وراء حجاب "تفيد أن المتكلم لم يظهر (أو لم يكن هناك

(١) سورة الحجر - الآية: ٨.

(٢) سورة القدر - الآية: ٤.

(٣) سورة الحجر - الآية: ٨.

(٤) والكلام هنا للدكتور عبد الله الشيخ.

(٥) تعليق الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ - ص: ١٢٥.

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٢٦.

(٧) لم أقف له على ترجمة لعدم وجود الإسم كاملا.

(٨) تعليق الدكتور عبد الله الشيخ في الحاشية، ص: ١٢٦.

رؤية) وهذه الحقيقة (حقيقة وجود متحدث) بالإضافة إلى ذكر كلام أو حديث تتضمن أن هناك كلمات مسموعة، وبالتالي فالوحي هنا من النوع الكلامي التخيلي^(١).

فالكاتب يستخدم مصطلحات بولين التي طبقها على القديسين المسيحيين، كما أنه يصف تجربة موسى ﷺ بالمصطلحات نفسها.

لكن المسألة الجوهرية هي أن كل هذا لا ينطبق عليه المنهج العلمي السليم، سواء بالنسبة لموسى ﷺ أو محمد ﷺ، لسبب بسيط وهو:

أن إمكانية الدراسة العملية أو المادية أو حتى التحليلية غير متوفرة، إننا نتحدث عن أنبياء لا عن بشرية عادية.

رغم أن المؤلف - نقلاً عن بولين - قد استخدم هذا المصطلح الذي قد لا يعنى ما توحيه كلمة الخيال في استخدامها الدارج.

إلا أن المسلمين، وغير المسلمين، لا يقبلون استخدام هذه المصطلحات عند إطلاقها على الأنبياء، بل وعلى الصالحين والأولياء... الخ^(٢)، فالإسلام دين أخلاق.

وقد حاول الكاتب في كتابه أن يثبت أن الوحي موجه للعرب خاصة، فقال: أن الوحي "صيغ في مصطلحات تعبر عن المفاهيم والصيغ الفكرية للعرب المعاصرين ونظرة أهل مكة.

فمن غير العربي يختار الجمل دون غيره من مخلوقات الله للدلالة على عظمة الله سبحانه؟ والصفات الأخرى التي يشير بها القرآن لقدرة الله سبحانه هي بلا شك متناسبة مع العرب خاصة، وأفعال الكرم التي يحث عليه القرآن الكريم تتمشى مع المثل البدوية القديمة " ^(٣).

وقد أكد على هذا الأمر أيضاً ^(٤) في معرض حديثه عن الأنصار مدعياً إيمانهم بأن الله سبحانه أرسل محمداً ﷺ برسالة إلى العرب، والذي لا شك فيه أن الأنصار كان لديهم بعض التحقق من هذه المضامين عندما قبلوا بالدين الإسلامي، لكن غالبهم كما نفترض قد أصبحوا مسلمين لإيمانهم بأن الله سبحانه أرسل محمداً ﷺ برسالة إلى العرب " ^(٥).

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٢٧.

(٢) تعليق د. عبد الله الشيخ في الحاشية، ص: ١٢٧، ١٢٨.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٦٤، ١٦٥.

(٤) أي أن الوحي موجه للعرب خاصة.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٨٣.

وقد اعتذر المترجم للكاتب بأن السياق هنا يعني أنه بعد انتهاء المرحلة القرشية "المكية" انتقل الإسلام إلى مرحلة أخرى "المرحلة المدنية"، ففعل الأمر كما قال.
وإلا فإن الرد على الكاتب بأن أقول بأنه عمم المسألة ولم يخصصها بمرحلة مكية أو مدنية، وكذا ما استدل به من الآيات أيضا.

أما رسالة الإسلام فهي للناس كافة، عرهم وعجمهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَنَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨)، ولا أدل على ذلك من انتشاره في جميع أرجاء المعمورة.

كما أن هناك الكثير من الآيات التي ذكرت الآيات الكونية في العديد من مواضع القرآن الكريم، كالسماوات والأرضين، والجبال والبحار... الخ.
وأمر أخير وهو أن هذا الدين القويم، دين لكل زمان، ولكل مكان، وللإنس والجان، ليس حصرا على العرب دون غيرهم، أو أهل البادية دون غيرهم.

يقول وات أيضا في معرض حديثه عن الوحي: " في هذه الفترة (٢) خاطب الوحي محمدا ﷺ باعتبار رسول الله ﷺ " (٣).

فأقول... بأي اعتبار كان ينزل جبريل عليه السلام قبل ذلك، ألا يعلم جبريل عليه السلام قبل ذلك أنه رسول الله ﷺ؟ ألم يشق صدره الشريف؟
والناموس الذي نزل على موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام... أليس هو نفسه جبريل عليه السلام كما ذكر ذلك ورقة بن نوفل؟

أو ينزل جبريل عليه السلام من تلقاء نفسه، أم أنه مرسل من قبل ربه؟ والله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ (٤).

علم البشر والحجر قبل بعثته أنه رسول الله ﷺ... فقد علم بحيرا الراهب (٥) بأمره بمجرد رؤيته

(١) سورة سبأ - الآية: ٢٨.

(٢) أي فترة الانتقال من خصوصية الوحي إلى عموميته.

(٣) محمد ﷺ في مكة، ص: ١١٦.

(٤) سورة مريم - الآية: ٦٤.

(٥) بحيرا الراهب رأى النبي ﷺ قبل مبعثه، وآمن به روى ابن عباس أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة

ﷺ؟ بل وحذر عمه عليه من اليهود؟ لعلمه بعداوتهم للأنبياء؟

وأما الحجر، فقد علم برسالته قبل البعثة فعن جابر، أن النبي ﷺ قال: "إنَّ بمكَّة حجراً كان يُسَلِّم عليَّ قبل أن أُبعث، إنِّي لأعرفه الآن" (١).

ولا بد بداية أن نعلم "أن جميع المستشرقين - متسامحهم ومتعصبهم - يتأثرون بوسطهم الثقافي المعادي للإسلام إلا من أسلم منهم، وهم قلة كما تعلمون.

مثل ناصر الدين دينيه "أتين دينيه" (٢) "صاحب" محمد رسول الله ﷺ، و"أشعة من نور الإسلام" وهو فرنسي.

ومثل موريس بوكاي (٣) "الذي قارن بين القرآن والإنجيل والتوراة، ولما تبين له أن الكتب السماوية محرفة تتناقض مع العلم.

وأن القرآن لا يتناقض مع أي حقيقة علمية ثابتة، عندئذ أعلن تشهده وإيمانه بنبوة محمد ﷺ وبأن القرآن كلام الله، وهو من كبار العلماء الفرنسيين في الطبيعيات.

وهؤلاء قلة أمام الكثرة التي استمرت تصور الرسالة الإسلامية على أنها هرطقة، فهم يرون أن

سنة، والنبي ابن عشرين سنة، وهما يريدان الشام في تجارة، حتى إذا نزلوا منزلاً فيه سدرة قعد النبي ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب اسمه بجيرا يسأله عن شيء. فقال له: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: ذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال له: هذا والله نبي، ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم إلا محمد، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فلما نبيء النبي ﷺ اتبعه أبو بكر ﷺ، أخرجه ابن منده وأبو نعيم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الباء بعدها الحاء، ج: ١، ص: ١٩٤.

(١) المري، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ج ٢، ص: ١٥٤، برقم: ٢١٦٥، رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج: ٢، ص: ٢٤٥، برقم: ٢٠٢٨.

(٢) ألفونس إتيان دينيه أو نصر الدين دينيه ١٨٦١م - ١٩٢١م، تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضى في بلدة بو سعادة نصف السنة من كل عام وابتنى بها قبرا وأشهر إسلامه، وتسمى بناصر الدين "١٩٢٧م" وحج إلى بيت الله الحرام "١٩٢٨م"، صنّف بمعاونة سليمان بن إبراهيم "محمد في السيرة النبوية"، وله بالفرنسية حياة العرب، وحياة الصحراء وأشعة من نور الإسلام والشرق في نظر الغرب، والحج إلى بيت الله الحرام، المرجع: نجيب العقبي، المستشرقون، ج: ١، ص: ٢٢٨.

(٣) موريس بوكاي بالفرنسية ١٩٢٠م - ١٩٩٧م، ولد من أبوين فرنسيين، وترعرع كما ترعرع أهله في الديانة النصرانية، ولما أنهى تعليمه الثانوي انخرط طالباً في كلية الطب في جامعة فرنسا، فكان من الأوائل حتى نال شهادة الطب، وارتقى به الحال حتى أصبح أشهر وأمهراً جراح عرفته فرنسا الحديثة، وأعلن إسلامه في مؤتمر طبي بالمملكة العربية السعودية، أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته "لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن، وكان ذلك في عام ١٩٨٢م، له كتاب "القرآن والتوراة والإنجيل... والعلم"، وكتاب "القرآن الكريم والعلم العصري، المرجع: موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص: ٩ - ١٢ بتصرف.

=

الإسلام هرطقة وحركة خارجة عن النصرانية^(١)، وأن الرسول ﷺ لم يكن نبيا موحى إليه. وإنما كان على حد أحسن تعبيراتهم وهو ما يقوله مونتجمري وات: "إن محمدا ﷺ صادق لأنه يجيل إليه أنه بعث نبيا، وأنه يحمل رسالة، وأنه يوحى إليه"^(٢). كانت مشكلة الوحي تواجه المستشرقين، ولا يتمكنون من إعطاء تفسير لها إلا باللجوء إلى الإتهامات التي سبق أن ذكرت على لسان الجاهلين في مكة عند نزول الإسلام^(٣).

(١) المرطقة: إصطلاح يطلق على المنشقين عن الكنيسة النصرانية - أكرم ضياء العمري، موقف الاستشراق من السنة والسيرورة النبوية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الدعوة - نقلا من الشبكة الإسلامية .
(٢) المرجع السابق، ص: ٥٩، ٦٠ نقلا من الشبكة الإسلامية .
(٣) المرجع السابق، ص: ٦١ .

* ثانياً: القرآن الكريم:

بداية أذكر تعريف القرآن لغة وإصطلاحاً، ثم لموضوع هذا المبحث وهو رأي وات في القرآن الكريم.

* تعريف القرآن في اللغة:

أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} * فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ{^(١) ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ذلك ما نختاره استناداً إلى موارد اللغة، وقوانين الاشتقاق، وإليه ذهب اللحياني وجماعة^(٢).

* أما إصطلاحاً:

فهو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المأقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.
(إن القرآن الكريم قد أثار الانتباه ولفت الأنظار وبهر الألباب وسحر القلوب منذ البواكير الأولى لتنزله، بيد أن هذا الكتاب قد جوبه بالرفض والاتهام والتضليل في مصدره وأصله ونصه وتاريخ تدوينه وغير هذا الكثير.
وكان ممن رفع لواء هذه الحملات المتتابعة المستشرقون، هدفهم من ذلك نزع هالة القدسية عنه وإلباسه صفة البشرية التي تحمل في ثناياها بذور النقص.
وديدنهم أن يغذي كل مستشرق منهم الآخر بلبن التشكيك والطعن حتى غدت هذه الدراسات اتجاهات، لا بل مدارس للاستشراق يربطها خيط ناظم بمناهجها الغربية تزرع الشبهات وتتجنى على كتاب الله^(٣).
(وكون وات على سبيل المثال ليس متخصصاً بالقرآن مثل بعض المستشرقين الآخرين؛ فقد لا

(١) سورة القيامة - الآية: ١٧، ١٨.

(٢) مناهل العرفان للزرقاني، ج: ١، ص: ١٤.

(٣) أمجد قورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات أنموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٤٩.

ينتبه إلى حجم ونوعية دعواته الخفية، وأثر هذه الدعوات المبطنة التي يرسلها بين ثنايا كتبه فيما يخص القرآن الكريم أثناء نقاشه لقضايا في السيرة) (١).

وفي هذا المبحث يتم استعراض توجهات الكاتب في معرض حديثه عن كتاب الله تعالى "القرآن الكريم"، "فالقرآن يدعو دائما للاقتراب من الآخر، ولفهم الآخر وللحوار معه، والآيات الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى.

ولكن هذا للأسف يتقابل مع حقيقة أخرى، وهي أن بعضا من أهل الكتاب لهم موقف سلبي جدا من المسلمين، سواء أحسن المسلمون أو أساؤوا.

يقول تعالى: ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦١﴾ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ (٢)، ويقول تعالى: ﴿إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَمُ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (٣).

فأمثال هذه الآيات تدعونا بوضوح للحذر من النوايا والمقاصد، وإلى عدم التسليم بظواهر الأمور فيما يصدر من بعض أهل الكتاب (٤).

ويشمل هذا وات حين أظهر أمرا، ودس أمورا، فقد اجتهد كثيرا لإثبات أن القرآن ليس وحيا وإنما هو كلام بشر.

ثم تأتي مسألة الإطراء والثناء... فإن وات اعتبر أن من مميزات كتابه المصادر الرئيسية عن حياة محمد ﷺ: أولا "القرآن الكريم" أو الكتاب الذي يضم الوحي الذي تلقاه من الله " (٥).

كما يذكر أنه "أخذ بالقرآن الكريم وكتب السنة، كصحيح البخاري ومسلم ومسنند أحمد بن حنبل وكتب التاريخ المتقدمة في القرنين الثالث والرابع كالسيرة النبوية لابن هشام وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري" (٦).

(١) المرجع السابق، ص: ٥٠، نقلا عن: أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص: ٨٢.

(٢) سورة آل عمران - الآيتين: ٦٩ - ٧٠.

(٣) سورة آل عمران - الآية: ١٢٠.

(٤) أجد فورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات أنموذجًا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٠.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤١، ص: ٤٧.

(٦) محمد ﷺ في مكة - تعريب شعبان بركات - ص: ٧ وفي نسخة الشيخ ص: ٤١، ٤٢.

وهي مصادر متخصصة وأصيلة وصحيحة، واعتماده هذه المصادر يعد أمرا إيجابيا يدل على مصداقيته، ولكنه ينقض أخذه عن القرآن في موضع آخر من المقدمة (١).

يقول أيضا: "فقد جرت العادة بعض الوقت بالقول بأن القرآن هو المصدر الرئيس لفهم الفترة المكية ولا شك أن القرآن معاصر لتلك الفترة ولكنه متحيز" (٢).

وفي نسخة الدكتور عبدالله الشيخ أنه قال: "أن القرآن هو المصدر الأساسي للفترة المكية، فلا شك أن القرآن معاصر لهذه الفترة"، ثم ينفى صلاحية القرآن لذلك بقوله عن القرآن أنه "لا يعطى لنا الصورة كاملة لحياة محمد ﷺ والمسلمين في الفترة المكية"، وعزا ذلك لسببين: صعوبة تحديد الترتيب الزمني للأجزاء المختلفة، وعدم وضوح كثير من النتائج المتعلقة بذلك (٣).

ولرد على ذلك أقول: بعد ادعائه هذا بأسطر معدودة، يقر الكاتب بأن: "القرآن يقدم أساسا الجانب الفكري للمجموعة الضخمة من التغييرات التي حدثت في مكة وحوها" (٤)، فنكتفى بما أورده هو بنفسه على بطلان ادعائه.

أما ما أورده من صعوبة التحديد الزمني، فكتب علوم القرآن مبسوط فيها الترتيب الزمني، وإن سلمنا جدلا لادعاء وات، فلم يعطنا مثلا واحدا يوضح لنا تأثير الترتيب الزمني في إعطاء الصورة الكاملة التي يدعيها للفترة المكية.

ومسألة وضوح النتائج لم يبين الكاتب ما هي النتائج المطلوبة من الآيات، بل ولم يذكر مثلا واحدا على ذلك، وإنما هو ادعاء.

ثم المرحلة الثانية من ثلاثية وات وهي التشكيك، فقال: "ولقد حاولت المحافظة على الحياد في المسائل اللاهوتية الدينية" التي يدور حولها النقاش بين المسيحية والإسلام.

فمثلا لتجنب الجزم بما إذا كان القرآن كلام الله أم لا، فقد تحاشيت استخدام التعبير: "يقول الله" أو "يقول محمد ﷺ" واستخدمت التعبير "يقول القرآن" (٥).

(١) محمد ﷺ في مكة - تعريب شعبان بركات - ص: ١٣، وفي نسخة الشيخ ص: ٤٧ بنص آخر.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٣، ص: ٤٧.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٧.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٧.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٠.

وفي معرض سرده لملاحظاته على المصادر بأن المصادر الرئيسية عن حياة محمد ﷺ قال: "القرآن الكريم" أو الكتاب الذي يضم الوحي الذي تلقاه من الله" (١).

إلا أن ذلك مناقض للعقيدة التي يدين بها وات، ويدل على ذلك قوله: "إن محمدا ﷺ كان شديد الإخلاص لدعوته شديد الثقة في نفسه.

فكان إذا حدثت حادثة في حياته، أو اعتقد أن شيئا ما صالح، انفعلت نفسه بما حدث أو اعتقد، فيصوغه في كلام قرآني، ثم يعتقد هو نفسه أن هذا كلام الله أوحى إليه، فيقدمه للناس على أنه كلام الله".

ولرد على ذلك أقول: (بأن الله سبحانه أنزل أكثر من آية صريحة واضحة على أنه لا يحق للنبي محمد ﷺ أن يضيف أو ينقص أو يغير أو يبدل في القرآن أي شيء.

فاقرأ قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَأْتِنَا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ (٢).

واقراً في سورة الحاقة قوله تعالى مبرأ نبيه ﷺ من أن يمس القرآن أي مساس، فيقول: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (٣).

فإذا كان من أنزل عليه القرآن لا يملك الحق في تغيير شيء، فمن يملك من بعده؟ وإذا كان إفتراض مساس النبي ﷺ بالقرآن أدنى مساس، يعاقب عليه فورا من الله تعالى بالقطع والهلاك العاجل وهو إفتراض مستحيل، فماذا ترى الله سيصنع بمن يجروء على ذلك فعليا (٤)؟.

ويقول الكاتب أيضا: "ومن البداية لا بد أن محمدا ﷺ قد ميز بشكل واضح بين ما يأتيه وحيا كما يعتقد، وبين ما ينتجه عقله الواعي، أما كيف يميز بينهما، فهذا أمر غير واضح تماما" (٥).

ولرد على ذلك أقول: المرجع إلى ذلك أن وات (عندما يأتي لقضية الاختلاف بين أسلوب

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤١، ص: ٤٧.

(٢) سورة يونس - الآية: ١٥.

(٣) سورة الحاقة - الآية: ٤٤ - ٤٦.

(٤) توفيق بن خلف الرفاعي، لك القرار - ج: ١، ص: ٤٦٢، ٤٦٣.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ١٢١.

الرسول ﷺ في أحاديثه، وبين أسلوب القرآن المتميز يلجأ هنا إلى علم النفس التحليلي. فيقول: إن النبي ﷺ عندما يقرأ القرآن على الناس يكون في حال يضعف فيها الوعي الخارجي، ويعمل وينشط اللاشعور أو العقل الباطن.

فعندئذ يكون الأسلوب مغايراً لأسلوبه عندما يكون في يقظته العقلية الكاملة أو وعيه الظاهر الكامل، ومن هنا يأتي أسلوب الحديث مغايراً لأسلوب القرآن.

نحن نعلم أن مغايرة أسلوب القرآن لأسلوب الحديث هو أحد الوسائل التي بنيت عليها موضوعات الإعجاز القرآني، باعتبار أن أسلوب القرآن أسلوب فريد متميز عن الأساليب البشرية، وأن الإسلام تحدى العرب - وهم أساطين البلاغة - بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

وأن عدم إستجابتهم للتحدي مع رغبتهم في ذلك، يدل على أن الأمر كان عندهم ظاهراً، بحيث تميزت أمامهم الحقيقة، وهي: أن هذا الأسلوب مغاير لأساليب البشر.

ومن هنا تبرز أهمية هذه " الفذلكة " التي يقدمها مونتجمري وات، لأنها تستهدف نقض قضية الإعجاز، باعتبار أن هناك أساليب متغايرة تنجم إحداها عن الوعي الظاهر والثانية عن اللا شعور.

بالطبع مثل هذا إذا قيل، ينبغي أن يطبق على سائر الأساليب لسائر الكتاب والشعراء والمفكرين في أرجاء الدنيا، وإلا لماذا يختص محمد ﷺ وحده بالأسلوبين؟

ونحن نعلم أن الدراسات المقارنة والدراسات الأدبية النقدية كلها مبنية على وحدة الأسلوب، بحيث يقال أن هذا الكلام ليس من كلام فلان، لأنه مغاير لأسلوبه.

إن محاولة إلقاء الرؤى الثقافية المعاصرة على الإسلام، منهج خطير، ومن الناحية العلمية لا يمكن قبوله، لأنه مجرد إسقاط تاريخي لرؤية ثقافية جديدة.

فقبل مونتجمري وات كان المستشرقون يختارون في تفسير ظاهرة الوحي، قبل أن تبرز فكرة التحليل النفسي التي جاء بها " فرويد " ^(١) الطبيب المشهور في مطلع هذا القرن والتي أخذت مجالها في

(١) سيغموند فرويد (1856م - 1939م) ولد سيغيسموند شلومو فرويد في ١٨٥٦م، في فيربرغ، مورافيا، وانتقلت عائلته إلى فيينا في ١٨٦٠م، وفي ١٨٧٣م، دخل فرويد جامعة فيينا، وحصل على الدكتوراة في الطب في ١٨٨١م، ويعمل بتفرغ كامل في مختبر إرنست بروك، وفي ١٩٢٣م، تم تشخيص مرض السرطان في فك فرويد، وتوفي في ١٩٣٨م في إنجلترا، المرجع: مارغريت ماكنهوبت، سيغموند فرويد مكتشف اللاشعور، ص: ٢١٢ - ٢٢٤ .

الدراسات النفسية والاجتماعية وفي عالم الرواية الأدبية) (١).

(وقد اكتسبت هذه الدعاوى أهمية كبرى في السياق الاستشراقي، نظرا لما يترتب عليها من نفي صفة الألوهية عن مصدر القرآن وإثبات صفة الوضع البشري عليه) (٢).

وقد اختصر الكاتب الأمر بإقرار عن علماء الغرب، " وما هو إلا واحد منهم " بقوله:
"فالدراسات الغربية للقرآن كانت غالبا غير صحيحة" (٣).

وقد قال " درمنجم " (٤) في كتابه " حياة محمد ﷺ "، يرد على القائلين بأن القرآن عمل أدبي لمحمد ﷺ: " إن كان نبي يجب أن يأتي ببرهان من طبيعة خاصة يكون آية على صدق رسالته، وهذا البرهان يسمى بالمعجزة، وهو يختلف عما يأتي به الأولياء ويسمى " كرامة ".

والقرآن هو معجزة محمد ﷺ الوحيدة، فإن جماله الأدبي الفائق وقوته النورانية لا يزالان إلى اليوم لغزا لم يحل، وهما يضعان من يتلوهم - ولو كان أقل الناس تقوى - في حالة خاصة من الحماسة.

لقد تحدى محمد ﷺ الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وهذا هو برهان رسالته بالمعنى الكامل، ولم يكن الأمر في القرآن يتعلق بشيء آخر غير هذه القيمة، وهو الفرق بين وحي الإله وإلهام الشياطين (٥).

ومن أثبت نبوة محمد ﷺ، وإن لم يتبعه ولم يعلن إسلامه بشرى زخارى ميخائيل (٦) من خلال كتابه " محمد رسول الله ﷺ... هكذا بشرت الأناجيل "، (وعقد فيه فصلا لإثبات أن القرآن كلام

(١) أكرم ضياء العمري، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة، ص: ٦٠، ٦١، نقلا من الشبكة الإسلامية.

(٢) أمجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات نموذجًا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٤٩.

(٣) محمد ﷺ في مكة، ص: ٨١.

(٤) إميل درمنجم مستشرق فرنسي (١٨٩٢م - ١٩٧١م) تخرج من مدرسة شارتيه المتخصصة في الدراسات الدينية واللاهوتية والفلسفية بمدينة باريس وشهرته الحقيقية كمتخصص في التاريخ الإسلامي جاءت من من كتابين مهمين له هما: " حياة محمد ﷺ - ١٩٢٩م "، وكتاب " محمد ﷺ والسنة الإسلامية - ١٩٥٥م " مقتبس من كتاب الرسول العظيم ﷺ بأقلام المستشرقين والمفكرين العرب، المرجع: <https://books.google.ae>، مدير مكتبة الجزائر، وله: حياة محمد ﷺ، وهو خير ما صنفه مستشرق عن النبي ﷺ، ويرجع إليه علماء المسلمين، نجيب العقيلي، المستشرقون، ج: ١، ص: ٣٤٨.

(٥) عبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، - ص: ٨٧، بشرى زخارى ميخائيل، محمد رسول الله ﷺ... هكذا بشرت الأناجيل - ص: ٣٤ - ٣٥.

(٦) بشرى زخارى ميخائيل - ليسانس فلسفة من جامعة عين شمس، وله كتاب آخر هو المسيحية وإسرائيل.

الله، واستدل بالأدلة الآتية على هذا:

١ - القرآن يتضمن ما جاءت به الكتب السماوية المنزلة من قبل:

وهذا التشابه الذي ذكره زخارى في الإستدلال على صدق دعوى نبي الرسالة ﷺ، هو الذي استدل به النجاشي^(١) حين قرأ جعفر بن أبي طالب^(٢) القرآن عليه فقال: " والله إن هذا الذي تقرأه، والذي أنزل على عيسى بن مريم^(٣) ليخرجان من مشكاة واحدة".

والإستدلال بالتشابه في الملامح الرئيسية برهان علمي يتبع في علمي الأنساب " العيافة " والأجناس، وقد أفاض الكاتب في إستقراء المبادئ التي جاء بها القرآن.

٢ - لو كان القرآن من عند محمد ﷺ، لما رفع قدر المسيح^(٤)، أو موسى^(٥) إلى منزلة عالية. بل لكان أقل ما يجب هو الصمت عن معجزات موسى^(٥) وعيسى^(٦) وغيرها كي لا يضع في يد الخصم سلاحا ماضيا، كما هو في شأن المسيح.

٣ - لو كان محمد ﷺ، هو صاحب هذا القرآن، ونسب هذا النظام العظيم إلى الله، أو إلى آية جهة أخرى، لكان ظالما لنفسه أشد الظلم.

إذ بحسبها حقها، وحرمتها هذا المجد الذي يؤهلها له هذا الكتاب العظيم، الذي يتحدى الإنس والجن وأعجزهم أن يأتوا بمثله.

ولكان من حق من يصدر عنه هذا الكتاب المعجز القاهر أن يكون فوق العالمين مستندا إلى ذاته لا إلى قوة إلهية تسنده ولذا كان القرآن إلهي المصدر^(٤).

(١) أصحمة بن أبحر النجاشي ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب له أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يهاجر إليه وكان ردا للمسلمين نافعا وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلواته ﷺ صلاة الغائب من طرق منها رواية سعيد بن مينا عن جابر ومنها رواية عطاء بن جابر لما مات النجاشي قال النبي ﷺ قد مات اليوم عبد صالح يقال له أصحمة فقوموا فصلوا على أصحمة فصفنا خلفه هذا لفظ القطان عن بن جريج عنه ﷺ، الإصابة في تمييز الصحابة، الألف بعده الصاد والطاء، ج: ١، ص: ٣٤٧.

(٢) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو عبدالله بن عم النبي ﷺ وأحد السابقين إلى الإسلام وأخو علي شقيقه قال بن إسحاق أسلم بعد خمسة وعشرين رجلا وقيل بعد واحد وثلاثين استشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلا غير مدبر مجاهدا للروم في حياة النبي ﷺ سنة ثمان ففي جمادى الأولى، الإصابة في تمييز الصحابة، الجيم بعدها العين، ج: ١، ص: ٥٩٢.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان، القول في إيمان المقلد والمرتاب: ج: ١، ص: ٩٣، رقم: ٨٢.

(٤) عبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ٦٠ - ٦١، بشرى زخارى ميخائيل، نقلا عن محمد رسول الله ﷺ... هكذا بشرت الأنجيل - ص: ١٤.

ويضاف لذلك أيضا دليل عقلي آخر... بأن القرآن لو كان من عند رسول الله ﷺ، وفي شرعه هناك ناسخ ومنسوخ في القرآن الكريم.

لنسخ كل الآيات التي اعترض عليه بها من قبل اليهود أو النصارى، ليسلم بذلك من القدح والذم فيه، وليسلم أيضا من إعتراضات المعترضين.

(ألا تعتقد أنه لا يوجد أحد أحرص على إبطال قول محمد ﷺ بأن هذا القرآن من عند الله من أعدائه الأول الذين واجههم بهذا التحدى؟

ثم ألا تعتقد أن أعداءه يعلمون أنهم إذا قبلوا هذا التحدى، وجاءوا بمثل هذا القرآن أو بعضه، فإن ذلك سيحقق لهم النصر سريعا، وأن دعوة محمد ﷺ ستهزم لأن سرها سوف يكشف ويهدر؟

إذاً... فلم لم يتسجبيوا لهذا التحدى؟ ودخلوا معه في حروب، وقتل من سادتهم الكثير، وهزمهم في جميع المعارك إلا معركة واحدة اسمها معركة أحد.

ومع هذا فهو لا يزال يتحداهم بالقرآن، ويكرر عليهم التحدى، فلم يقدرُوا على الإستجابة لهذا التحدى طوال تلك المرحلة!

ترى لماذا...؟!

لماذا لا يأتون بقرآن أو بعض قرآن وينهون المعركة من أولها، ويحفظون دماءهم، ويوقفون خسارة قيادتهم للعرب التي يشهدون أفلها شيئا فشيئا... لماذا...؟

ثم من يصدق أن أولئك العرب الفصحاء، أصحاب الشعر والخطب البليغة والبحور الكبيرة في لغتهم.

الذين جعلوا لهم أسواقا خاصة يجتمعون فيها كل عام في الحج، فيتنافسون في إلقاء أحسن ما عندهم من القصائد والخطب، ليسجلها التاريخ بعد ذلك، تروى عنهم في قبائل العرب.

ومع هذا فلم يعرف عن محمد ﷺ قصيدة واحدة، كما لم يعرف عنه خطبة واحدة قبل مجيئه بالقرآن...!

أعطنا إن شئت ديوانا لقصائد محمد ﷺ، أو ديوانا لخطبه قبل سن الأربعين سن النبوة، أو بعدها!

لقد كان للعرب أفصح سبع معلقات علقوها داخل الكعبة تعظيما لها وللغتهم، فهل كان لمحمد ﷺ قصيدة واحدة من هذه القصائد...؟

الجواب: لا، لم يكن لمحمد ﷺ قصيدة صغيرة واحدة يرويها عنه أي واحد قبل النبوة ولا بعدها. وبالعودة لهذا السؤال: ما داموا هم فرسان الميدان، وعمالقة اللغة، فلم لم يقدرُوا على إنشاء قول مثل القرآن الذين تدعون أنه من تأليف محمد ﷺ، أو تأليف أي واحد من البشر...؟ من يصدق هذا، والقرآن عربي بنفس لغتهم؟

ثم أن القرآن لم يتحداهم كلا على حدة فحسب... لا بل تحداهم مجتمعين. فلو قبلوا التحدي، وعقد اجتماع لكل أعداء محمد ﷺ من الشعراء والبلغاء، وجاؤوا بقرآن مثله أو بعض قرآن لحازوا الشرف كله، وحسموا المعركة، وانفض أصحابه عنه في لحظة أن أثبتوا أن هذا القرآن كلام بشر، وأن تحدى محمد ﷺ مردود عليه. النتيجة العقلية الواحدة التي لا نتيجة غيرها تلك هي: أنهم عاجزون عن هذا التحدي، لأن هذا القرآن من عند الله تعالى) (١).

أما الطعن، واتهام القرآن الكريم بما ليس فيه من خلال لي عنق النص لاستنطاقه بما يريد وات، لا بما هو مضمون النص.

فيتهم أهل مكة من خلال القرآن الكريم بنقص الكرم لديهم حين قال: " ما ذكرناه لتونا هو في جزء منه استنتاج من الحقيقة التي مؤداها أن أفعال الكرم التي أشار القرآن الكريم إلى أنها كانت تنقص أهل مكة، كانت أفعالا ينظر إليها البدو باعتبارها شيئا جديرا بالاحترام " (٢). ويقول أيضا في ذات الموضوع، ولكن في موضع آخر: " وكانت استجابة القرآن لهذا الوضع ذات أبعاد مختلفة، فتركيزه على السخاء والكرم " المقصود الصدقة والزكاة " إنما يجي جانبا من جوانب المثل القديمة عند العرب، ولا يبني من فراغ وإنما على قواعد وأسس كانت موجودة بالفعل في الروح العربية " (٣).

وللد على ذلك أقول: بأن وات في هذا يفترى ليس على المسلمين فحسب، بل إنه افتري على من كان قبل البعثة بهذه الفرية، والتاريخ يفند ادعاءاته.

(١) أنظر - توفيق بن خلف الرفاعي، لك القرار - ص: ٣٦٧ - ٣٧٠ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٦ .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٧ .

ولعل هذا هو السبب الذي دفع الكاتب لإهمال السند في الفترة المكية ^(١) فقال: " ولقد تناولنا الأحاديث النبوية في المرحلة المكية من ناحية المتن أو المحتوى، ولم نعر الإسناد أو سلسلة الرواة إهتماما كبيرا "

هذا إقرار الكاتب بإهماله للسند في الفترة المكية، فما بالك بما قبل ذلك، وما ذلك الإهمال إلا ليتسنى له قول ما شاء بلا حسيب ولا رقيب.

ومما ناقض به الكاتب نفسه في هذه الجزئية أنه ذكر أن أفعال الكرم كانت تنقص أهل مكة، ثم ذكر في نفس الفقرة أنها كانت " أفعالا ينظر إليها البدو باعتبارها شيئا جديرا بالإحترام "، وذكر أيضا أنها كانت " جزءا من المثل العربية القديمة "، فكيف تنقصهم وهي جديرة بالإحترام، بل وجزء من مثلهم العربية القديمة؟

وبالرجوع لأصل هذه المسألة، يظهر خلاف ذلك، فقصي بن كلاب ^(٢) فرض على قريش السقاية والرفادة فقال: " يا معشر قريش إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم.

وإن الحاج ضيفان الله، وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم، ففعلوا.

فكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم خرجا يتراقدون ذلك، فيدفعونه إليه فيصنع الطعام للناس أيام منى وبمكة، ويصنع حياضا للماء من آدم فيسقي فيها بمكة ومنى وعرفة، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه، حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام على ذلك إلى اليوم ^(٣).

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٨ .

(٢) قصي بن كلاب بن مرة (480-400م) هو الجد الأعلى لشيبية بن هاشم المشهور باسم عبد المطلب، جد النبي محمد بن عبد الله الرابع. حصل على نفوذ واسع في مكة. يعتبر من أشهر أسلاف قبيلة قريش. أمه فاطمة بنت سعد بن شبل الأزدي القضاعية. يروى أن اسمه زيد وسمي قصيا لأن أمه تزوجت بعد وفاة أبيه كلاب بن مرة القرشي القضاعي وانتقلت به إلى الشام مع زوجها فسمي قصيا لقصوه عن أهله. شب قصي تحت رعاية ربيعة بن خزيم على أنه أبوه، فكان أن تنازع مع بعض بني عذرة) أو بني خزاعة) فعيروه بأنه دخيل عليهم. فلما سأل أمه أخبرته بنسبه إلى قريش حيث يقيم أخوه زهرة بن كلاب وبنو عمه. فقدم مكة وحاز على سداثة البيت من أبي غيشان.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، في مقدمة المؤلف، ابن كثير، البداية والنهاية، باب جماعة من بني إسرائيل بعد موسى ﷺ، ج: ٢، ص: ٢٠٥، الأزرق، أخبار مكة، إطعام أهل الجاهلية حاج البيت، ابن هشام في السيرة النبوية، باب غلب قصي بن كلاب على أمر مكة، ج: ١، ص: ٢٣٩ وغيرها كثير.

وللد على ذلك أقول أيضا: في هذه المواضع أشار وات إلى عدة أمور فيما يتعلق بالقرآن الكريم، فهو هنا ينفي منهج الإسلام في إتمام مكارم الأخلاق، وولمت الإشارة إلى هذا مسبقا، ويضاف هنا أن القرآن بما فيه من أوامر ونواه، إنما أنزل لصالح الدنيا والآخرة.

والأمر الثاني وهو تلاعبه بالألفاظ بما يوافق منهجه، فيتهم القرآن الكريم بأمر لم تثبت: فمن أين استدل على نقصان هذه الصفات في أهل مكة، منهج التعميم الفاسد لدى المستشرقين هو الدليل الوحيد ها هنا؟

والأعجب من ذلك أنه ناقض نفسه بنفسه بالتأكيد على أن ذلك من المثل القديمة عند العرب^(١)، إلا أنه لم يثبت أن هذه المثل ماتت، فضلا عن أن يثبت أن القرآن الكريم أحيائها بعد مماتها. وأمر آخر في ذات السياق، وهو ثبوت خلاف ذلك في حياة المكيين قبل البعثة، من أعمال السقاية والرفادة وإطعام الطعام كفعل عبدالله بن جدعان ومائدته المشهورة، بل وما سمي هاشم بن عبد مناف بهذا الإسم، عوضا عن اسمه عمرو إلا لصفة الكرم والجود التي كانت فيه. وكان سبب ذلك أن قريشاً أصابتهم سنونٌ ذهبنٌ بالأموال، فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له.

فحملة في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة، وهشم ذلك الخبز، يعني كسره وثرده، ونحر تلك الإبل، ثم أمر الطُّهاة فطبخوا.

ثم كفاً القدور على الجفان فأشبع أهل مكة؛ فكان ذلك أول الحياء بعد السنة التي أصابتهم؛ فسَمِّيَ بذلك هاشمًا^(٢)، واسمه عمرو بن عبد مناف، وفيه يقول عبدالله بن الزبير^(٣):

عَمَرُو الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ***
وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عَجَافُ

بل وذم القرآن في أحد الروايات لأسباب نزول سورة الماعون عند الحضر على طعام المسكين،

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٧.

(٢) القرطبي في تفسيره، الآية: ٤٥، سورة الكهف، ج: ١٠، ص: ٤١٢.

(٣) هو عبد الله بن الزبير^(٣) بن عدي بن قيس القرشي أبو سعيد، شاعر قريش في الجاهلية. كان يحارب المسلمين في شعره حتى فتحت مكة، فهرب إلى نجران، ثم عاد إلى مكة، واعتذر للنبي محمد ﷺ، ومدحه، فأمر له بحلّة، القرطبي، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، باب من اسمه منهم عبد الله، ج: ٣، ص: ٣٦، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة^(٤)، باب العين والباء، ج: ٢، ص: ٥٩٥، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، حرف العين المهملة، ج: ١، ص: ٢٥١.

لمن أطعم الطعام، ولكن ليس للمساكين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^(١)، فهو مناقض تماماً لكلام الكاتب.

بل إن الكاتب صرف عبادة الزكاة والصدقات لمفهوم خاص به وهو الكرم والسخاء، خلافا لما حدده الإسلام من حيث المستحقين والنصاب، والزكاة لم تشرع لحث أهل مكة على الكرم، فهي مشروعة لكل زمان ومكان.

فالكاتب هنا يخلط بين عدة أمور في الإنفاق في حياة المسلم: السخاء - الكرم - الإحسان - الصدقة - الزكاة " وكل واحدة من هذه العبادات لها معنى مخالف عن الأخرى، وإن اشتركت كلها في الإنفاق.

قد تتشابه الزكاة والصدقات والكرم الهبة والهدية... الخ، في أمر الإنفاق، إلا أنها لا تأخذ نفس الحكم كما يوهم الكاتب.

كما أدعى وات ادعاء لا أساس له من الصحة فيقول: " وفي الوقت نفسه فإن القرآن يربط بين روح السماحة والكرم " المقصود: الزكاة والصدقات... الخ " بالثواب والعقاب في الحياة الأخرى، فالبخلاء الممسكون سيلقون عذاباً أبدياً"^(٢).

ما هو دليل وات أن البخلاء سيلقون عذاباً أبدياً، وهل يعذب البخيل إن أدى حق الله في المال الذي استخلفه؟ إن الإنفاق فيما سوى الزكاة نافلة ولا يعاقب تاركها.

إنما هي طبائع البشر المختلفة، فمنهم الشجاع ومنهم الجبان، ومنهم الكريم، ومنهم البخيل، فحين ذكر لرسول الله ﷺ أن أبا سفيان رضي الله عنه^(٣) رجل بخيل، لم يثبت أنه قال بأنه سيلقى عذاباً أبدياً،

(١) سورة الماعون - الآية: ٣، ذكر الثعلبي في تفسيره، في سورة الماعون ابن جريح: كان أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه ينحر كل أسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه، فأنزل الله سبحانه فيه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ﴾^(١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْسَ^(٢) أي يقهره ويزجره ويدفعه عن حقه، الدع: الدفع في جفوة، قرأ أبو رجاء يدع اليتيم أي يتركه ويقصر في حقه ولا يحضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٧.

(٣) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سفيان القرشي الأموي، غلبت عليه كنيته، فأخترنا أخباره إلى كتاب الكنى من هذا الديوان، وأمه صفية بنت حزن الهلالية، أسلم يوم فتح مكة، شهد حنيناً، واستعمله النبي ﷺ على نجران، فمات النبي ﷺ وهو والٍ عليها، ورجع إلى مكة، فسكنها برهة، ثم رجع إلى المدينة فمات بها، وتوفي أبو سفيان بالمدينة سنة ثلاثين، وقيل: سنة إحدى وثلاثين فيما ذكر الواقدي، وهو ابن ثمان وثمانين سنة؛ وقال المدائني: توفي أبو سفيان بن حرب سنة أربع وثلاثين، وصلى =

أو نزلت آية تخبر بأبدية العذاب له لبخله^(١).

ومن مفتريات وات على القرآن الكريم أيضا قوله: " الإنشغال بالأعمال المالية الكبرى مرة أخرى لا يعنى بالضرورة الكرم، بل قد يعنى العكس، ما دام رجال المال يحاولون زيادة أرصدتهم المالية كما يشير القرآن الكريم "^(٢).

حاصل كلام وات هنا، أن الإنشغال بالأعمال المالية يعنى البخل، ولا يعنى الكرم، ولا أدرى بأي آيات الله استنبط هذا الحكم؟

كما أطلق وات على القرآن وصف لا يليق حين ذكر أن كلمة تزكى " تعنى الصلاح والتقوى، وإن إهمالها " يعنى عدم نزولها بعد ذلك " يعد مثلا على الصعوبة الكامنة في إيجاد مفاهيم جديدة "^(٣). أما أمر الإهمال فهو لا يليق بكلام الله تعالى، بل الأمر هو تدرج في النزول ومناسبة كل آية للمرحلة التي تنزل بها.

ولإيضاح هذه المسألة أضرب مثلا... للطالب، فالطالب في بداية دراسته يتعلم الحروف الأبجدية، وبعد مرور السنين، لا يتم ذكر هذه الأبجديات.

والقول بأن الطالب أهمل هذه الحروف خاطيء، فهي مرحلة تأسيسية لا بد منها للطالب، وبمجرد الانتهاء منها، تصبح من الأساسيات والمسلمات، لا أن الأمر من باب الإهمال، وكذا الأمر مع القرآن، فالأبجديات لا داع لتكرارها.

كما أن وات حين يتعرض للقرآن وتفسيره، يعتمد أيضا للطعن المباشر وليس الضمني فقط، فيقول في تعليق له على مبحث آيات الزكاة: " قد يكون المفسرون غير مصيبين فيما يتعلق بسبب نزول هذه الآية "^(٤).

عليه عثمان بن عفان ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، باب من اسمه صخر ، ج : ٢ ، ص : ٢٧٠ .

(١) ابن عساکر، تاريخ دمشق - ج ٧٤، ص: ١٢٤، الأصبهاني، أبو نعيم، معرفة الصحابة ﷺ، ج: ٥، ص: ٣١٨، ابن

حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ﷺ، ج: ٨، ص: ٣٤٦، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج: ١٠،

ص: ٦٣٦.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٦.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٨.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٣٢٣.

ولرد على ذلك أقول: هذا طعن مرفوض من الكاتب لعموم المفسرين... ألم يسلم مفسر واحد من هذا الطعن ليستدل وات برأيه؟

الإجابة الوحيدة لهذا السؤال بأن عموم المفسرين غير مصيبين لأنهم لم يلتقوا مع وات في النتيجة التي يريدها.

وبالافتراض جدلا أنهم غير مصيبين، فليذكر ما هو الصواب في التفسير، ثم ليقم البيئة عليه بالدليل، فتعبد الله بالدليل لا بأقوال الرجال.

ومما أثاره وات أيضا في كتابه مسألة المعلومات الخاصة بأسباب نزول القرآن الكريم، فقال: " ولدينا قدر جيد ممن المعلومات المتاحة عن أسباب نزول عدة آيات مختلفة، إلا أن هذه المادة يعوزها الإكتمال، كما أنها تحوى تناقضا بين بعضها وبعضها الآخر " (١).

هنا مسألتين:

= الأولى: أما قوله " يعوزها الإكتمال ": فلعل الكاتب حين ضيق على نفسه في المصادر، ضاق أفق نظره لهذه الأسباب، مما حدا به لقول ما قاله، وإلا فله الحمد والمنة تزر المكتبة الإسلامية بصنوف كتب التفاسير فيها ما لا حصر له ولا عد مما يحتاجه وات وزيادة.

= الثانية: قوله " تحوى تناقضا " وكعاداته، لم يذكر الكاتب أيا من هذه التناقضات التي ادعاه، وإنما هو كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (٢) هذا إذا كان مراده من التناقض الآيات.

أما إن كان مراده في المعلومات، فقد رد عليه المترجم بأن هذا التعبير لا يعنى أكثر من أن الروايات مختلفة.

وأما إن كان قصده في ذلك الناسخ والمنسوخ، فأقول له المثل العربي " ما هكذا تورد الإبل يا سعد "، فظاهر الكلام لا يدل على ذلك، وأفضل ما يقال فيه إعتذارا له، أن اللفظ قد خانه. ومن ذلك أيضا ما ذكره وات بأنه: " في أوائل ما نزل القرآن إن لم يكن هناك تركيز على توحيد الله سبحانه، فليس هناك أيضا شجب للوثنية "، وقد علل ذلك بأن " الإيمان بالله مسألة كانت موجودة بالفعل بين أهل مكة، دون أن يكونوا على وعي بأن هناك تناقضا بين الإيمان بالله من ناحية، وإشراك

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٣٢.

(٢) سورة آل عمران - الآية: ٧.

=

آلهة أخرى معه " (١).

وللرد على ذلك أقول: هذا كلام باطل من أوجه، أولها أن كفار مكة سبب معارضتهم لرسول الله ﷺ إنما هو التوحيد، وشجب الوثنية.

وثانيها: أن كلام الكاتب إن كان صحيحا بأن أهل مكة لا وعي لهم بذلك، إذا لأسلم أهل مكة عن بكرة أبيهم، إذ كان مما أثاروه ضده ﷺ أنه عاب آلهتهم، ثم أن سورة الإخلاص، وسورة الكافرون وسواهما من السور تثبت التوحيد، بل وتشجب الوثنية أيضا.

ألم يذكر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه خلال لقائه بالنجاشي رضي الله عنه تفاصيل دعوته ﷺ لهم بقوله: " فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصللة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء.

ونحانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قال: فعدد عليه أمور الإسلام " (٢)، فمن هذه الأمور ما هو في كتاب الله تعالى ومنها ما هو في سنة رسوله ﷺ.

وأخيرا فلا يسلم بهذا الكلام للكاتب، إلا في حالة واحدة، وهي أن يكون مراده بذلك أوائل ما نزل عليه ﷺ بغار حراء.

أما ما ذهب إليه الكاتب من عدم وجود جانب أخلاقي في القرآن الكريم في أول ما نزل من القرآن الكريم، وأن ذلك محصور في الأمور المادية في قوله: " فالجانب الأخلاقي المتعلق بالوصايا لا وجود له غالبا.

فليس هناك إشارة إلى إحترام الوالدين واحترام الحياة، والزواج والملكية والصدق في الشهادة في بواكير ما نزل من القرآن.

كل ما في الأمر هو النهي عن اشتهاه ما في أيدي الآخرين، فالقيم الأخلاقية في أول ما نزل

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٣٩

(٢) تفاصيل القصة عند أحمد في مسنده، حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ج: ١، ص: ٣٣٤، برقم: ١٧٥١، ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر البيان أن فرض الزكاة كان قبل الهجرة إلى الحبشة، ج: ٤، ص: ١٣، برقم: ٢٢٤٩، الهيثمي، مجمع الزوائد، باب الهجرة إلى الحبشة، ج: ٦، ص: ٢٤، برقم: ٩٨٤٢.

من القرآن الكريم مرتبطة بالسخاء والبخل " (١).

فلرد على ذلك أقول: أصاب الكاتب هنا في أمر، وأخطأ في أمور، فمما أصاب فيه كون الجانب الأخلاقي غير موجود فعلا في بواكير ما نزل من القرآن، إذ التركيز في البداية كان على التوحيد ونبذ الشرك وعبادة الأوثان، ولا يعنى ذلك عدم وجود الجانب الأخلاقي البتة.

أما ما جانب فيه الصواب، فهو كون ذلك مرتبط حصرا بالسخاء والبخل وهو خلاف الواقع، فهناك العديد من الأوامر والنواهي في أول ما نزل من القرآن الكريم.

وأورد ها هنا ما أثبتته وات بنفسه في هذه المسألة حين قال: " وجه القرآن الكريم أوامره في شكل مباديء أو قيم عامة، دون التعرض للتفاصيل " (٢).

هذا من حيث الذكر، أما من حيث عدمه، فلا يعنى عدم ذكر الجانب الخلقى في القرآن الكريم، عدم ثبوته في السنة.

وتمت الإشارة سابقا إلى خطاب جعفر مع النجاشي رضي الله عنه، كان هناك العديد من أمور الأخلاق التي ذكرها لم تذكر في القرآن إلا أنها ذكرت في السنة.

بل إلى يومنا هذا هناك أمور في القرآن لم تذكر، لكن السنة بينت وفصلت هذه الأمور، وليس المقام لسرد تفاصيل هذا الأمر.

فشرع الله تعالى نزل من خلال القرآن والسنة، وكل منهما متمم للآخر، وما لم يتم بيانه في القرآن الكريم، تبينه السنة النبوية المطهرة.

ثم مسألة ما كان من التأثير اليهودية والمسيحية، فقد أفرد له وات في الملاحق ملحق خاص للتأثيرات اليهودية والمسيحية (٣).

ولرد على ذلك أقول: (يجدر بنا هنا التنبيه أن وات لم يكن وحيد عصره ولا فريد دهره في مزاعمه بل سبقه ولحقه كثيرون، إذ يعتبر موضوع " مصادر القرآن أو مصادر الإسلام " فرعا مستقلا بذاته في الدراسات الاستشراقية.

زعم فيها المستشرقين أنه صلى الله عليه وسلم قد استمد القرآن وتعاليمه من المصادر اليهودية والمسيحية وغيرها

(١) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١٥٠.

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١٥٨.

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٣٠٦.

من المؤثرات التي شكلت تعاليم الدين الإسلامي^(١).

وبالتنبية لتأييد وات لمن سبقه، وما ذلك إلا لكون الهدف لجميع الاستشراقين واحد، وما ذلك إلا (كشف للأخوة الحقيقية بين وات وإخوته المستشرقين، وأظهر علاقة القرى بينهم في تناولهم، ودراساتهم للقرآن).

لقد بانث آثار اللبب الذي رضع منه " وات " بكل معنى الكلمة، حتى شب مستشرقاً بكل معنى الكلمة^(٢).

(وينقل د أبو خليل^(٣) عن " فريدريك نيتشه " ^(٤) رأيه في رجال الكنيسة بأنهم: " لا يخطئون فقط في كل جملة يقولونها، بل يكذبون، أي إنهم لم يعودوا أحراراً في أن يكذبوا ببراءة أو بسبب الجهل إن حرية الرأي عندهم أن تقول ما يرضي الكنيسة فقط، وما يؤيد أكاذيبها وافتراءاتها.

فحينما ألف برنارد شو^(٥) كتاباً عن محمد ﷺ منعت الكنيسة من إصداره، فلم ير النور قط.

وحينما رأى تولستوي^(٦) الحملة الظالمة على الإسلام، وعلى رسوله ﷺ، كتب رأيه في هذا الدين

(١) أمجد قورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتائيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات نموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص: ٥٩.

(٣) شوقي أبو خليل (١٩٤١م - ٢٠١٠م) كاتب وباحث فلسطيني، له العديد من المؤلفات من أشهرها كتابه "الإسلام في قفص الاتهام" المرجع ويكيبيديا.

(٤) فريدريش فيلهيلم نيتشه (١٨٤٤م - ١٩٠٠م) ولد في ريكن، وهي مقاطعة بروسية بألمانيا، في الخامس عشر من أكتوبر ١٨٤٤م، وكان أبوه لدفيفج نيتشه قسا بروستانيا وابن قس بروستانت، كما كانت أمه أيضاً ابنة قس بروستانت، نشأ نيتشه نشأة دينية، وعرف منذ صغره بتدينه وتقواه، المرجع: يسرى إبراهيم، نيتشه عدو المسيح، ص: ١١.

(٥) جورج برنارد شو (١٨٥٦م - ١٩٥٠م) ولد في ١٨٥٩م، ونشأ في وسط إيرلندي جامد تستولى الكنيسة الكاثوليكية على حياته الإجتماعية وتوجهها وجهة دينية أخرى أخرجت إيرلندا، وجعلت الإنجليز يستغلونها ويستعمرونها، وبقي شو فيها إلى حوالي سن العشرين، أمضى منها بعض السنوات في مدرسة ابتدائية كانت كل ما كسب من التعليم المدرسي، ثم حين هجرت أمه البيت إلى لندن بقي هو مع أبيه وعمل محصلاً يجمع إيجارات المباني التي تملكها إحدى المؤسسات، وكان أول ما كتب في الصحف كلمة في جريدة يومية في دبلن قال فيها أنه لا يؤمن بالله، المرجع: سلامة موسى، برناردشو، ص: ١٨.

(٦) الكونت ليف نيكولايفيتش تولستوي (١٨٢٨م - ١٩١٠م) من عمالقة الروائيين الروس ومن أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر، والبعض يعدونه من أعظم الروائيين على الإطلاق، ويقول عن رسول الله ﷺ: يكفي محمد ﷺ فخراً أنه خالص أمة ذليلة دموية من مخالف شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمد ﷺ ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة، المرجع موقع المعرفة.

الذي أعجب به.

واعتذر من رسول الله ﷺ الذي نال إكباره، فكان جزاؤه على ذلك - أي على كلمة الحق - أن حرمه البابا من رحمة الله (١).

وسبب إيراد هذه الأقوال خارج كتاب محمد ﷺ في مكة، هو إظهار المنهج الذي اعتمده وات ومن شاكلة في مصنفاتهم ومؤلفاتهم، من حيث ادعاء الموضوعية والإنصاف، وإن كان ذلك من خلال الطعن بالقرآن الكريم.

وتأكيدا لما سبق، فقد كان (موقف مونتجمري وات من جورج سيل (٢) في ترجمته الشهيرة للقرآن والتي تمت لأول مرة ١٧٣٤م بعنوان "القرآن أو قرآن محمد ﷺ".

وكيف أنه حشد فيها الافتراءات الاستشراقية، والتي لا تدع مجالاً للشك في حقه على الإسلام، ومنها أن القرآن ليس وحياً، وفيه التناقض والتكرار، ومستمد في معظمه من اليهودية، ووصف محمد ﷺ بأنه مؤلف القرآن، وأنه قد خطط لهذا باحتيال ومكر، وأعانه آخرون.

وهو يصرح في تمهيده أن الهدف من ترجمته هذه هو تسليح البرتوستانت في حربهم التنصيرية ضد الإسلام والمسلمين.

وهذه الترجمة قد أعيد نشرها منذ ظهورها أكثر من ثلاثين مرة، ولا تزال تعتبر من أشهر وأهم الترجمات الاستشراقية للقرآن.

والمثير في موضوعنا، أن مونتجمري وات يصف هذه الترجمة "مع هوامشها" بأنها لا تزال ذات قيمة حتى الآن، كما وصف مقدمتها بأنها وصف موضوعي للإسلام.

ولعل وصف وات لمقدمة سيل بالموضوعية "بعدها عرفناه عن محتواها ودوافعها واستعمالاتها على أيدي المنصرين"، يلقي الضوء على مفهوم الموضوعية والإنصاف عند المستشرقين (٣).

(١) أجمد قورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات أمودجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٢، شوقي أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين المبشرين - المنتدى الإسلامي، ص: ٩، ١٠.

(٢) جورج سيل: "مستشرق إنجليزي، اشتهر بترجمته للقرآن إلى الإنجليزية، ولد في لندن حوالي ١٦٩٧م، وتوفي في لندن ١٧٣٦م، وكان أبوه صمويل سيل تاجراً في لندن، وإلى جانب إتقانه للغة العربية، كان سيل يتقن اللغة العبرية، وقد نشر سيل ترجمته للقرآن في ١٧٣٤م، أي قبل وفاته بعامين، أنظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: ٢٥٠ - ٢٥١.

(٣) أجمد قورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات

وفي الرد على ذلك^(١) فإن (مالك بن نبي)^(٢) يشير إلى أن مصادر العصر التاريخية لا تصف أي كنيسة في مكة أو كنيس أو دير في ضواحيها. لقد انسحب الحنفاء فقط في أماكن منعزلة، ولم تكن لهم طريق في تصوفهم سوى أنهم كانوا يمارسون الزهد أو التخلي عن الدنيا، مما يدل على سمة الصحراء وطابعها في نفوسهم. إن سلوك الحنفاء لم يمتد إلى الأخلاق المسيحية أو الشريعة الموسوية، بل كان نظاما فرديا فطريا بسيطا.

وكان الطابع الإبراهيمي ظاهرا بقدر في البيئة الجاهلية، ولكن هذا الطابع كان تقليدا عربيا محضا لا يمت بصلة إلى التفكير اليهودي المسيحي^(٣). وملخص هذا الأمر:

- (التأكيد على وجود اليهود أبان هذه الفترة في يثرب، وعدم وجودهم في مكة بشكل يذكر.
- وجود جماعة قليلة في مكة من المسيحيين لأسباب مختلفة:

= من تجارة، ورق واحتراف مهنة، وهؤلاء لم يرو التاريخ أنهم قد بشروا بمسيحتهم أو دعوا إليها.

= لم تأت روايات لتدل على أنهم خضعوا للتعذيب بسبب الدعوة لديانتهم كما جرى مع المسلمين.

= المؤرخين اليهود أنفسهم يرون أن يهود الجزيرة العربية كانوا في معزل عن بقية أبناء دينهم، حتى أن اليهود الآخرين رأوا أنهم لم يكونوا يهودا، لأنهم لم يحافظوا على الشرائع

أمودجًا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٣، انظر أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص: ٣٦.
(١) أي التأثير باليهودية والمسيحية.

(٢) مالك بن نبي ١٩٠٥ م - ١٩٧٣ م ولد فقيه الحضارة الأستاذ مالك بن نبي في ٥ ذو القعدة ١٣٢٣ هـ (١ يناير ١٩٠٥ م)، بمدينة قسنطينة، وانتقلت أسرته إلى مدينة تبسة ثم لحق بها ظن بعد فترة قضاها في قسنطينة عند أقاربه، المرجع: موقع الأستاذ مالك بن نبي <http://binnabi.net> " .

(٣) أمجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات أمودجًا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية ص: ٥٤، نقلا عن مالك بن نبي - الظاهرة القرآنية - ترجمة عبد الصبور شاهين، ص: ١١٥، وانظر ص: ٢٥٦ - ٢٥٨.

الموسوية ولم يخضعوا لأحكام التلمود^(١).

وأختم بما أقر به وات في هذا الملحق^(٢) إذ يقول: وعلى هذا فالعلم الصحيح، وكذلك النزاهة اللاهوتية التي ينبغي أن يتحلى بها المؤرخ تقتضى أن القضية المطروحة عن تأثير الأفكار اليهودية والمسيحية " وربما غيرها " على أهل مكة في القرن السابع للميلاد.
والمسيحية " وربما غيرها " على أهل مكة في القرن السابع للميلاد، وليس على محمد ﷺ نفسه، بل وأكثر من هذا على القرآن الكريم.

هذه النزاهة تقتضى منا أن أقول أن هذا التأثير غير مؤكد، كما أنه قضية غير بسيطة، أي لا يمكن إطلاق القول على عواهنه، ووجود هذا التأثير غير المباشر، أو التأثير الناتج عن البيئة المشتركة لا يعنى أن التأثير المباشر يجب إنكاره تماما.

وقد علق المترجمان أيضا بقولهما: " تشابه بعض الأفكار في الأديان الثلاثة يعنى أن لها جميعا مصدرا واحدا هو الله سبحانه، ولا يعنى أن أحد الأديان قد تأثر بالدينين الآخرين بالمفهوم الديني لكلمة التأثير "^(٣).

(١) أجد قورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات أنموذجا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٤، ٥٥، أنظر عبد الجليل شلي، صور استشراقية، ص: ٤٥ - ٤٨، والشيخ عبد الجليل شلي رحمه الله ولد في قرية عرب الوقف (مركز مطوبس - محافظة كفر الشيخ)، وتوفي في مصر. عاش في مصر والسودان وإنجلترا والمملكة العربية السعودية وقطر. حفظ القرآن الكريم في كُتّاب قريته، وتلقى العلم على يد أبيه، ثم التحق بمدرسة رشيد الابتدائية، ثم بالمعهد الديني بالإسكندرية حتى حصل على الثانوية الأزهرية، ثم التحق بكلية اللغة العربية (القاهرة) وتخرج فيها، كما درس للتخصص في التدريس، وفي أثناء عمله حصل على الثانوية العامة بنظام المنازل لينتسب إلى كلية الآداب - جامعة القاهرة - وتخرج في قسم اللغة العربية، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة لندن.

بدأ حياته العملية كاتباً في معهد الإسكندرية الديني، وبعد حصوله على إجازة التدريس عمل مدرساً فيه، انتقل إلى معهد فنا لمدة عام عاد بعده إلى الإسكندرية، وبعد تخرجه في جامعة القاهرة عمل مدرساً للغة العربية بمدرسة الأحفاد في السودان، ومنها سافر إلى لندن مديراً للمركز الإسلامي لمدة ثلاثة عشر عاماً، عاد بعدها إلى مصر وعمل خبيراً فنياً في مجمع البحوث الإسلامية، ثم أميناً مساعداً ثم أميناً عاماً. سافر إلى المملكة العربية السعودية وعمل فيها أستاذاً بجامعة أم القرى، ثم عمل أستاذاً في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في دولة قطر، وفي أخريات حياته تولى العمادة لمعهد إعداد الدعاة بمصر حتى وفاته.

(٢) المراد بالملحق هنا الملحق (ب) من كتاب محمد ﷺ في مكة ، بعنوان : التوحيد عند العرب والتأثيرات اليهودية والمسيحية .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٣٠٧، ٣٠٨.

المبحث الرابع: الطعن " المبطن والمباشر " لكل من تتعلق به السيرة.

ذكر وات في مقدمته منهجه فيقول: " كان منهجي قبول ما ورد في التراث بصفة عامة، ولكن مع العناية والتصحيح بقدر الإمكان إذا كان هناك شك في وجود أخبار موضوعة " تشكيل متحيز "، ولا أرفضها إجمالاً إلا إذا كان هناك تناقض خفي " (١).

ها هنا منهج علمي صحيح، رسم فيه الكاتب خطوات علمية صحيحة لمن اتبعها من خلال الخطوات التالية:

١ - قبول ما ورد بصفة عامة.

٢ - عند الشك في الأخبار الموضوعة، يعمد إلى العناية والتصحيح بقدر الإمكان.

٣ - يرفضها إجمالاً إذا كان هناك تناقض خفي.

كما أن الكاتب أظهر الفائدة المرجوة من هذه المنهج بأمر ثلاثة:

١ - تقييم الحدث.

٢ - ومدى موثوقيته.

٣ - كما تساعد على تقدير اتجاهاته.

ويقر الكاتب على ذلك، فليس له أن يرفض ما ورد إلا ببينة، مثل الشك في الأخبار الموضوعة، إلا أنه كان هو أول من خالف هذا المنهج.

وفيما يتعلق بمسألة التناقض الخفي، فعليه إبتداء أن يظهر هذا التناقض الخفي إلى العلانية، ومن ثم يورد أدلة بطلانه، مبينا سبب رفضه لها.

إن كان في السند فمن الجرح والتعديل، وإن كان في المتن فلمخالفته صريح الكتاب والسنة مثلاً.

والملاحظ هنا أن الكاتب حين لم يلتزم بهذا المنهج، اختلط عليه الحابل بالنابل والغث بالسمين، فأخذ يلقي الأحكام جزافاً، سواء في المرحلة المكية أو المدنية.

ومن وذلك على سبيل المثال " قصة الغرائيق "، فحين تطرق وات إليها، لم يورد الشك إليها، فإيا ليته التزم بما فرض على نفسه، وعمد إلى العناية والتصحيح بقدر الإمكان.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٦.

وبالنظر لقوله: " ولقد تناولنا الأحاديث النبوية في المرحلة المكية من ناحية المتن أو المحتوى، ولم نعر الإسناد أو سلسلة الرواة إهتماما كبيرا " (١)، وقوله أيضا بأن " دراسة الإسناد في الفترة المكية لا يبدو أنها تؤدي إلى نتائج ذات قيمة (٢) "، تجد أنه خالف ما ألزم نفسه به عند الحديث عن التراث. وللدرد على ذلك أقول: إن هذا المنهج يفتح للمؤرخين بابا واسعا للأخذ بأي رواية ترد في السيرة توافق هواهم، وتتفق مع توجههم، أو ردها إن لم توافق وتتفق مع هواهم وتوجههم... فأين هو من العناية والتصحيح التي ادعاها؟

كما علق المترجم بتعليق قيم قائلا: " لم يفرق أحد من رجال الحديث بين أهمية الإسناد في الفترة المكية والفترة المدنية (٣) ".

وهو مصيب في ذلك، فكل سيرة رسول الله ﷺ بجميع تفاصيلها مهمة، لذا نعلم إلى الصحيح منها، والسبيل لذلك رجال الحديث وعلم الجرح والتعديل.

ولو اتبع وات ذلك المنهج لأدى ذلك إلى نتائج ذات قيمة، وليس كما ادعى هو بأن " دراسة الإسناد في الفترة المكية لا يبدو أنها تؤدي إلى نتائج ذات قيمة ".

إن اتباع وات لهذا المنهج يلغى فوائد جمة لا حصر لها في الفترة المكية التي امتدت لما يقارب ١٣ عام، لمجرد كونه غير مقتنع بها.

فالمنهج الذي يسير عليه وات، غير متعلق بالسيرة النبوية، أي أنه ليس فقط منهجا تعصبا لديانته فحسب، بل هو منهج سلكه في كتابه رغم تعارضه مع المنهج العلمي الصحيح.

فقد (اعتمد وات رفض الكثير من الروايات عند عدم إتساقها مع مقدماته وفرضياته، وبالتالي مناقضتها للنتائج والحقائق التي يريد التوصل إليها عن طريق الحكم على المتأخرين بوضعها وإدخالها.

لتتفق هذه الروايات مع مفاهيم وأفكار لاحقة، أو أنها اختلقت تبعا لاعتبارات شخصية ونفسية.

وقد أكثر من الاعتماد على هذه المقولة للتخلص من أي عقبة تعترض آرائه وتحليلاته المبنية على خياله وتخمينه فقط.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٨.

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

ولو كانت هذه العشوائية والتخبط في إطلاق الأحكام مشروعة للباحث دون قيود لحق لكل باحث أن يفرض آراءه ونتائجه بنفس هذه المنهجية، وبالتالي لا تبقى للباحثين حقيقة تاريخية.

وحكمه هذا يرجع لسببين، فإما أن المتأخرين أدخلوها:

١ - لتتفق الرواية مع مفاهيم لاحقة، وصور بعدية، ودلالات سامية.

٢ - أو لتخدم الرواية أغراضا واعتبارات شخصية ونفسية^(١).

كما أن وات قد يطعن ويشكك في مجريات الأحداث حتى وإن كان ذلك قبل البعثة النبوية الشريفة، وسنين ذلك لاحقا في الصفحة التالية.

أضف إلى ذلك أيضا وقائع السيرة عموما فإن ديدنه في حكمه عليها أنها ترجع لأسباب مادية. كما (نجد في المقابل يرد الروايات التي لا يوجد بينها تناقض، بل بالإمكان الجمع بينهما وقراءتها في سياق واحد)^(٢)، وسبب رفض الجمع بين كل هذه الروايات هو معارضتها للنتيجة التي يريد الوصول إليها؟

فمنهج وات هو الطعن والتشكيك العموميين في السيرة من ناحية، ومن ناحية أخرى في علماء الأمة الذين أوردوا أحداث السيرة.

وستناول هنا الجزء الأول من الموضوع، لنبين المنهج الذي سلكه في الطعن في السيرة عموما. إن مما تمادى فيه وات إصراره أن "على المؤرخ الحديث أن يسقط من اعتباره الدوافع المعلنة في مصادره، ويستنتج ما يراه من الدوافع، على ضوء ما يعرفه من النمط العام لتصرفات الرجال"^(٣). فهو هنا يطلب منا أمرين:

الأول: إسقاط الدوافع المعلنة.

الثاني: استنتاج ما يراه "أي المؤرخ" من الدوافع.

ولرد على ذلك أقول: أي منهج علمي هذا الذي يطلبه منا وات: أن ننفي ما أظهره لنا أصحاب الدوافع لتلقى استنتاجات المؤرخ، بدون بينة أو برهان أو قرينة.

(١) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونجمري وات، في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص - ١٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص: ٢٠٤.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٦.

إن جل ما هو مطلوب منا في معاملة الناس، أن نعاملهم بما ظهر لنا منهم، ونكل سرائرهم إلى الله تعالى.

ويطلب منا الكاتب أمرا أشد خطورة، وهو في الوقت نفسه أشد غرابة، ألا وهو إلغاء ما ظهر لنا، والحكم بما هو في علم الغيب، علما أن ذلك قد يجزنا لما هو إثم على صاحبه، قال تعالى ﴿لَا تَبْخُلُوا بِمِمَّا آتَاكُم بِهِ﴾^(١).

ولو تم التعامل مع الكاتب بنفس منهجه، لأسقطت دوافعه المعلنة، واستنتجت دوافعه على ضوء ما عرف عنه من طعن في الإسلام وأصوله من كتاب وسنة ووحى وصحابة ﷺ... الخ. فلا يسلك هذا المنهج، بل يعهد للمنهج العلمي الذي وضع ضوابطه العلمية هو بنفسه، ثم الحكم عليه وعلى كتاباته وادعاءاته، فما كان مقبولا علميا، قبلناه، وإلا رد... وبالدليل. هذا من حيث عموم المنهج، أما من حيث اختصاصه بالأحداث، فإثبات ذلك من خلال الأمثلة التي ذكرها وات في كتابه.

بدءا بأحداث وقعت قبل البعثة النبوية، أو بعدها خلال الفترة المكية، ومنها ما تم التطرق إليه مسبقا، أو سيتم التطرق إليه في المباحث التالية. فمن الأحداث التي تعرض لها وات قبل البعثة النبوية، مسألة غزو جيش أبرهة للكعبة المشرفة، وأن هذه الغزوة باءت بالفشل بسبب الطاعون^(٢)، وهو مناف للحقائق التاريخية المعروفة. وأمر آخر أيضا ذكره الكاتب وهو أن العرب لا يقيمون وزنا للشعر، وهو ما سيتم الرد عليه لاحقا في مبحث العرب وقريش.

فإن كان وات لا يعتد بالسند في الفترة المكية، فما قبلها من باب أولى، وننوه إلى أن أمور كهذه لا ترتبط بأحكام فقهية أو شرعية، كونها كانت قبل البعثة، جاني الكاتب فيها جانب الحقيقة والصواب، فما بالناس بما تعلق بالأحكام الفقهية والشرعية.

وأما ما كان لأحداث وقعت بعد الهجرة النبوية، فتراه يقول: " وحتى إذا كان بعض هذه القصيدة والمراد هنا قصيدة أبي طالب التي قالها بعد إنهاء المقاطعة " قد جرى تليفه بعد ذلك "^(٣).

(١) سورة الحجرات - الآية: ١٢.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٦٧.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٥١.

وللرد على ذلك أقول: الأمر عند وات منهج، وليس تحزبا، أو تحيزا أو عنصرية لديه، بل هو منهج يسير عليه، بغض النظر عن الحدث، أو صاحب الحدث، فهو عندما أورد ذلك، كان منهجه عدم إثبات ذلك لا سندا ولا متنا، وأنى له ذلك.

أما ما كان منه لما بعد البعثة فقد سبق مناقشته مسبقا في بحثنا، ونشير إليه هنا إشارة لبيان منهج الكاتب.

فهو حين تحدث عن النبوة فإنه عزاها إلى " التخيل الخلاق "، أي: أن النبوة لم تكن إصطفاء من الله تعالى، بل من إبداع عقلية النبي ﷺ^(١).

وفي إطار نظرتة المادية يعزو وات ظهور الإسلام كرد فعل على إرتباك التطور عند العرب من المجتمع البدوي إلى الاقتصاد الحضري^(٢).

أما وقائع السيرة عموما فإن وات ينظر إليها نظرة مادية بحتة، ومن ذلك قوله: " من وجهة نظر المؤرخ، بعض هذه الوقائع موضع جدل، ويمكن تسميتها " بذات الطابع الفقهي ".

ولا شك أنها ليست حقيقية بالمعنى الواقعي للمؤرخ^(٣)، مشيرا إلى حادثة شق صدر النبي ﷺ، وبجيري الراهب، لينفى بذلك البشارة السابقة بنبوة محمد ﷺ^(٤).

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٢٧.

(٢) أمجاد الربابعة، مباحث في الاستشراق، بإشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود، محمد ﷺ في مكة تعريب شعبان بركات - ص: ١٩، ٢٠، عند الشيخ ص: ١٢٧، ١٦٢.

(٣) أمجاد الربابعة، مباحث في الاستشراق، بإشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود، محمد ﷺ في مكة تعريب شعبان بركات - ص: ٦٦ وفي نسخة الدكتور الشيخ:، ص: ٩٢، ٩٣.

(٤) المرجع السابق .

* الطعن في علماء المسلمين ممن نقل أحداث السيرة (المفسرون، المحدثون، المؤرخون):

سأعمد هنا إلى تقسيم طعون وات من خلال المفسرون، بحكم أن ذلك طعن بالمصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي وهو القرآن الكريم، ثم المحدثون، لكون الحديث هو المصدر الثاني من مصادر التشريع، وأختمها بالمؤرخين.

أولا: المفسرين:

بداية أذكر هنا كما أسلفت أن وات حين يتعرض للقرآن وتفسيره، يعمد أيضا للطعن المباشر وليس الضمني فقط، فيقول في تعليق له على مبحث آيات الزكاة: " قد يكون المفسرون غير مصيبين فيما يتعلق بسبب نزول هذه الآية "(١).

ولرد على ذلك أقول: إن كانوا غير مصيبين، فليحدد خطؤهم مثبتا ذلك بالدليل، ثم ليبين الصواب ويثبته بالدليل أيضا.

ثانيا: علماء الحديث ورواته:

ألمح وات ضمينا في كتابه إلى أن توجه جامعي الأحاديث " وهم رواة الحديث " كان فقهيها بالمقام الأول "(٢)، وهو ما يخالف الحقيقة تماما.

ولرد على ذلك أقول: بالإضافة للمضمون الفقهي للأحاديث، فمعرفة سيرته العطرة، وحركاته وسكناته، وكل شؤونه وما يتعلق بحياته العامة والخاصة، كل ذلك لا يدخل ضمن الإطار الفقهي الذي أشار إليه الكاتب.

وينسب وات أيضا لرواة الحديث، إنسياقهم لعوامل مادية، مؤيدا قول زميله فرانتس بول (٣) حين يقول: " عند التعامل مع الحديث، يجب على المرء أن يكون على حذر دائما عندما يكون هناك

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٣٢٣.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٢.

(٣) فرانتس بوهل (بول) (١٨٥٠م - ١٩٣٢م) ولد في كوبنهاجن، وبدأ حياته الجامعية بدراسة اللاهوت، ولما نال شهادته " ١٨٧٤م " وكان قد قام قبل ذلك بدراسة واسعة في اللغات الشرقية ولا سيما العربية، على فون مهين ليتمكن من العبرية، التحق بجامعة فيينا، وليبيزج " ١٨٧٦م، ١٨٧٨م " متبعا محاضرات العلمين: فلايمر ودليلتش، أما دراساته عن الإسلام، فقد انهمك بكل ما يختص بالقرآن والنبي، ولقد كتب مقالات عديدة في دائرة المعارف الإسلامية عن بدء الإسلام ومشاهيره وبلدانه، جميعها تدل على تفوقه ودقة بحثه وصدق مصادرها، المرجع: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج: ٢، ص: ٥٢٢ - ٥٢٣ .

احتمال تحيز حزبي واضح، ولا يسمح أن يضلله المظهر الذي يبدو أحيانا بريئا^(١). وللدرد على ذلك أقول: لم يراع وات في نقله عن بول، إظهار مسألة الجرح والتعديل عند المسلمين، فلولا أن الله سخر لها أناسا لقال كل من شاء ما شاء أن يقول. كما أنه يطعن وبشكل غير مباشر في الرواة، مدعيا أنهم يظهرون شيئا ويبطنون آخر، فالواجب على المرء عدم التأثر بما يظهر الرواة، وإن كان مظهرهم بريئا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن صدق الكاتب بأن هناك تحيز حزبي واضح، فأني له من أن يسلم من إعتراض الحزب المنافس لحزب راوى الحديث. وهل يعقل أن الحزب المنافس للراوي لم تكن له رواية مخالفة لرواية الراوى المتحزب؟

الإسناد:

أما مسألة الإسناد في مذهب وات، وهي تندرج في مبحث المحدثون، فالراوى عند روايته للحديث، لا بد من إسناد روايته تلك، فما من راوى حديث تقبل روايته إلا بعد أن يسند هذه الرواية. فوات يريد قبول ما لا يقبله هو من غيره، فأني لأولى الألباب والنهي الإنصياح لمثل هذا الكلام، فمالكم كيف تحكمون. إذ ليس من المنهج العلمي السليم عدم الإسناد، بذكر اسم الباحث، أو حتى المرجع الذي استند عليه هذا الباحث.

أما بالنسبة لوات، فله أن يحدث دون إسناد الأمر، فيذكر مثلا في حادثة الهجرة إلى الحبشة أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه^(٢) كان من ضمن المهاجرين إلى الحبشة، وإسناده في ذلك " كما ذكر لي أحد الباحثين " ^(٣)، فلا هو أورد سنداً، لا منقطعا ولا متصلا ليتم الحكم على صحة ما ذكر له. بل إن صحة الرواية لديه لا تعتمد على السند ولا على المتن، بل مرد صحتها للنتيجة التي يريد الوصول إليها من خلال رواية الحدث.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٥ - نقلا عن فرانتس بول.

(٢) عثمان بن مظعون : بالطاء المعجمة بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي قال بن إسحاق أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى في جماعة فلما بلغهم أن قريشا أسلمت رجعوا فدخل عثمان في جوار الوليد بن المغيرة ، توفي بعد شهوده بدر في السنة الثانية من الهجرة وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم ، الإصابة في تمييز الصحابة ، العين بعدها التاء ، ج : ٤ ، ص : ٣٨١ .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٣٤ .

ولإيضاح الصورة أضرب مثالا لذلك في كتاب وات، ففي ثنايا كتابه أورد قصة لعروض تسوية تقدم بها زعماء مكة لمحمد ﷺ، وكان حكم وات على هذه الرواية والقصة التأكيد على أن الرواية صحيحة.

ولنستعرض الآن المنهج الذي سلكه وات للحكم على هذه الرواية، من خلال الرجوع إلى مقدمة وات في هذه الرواية.

يقول وات: " والتعرف على هؤلاء الأربعة (١) أمر مثير، لقد كانوا هم، الوليد بن المغيرة (٢) من مخزوم " والعاص بن وائل " (٣) من سهم "، والأسود بن المطلب (٤)، وأمّية بن خلف (٥) من جمح "، وكان ثلاثة من هؤلاء من عشائر تنتمي للأحلاف التي كانت منافسة قديما لبني هاشم وحلف الفضول (٦)، وهذا يؤكد صحة الرواية (٧).

(١) " أي زعماء مكة ممن عرضوا التسوية على رسول الله ﷺ ".

(٢) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي القرشي، أحد قادة قريش وسادتها في العصر الجاهلي ووالد الصحابين خالد بن الوليد والوليد بن المغيرة. من أغنى أغنياء قريش حيث ورد أنه بنى ركن من أركان الكعبة الأربعة عندما قامت قريش بترميمها واشتركت باقي القبائل في بقية الأركان، وورد كذلك أنه كان في موسم الحج وطول الأربعين ليلة يذبح للحجيج كل يوم عشرة من الإبل وقيل أن قافلة تجارته تقدر بمائة بعير حتى يقال أنها لا تدخل من باب واحد بل من جميع أبواب مكة حتى تصل الجمال في وقت واحد. كانت قريش تسميه الوحيد أو وحيد مكة لأن قبائل قريش تكسو الكعبة عام وهو وحده عام، ويقال أنه أول من حرم الخمر في الجاهلية، وقد مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر عن خمس وتسعين سنة ودفن في الحجون بمكة.

(٣) العاص بن وائل السهمي، سيد بني سهم في قريش يلتقي نسبه مع محمد بن عبد الله ﷺ في كعب بن لؤي. كما أنه والد الصحابي عمرو بن العاص وهشام بن العاص.

(٤) الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي. رجل من قبيلة قريش. كان معاصراً لظهور الإسلام، وكان من أشد المعادين له، هو ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد، وهو أيضاً ابنة خال السيدة برة بنت عبد العزى، جدة النبي محمد لأمه. حاول مع ابنه زمعة، ومع كثير من سادة قريش التفاوض مع النبي محمد لثنيه عن دعوته، إلا أن محمداً رفض دعوتهم.

(٥) أمّية بن خلف هو أمّية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الجمحي المكي، أحد رؤوس قريش وكبارهم، قُتل في غزوة بدر في العام الثاني الهجري على يد الصحابي بلال بن رباح.

(٦) حلف الفضول: سبب تسميته كذلك قال ابن هشام: وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال: تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان، لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. سيرة ابن هشام ج: ١، ص: ٢٤٢.

(٧) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٥٣.

=

إن تعنت وات في سلوك المنهج العلمي، دفعه مع الأسف الشديد للتعسف في إثبات أمور، يتم إثبات بطلانها بأبسط قواعد المنهج العلمي الصحيح.

فحكّمه على الرواية بأنها صحيحة، كان مستنده الوحيد هو التعرف على هؤلاء الأربعة المذكورون في الرواية.

وبتمحيص هذه الفقرة، تجد المعاناة التي عاناها وات لإثبات وجهة نظره بكون الرواية مشكوك فيها، دون أن يكلف نفسه مشقة اتباع المنهج العلمي الصحيح لذلك.

فتراه يقول: " من الصعب... أن نكون متأكدين... وجود كثير من الزخارف المقحمة... من الممكن ".

كما وصل به الوهن إلى أن لا يسعى للتأكد من أمر سبيل التأكد منه هين ويسير كمثل قوله: "وهناك آية أخرى ربما تشير إلى اجتماع قريش، وإن كنا غير متأكدين من ذلك، والآية هي ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾^(١) (٢).

فأقول إنه ليسير على من يسره الله عليه، فللتأكد من هذه الآية، بالرجوع لكتب التفسير، قال القرطبي^(٣) بعد إيراد هذه الآية: " هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة؛ فاجتمع رأيهم على قتله فبيّته، ورسدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج. فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب^(٤) أن ينام على فراشه، ودعا الله ﷻ أن يُعمي عليهم أثره، فطمس الله على أبصارهم، فخرج وقد غشيهم النوم، فوضع على رؤوسهم تراباً ونهض.

فلما أصبحوا خرج عليهم عليٌّ فأخبرهم أن ليس في الدار أحد، فعلموا أن رسول الله ﷺ قد

(١) سورة الأنفال - الآية: ٣٠ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩٣.

(٣) القرطبي صاحب التفسير: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. الإمام العلامة أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي القرطبي إمام متفّن متبحّر في العلم، له تصانيف مفيدة تدلّ على كثرة اطلاعه ووفور فضله، توفي أوائل سنة إحدى وسبعين وستمائة بمئنة بني خصيب من الصعيد الأدنى بمصر وقد سارت بتفسيره الركبان وهو تفسير عظيم في بابه، وله «كتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى»، و «كتاب التذكرة»، وأشياء تدلّ على إمامته وكثرة اطلاعه، الوافي بالوفيات، الهمزة وما بعدها، ج: ٢، ص: ١٦١ .

(٤) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فرى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وتتبع النسائي ما خص به من دون الصحابة فجمع من ذلك شيئا كثيرا بأسانيد أكثرها جياد، الإصابة في تمييز الصحابة، العين بعدها اللام، ج: ٤، ص: ٤٦٤ .

فات ونجا " ثم يقول القرطبي " الخبر مشهور في السيرة وغيرها "(١).

ولا أعتقد أن القرطبي عنده من المراجع ما توفر لنا في زماننا هذا، وتوافر لوات أيضا، والدليل على ذلك ما ذكره المترجم في بداية كتابه من رجوع وات لكتب أقرانه المستشرقين، والذين هم بدورهم اطلعوا على كثير من كتب التفسير (٢).

وختاما أعيد الكرة فيما ذكر رجل من بنى جلدة الكاتب حول مسألة السند، قبل أن نعطي الخلاصة فيه.

(يقول شبرنجر (٣) في كتاب الإصابة المطبوع في كلكتا سنة ١٨٥٣م - ١٨٦٤م: " لم نكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة - كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة - أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر، الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم (٤).

(وخلاصة القول في السند هي: أن السند كان موجودا في عهد الرسول ﷺ، ولا يلزم من عدم السؤال عنه عدم وجوده.

وقد بدأ السؤال عن السند في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وازداد البحث والتحري عنه بعد مقتل عثمان رضي الله عنه (٥)، لما رافقه من اختلاف وانقسام إلى فرق وأحزاب، ومحاوله كل فرقة التمسك بما يؤيد موقفها

(١) تفسير سورة الأنفال القرطبي في تفسيره، ج: ٧، ص: ٣٩٧، ابن كثير في تفسيره، ج: ٤، ص: ٣٨، النسفي في تفسيره، ج: ٣، ص: ٤٨٧.

(٢) محمد ﷺ في مكة، ص: ١٠ - ١٣.

(٣) ألويس شبرنكر (١٨١٣م - ١٨٩٣م) ولد في ألتيرول، وتعلم في أنسبروك وفيينا وباريس، ورحل إلى لندن وتجنس بالجنسية البريطانية " ١٨٣٨م"، ونال الدكتوراة في الطب من ليندن " ١٨٤١م"، فأرسلته شركة الهند الشرقية إلى الهند طبيبا " ١٨٤٢م" وولته الحكومة رئاسة الكلية الإسلامية في دلهي، ثم مدرسة كلكتا، وعينته مترجما للغة الفارسية، فأصدر في دلهي أول صحيفة أسبوعية بالهندستانية، وانقطع عن خدمة الحكومة " ١٨٥٧م"، فعين أستاذا للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا، ثم اعتزل التعليم إلى التأليف في هيدلبرج، المرجع: نجيب العقيلي، المستشرقون، ج: ٢، ص: ٢٧٧.

(٤) عبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ٥١، ٥٢.

(٥) عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو عبدالله وأبو عمر وأمه أروى بنت كرزب أسلمت، وأمها البيضاء بنت عبدالمطلب عمه رسول الله ﷺ ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح وكان ربعة حسن الوجه رقيق البشرة عظيم اللحية بعيد ما بين المنكبين، وقال بن إسحاق قتل على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما من خلافته فيكون ذلك في ثاني وعشرين ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، الإصابة في تمييز الصحابة، العين بعدها التاء، ج: ٤، ص: ٣٧٧.

من نصوص إزاء الأحداث، فكان ذلك مما استوجب الحيطة والحذر والتثبت في قبول الروايات. ومن ثم أصبح السؤال عن السند، وإلزام الرواة به أمراً ضرورياً وواجباً دينياً نظراً لطبيعة المرحلة التي مهدت السبيل أمام ذوى الأهواء والميول الخاصة للفساد والافتراء في الحديث، ثم صار الالتزام بالسند أمراً شائعاً وسنة متبعة لدى رجال الحديث. ومع وضوح بداية السند، وشيوع التزامه، والتمسك به في هذا الوقت المبكر من تاريخ الحديث، فإن المستشرقين قد حاولوا أن يثيروا الشكوك حول بدايته. وذلك لإضعاف الثقة به، ومن ثم إضعاف الثقة بالحديث النبوي الشريف، فقالوا فيه أقوالاً استندوا فيها إلى بعض الأوهام أو الأقول التي ظنوا أنها تؤيد فيما ذهبوا إليه^(١).

ثالثاً: المؤرخون:

يعمد وات إلى الطعن في أحداث السيرة، وذلك من خلال التسلسل لما فيها من التفاصيل، فيقول: " رغم أن التفاصيل قد يكون لحقتها إضافة نتيجة الاستنتاج الخاطيء أو بفعل التخيل "^(٢). فهو يعمد من خلال هذه النقطة إلى إيهام القارئ بعدم وجود أمانة في النقل العلمي، وعدم كفاءة في الاستنتاج، وطعنه هذا في علماء الأمة. كما يلزمنا برفض استنتاجات أناس عاصروا هذه الفترة المباركة، ونقلوها بكل تفاصيلها، بدعوى خطأ في الاستنتاج أو التخيل. وبالمقابل يطلب منا أن نقبل باستنتاجات المؤرخ لفترة لم يعاصرها، بل ويرفض قول من عاصرها، ويرفض الدوافع المعلنة أيضاً، كما فعل حين انتقد عروة بأنه كتب هذه الأحداث بعد سبعين عاماً، فشكك في روايته، أما هو فهو يريد منا أن نقبل ما تفضل به علينا من افتراءات وادعاءات، رغم مرور سنين طوال، وأطول مما مرت على عروة. وقد أعترض وات على زميله " بل " والنتائج التي خلص إليها حين قال: " كثيراً من النتائج التي

(١) نعمات محمد عبد الرحمن الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ١٩١، ١٩٢، محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي - ص: ٩٣.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٩.

خلص بها بل من مباحثه تلك ليست جميعا مؤكدة، طالما أن اختلاف وجهات النظر مسألة قائمة^(١)، فلم رفض هذا الأمر من علماء المسلمين المؤرخين، وقبله من زملائه؟

ومن الفرضيات التي فرضها وات في السيرة النبوية أنه " كان هناك دائما احتمال وضع الأحداث "^(٢)، ويقول أيضا: " يبدو ذلك صحيحا، وإن سجل فيما بعد ليتفق مع أفكار لاحقة "^(٣). وللدرد على ذلك أقول: أين نحن من علم الإسناد وعلم الجرح والتعديل؟ وعلى هذا المبدأ الذي وضعه، فالسيرة من ألفها إلى يائها محتملة الوضع، وهو بهذا القول ينسف السيرة النبوية برمته.

(إن هذا العلم يضع أشد الشروط في كل راو يروى الحديث عن النبي ﷺ وتطبق عليه، والذي تطبق عليه القواعد ليس هو من سمع النبي ﷺ فحسب !

لا، إنما من روى عن من سمع منه، ومن بعده، ومن بعده، وهكذا، حتى هذه اللحظة، أو حتى قيدت تلك القصة في الكتاب، ثم ننظر في صحة نسبة ذلك الكتاب إلى مؤلفه، فإذا تأكدنا من ذلك عرفنا أن القصة صحيحة أو ضعيفة.

فهو ميزان حساس وأشد حساسية من ميزان الذهب، وهو تدقيق أشد من تدقيق الصراف الماهر في زيف النقود)^(٤).

ومن الطعون التي تتعلق بالسيرة أيضا قوله: " كانت الأعوام التي تبعت زواج محمد ﷺ سنين إعداد للمهمة التي تنتظره، ومع ذلك، فليس لدينا من المعلومات ما يمكننا من إعادة تصور عملية الإعداد "^(٥).

ويقول أيضا: " هناك شك في كثير مما ينسب إلى هذه المرحلة " مرحلة الإعداد " في الروايات التقليدية "^(٦).

وللدرد على ذلك أقول: بل هناك معلومات لا حصر لها لمثل هذه المرحلة، فهي مرحلة مهمة في

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٣

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٦.

(٣) محمد ﷺ في مكة، ص: ٥٤، ولفظ الدكتور الشيخ: وربما تكون بعض جوانب الموضوع قد حدث فيها تعديل نتيجة للأحداث التي وقعت فيما بعد.

(٤) توفيق بن خلف الرفاعي، لك القرار - ص: ٢٠٨، ٢٠٩.

(٥) محمد ﷺ في مكة، ص: ١٠٠.

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٧.

حياة الرسول ﷺ، وأسهب المؤرخون كثيرا في ذلك، ووضعوا الشروح لها. ورغم وجود هذه المعلومات في المصادر التي اعتمدها وات بنفسه، إلا أنه أصدر عليها حكما عاما، ليستغنى بذلك الحكم عن الرجوع لهذه المصادر. وهذا إفتراض لا أساس له، وتشكيك في غير محله، فإن أقام الكاتب الحجة على أسباب هذا الشك فله ذلك، ولا سبيل لذلك إلا من خلال: السند، أو المتن، أو مخالفة صريحة لما ورد في الكتاب والسنة.

كما أن الإقرار بافتراض الكاتب هذا يؤدي بنا إلى الطعن في رواية الحديث عن بكرة أبيهم. إضافة إلى أن التشكيك في جزء من السيرة بلا بينة أو برهان، يؤدي للتشكيك في الكل... فالمنهج عندها واحد، فالسيرة النبوية أجزاءها مكملة لبعضها البعض، ولا شك أن كل جزء منها لا يتجزأ عن الكل. هذا من حيث الحكم على وقائع السيرة، أما من حيث الحكم على الرواة إجمالا فله مذهب خاص به، وهذا من حيث الإجمال، أما من حيث التفصيل، فلننظر إلى المذهب المختار لوات في الحكم على رواية السيرة.

أ - عروة بن الزبير رضي الله عنه:

يعمد وات إلى نسف السيرة النبوية برمتها من خلال خطوات محددة بينها في كتابه، نلخصها بالنقاط التالية:

أولا: الزعم بأن الراوي الوحيد المستحق نقل روايته هو عروة بن الزبير رضي الله عنه.
ثانيا: الطعن والتشكيك في عروة، وإظهار وجود نزعات وتحيز له.
الثالثة: رفض ما أتى به عروة من الروايات لوجود النزعات والتحيز.
يقول وات أن " الراوي الوحيد الذي تستحق رواياته الدراسة هو عروة بن الزبير رضي الله عنه " (١)، فهو هنا وبأسلوب غير مباشر يطعن في باقي الرواة. وللدرد على ذلك أقول: مفهوم كلامه المبطن بأن هذا الراوي هو الوحيد لذي له من الأمانة والكفاءة العلمية ما يستحق قبول روايته، فيما تنعدم هذه الصفات لدى الآخرين.
كما أن المنهج العلمي يخالف هذا المذهب الذي سلكه الكاتب، فالأصل حصر الروايات قدر

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٨.

الإمكان، ومن ثم العناية والتصحيح قدر الإمكان كما رسم الكاتب منهجه. هذا ومما لا شك فيه أن لعروة المنزلة العالية والمكانة الرفيعة بين أقرانه من علماء السلف، إلا أن هذا لا يمنع الأخذ عن غيره. وعلى الرغم من ادعائه المذكور آنفاً، وبطلانه، فإن وات قام بالطعن في عروة حين قال بأن: "عروة ليس شاهداً محايداً" (١). وللدرد على ذلك أقول: هذا طعن مرفوض في عروة، ومناقض لما ذكره في البداية من أنه هو "الوحيد الذي تستحق روايته" (٢)، "أم أن ذلك فيما وافق هواه. وفي سبيل إجتثاث كتب السنة من أساسها فالكاتب حين جزم بأن "المصدر الوحيد الذي يستحق الدراسة هو عروة بن الزبير، قال بعد ذلك: "وقد درسنا نزعاته في الملحق" (٣). فهذا مدح وقدر في آن واحد، فكيف لمن لديه نزعات أن تقبل عنه الرواية دون غيره من الرواة؟ فوات هنا بداية ينفي أي رواية سوى من طريق عروة كمرحلة أولى، وما ذلك إلا سبيل لقبول منهجه هذا.

ومن ثم في المرحلة الثانية ينقض ذلك، ويتهم عروة بأنه لا تصلح روايته أيضاً ليصل إلى هدفه المبيت، وهو إجتثاث كل ما في السيرة النبوية من المصادر، وعزوها لما يوافق هواه ونتائجه المسبقة. وفي هذا المقام يبرز ما قاله أهل الجرح والتعديل في عروة الذي طعن وات في مصداقيته وشكك. قال ابن حبان (٤): عروة ابن الزبير ابن العوام القرشي من أهل المدينة كنيته أبو عبدالله أخو

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٣، ص: ٣٣٠.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٨.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٨.

(٤) مُحَمَّدُ بْنُ جَبَانَ أَبُو حَاتِمِ الْبُسْتِي الْحَافِظُ: صاحب «الأنواع»، ومؤلف كتابي «الجرح والتعديل» وغير ذلك، كان من أئمة زمانه، وطلب العلم على رأس سنة ثلاثمائة، قال الحَاكِمُ: وأبو حاتم كبير في العلو، وكان يحسد لفضله، ثم أرخ وفاته في ليلة الجمعة ثامن شوال سنة أربع وخمسين، ودفن بقرب داره التي جعلها مدرسة لأصحاب الحديث، وجعل فيها خزانة كتب، وجعلها تحت يد من بدلها لمن يريد نسخ شيء منها. لسان الميزان، من اسمه محمد، ج: ٥، ص: ١٢٨.

عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (١) وأمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢) ، يروي عن عائشة رضي الله عنها (٣) ، وأبيه رضي الله عنه وعبدالله بن عمرو رضي الله عنه (٤) ، روى عنه الزهري (٥) وكان من أفاضل أهل المدينة وعلمائهم ويقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف نظراً ويقوم به ليلة ما ترك نصيبه من الليل ولا ليلة قطعت رجله وذلك أن الأكلة وقعت فيها فنشرها فما زاد على أن قال: الحمد لله، وإذا كان أيام الرطب ثلم حائطه وأذن للناس أن يدخلوا فيأكلوا ويحملوا (٦).

قال ابن سعد في الطبقات: وكان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالياً مأموناً ثبتاً (٧)، وقال العجلي مدني، تابعي ثقة، كان رجلاً صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن (٨)، وليس كما يدعى الكاتب هنا. وذكر أبو حاتم التميمي في مشاهير علماء الأمصار أنه: من فقهاء المدينة وأفاضل التابعين وعباد قريش، كان يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف، نظراً بالتدبر والتفكير فيذهب فيه عامة يومه، ثم يقوم تلك الليلة به علي التدبر والتفكير حتى يذهب عامة ليله به (٩)، كما ذكر في الوافي بالوفيات أنه

(١) عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، وأمه عاتكة ابنة أبي وهب ابن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، لا عقب له، وقتل يوم أجنادين في خلافة أبي بكر شهيداً، الإصابة في تمييز الصحابة ، باب من اسمه منهم عبد الله ، ج : ٣ ، ص : ٣٨ .

(٢) أمها قبيلة، ويقال: قبيلة بنت عبد العزى بن عبد أسد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، ويقال؛ بنت عبد العزى بن عبد أسد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، كانت أسماء بنت أبي بكر تحت الزبير بن العوام وكان إسلامها قديماً، بمكة وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير فوضعت بقاء، وتوفيت أسماء بمكة في جمادي الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير ببسير ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، باب الألف ، ج : ٤ ، ص : ٣٤٤ .

(٣) عائشة بنت أبي بكر الصديق تقدم نسبها في ترجمة والدها عبدالله بن عثمان رضي الله عنه وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس ماتت سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند الأكثر وقيل سنة سبع ذكره علي بن المديني عن بن عيينة عن هشام بن عروة ودفنت بالبقيع. الإصابة في تمييز الصحابة ، حرف العين المهملة ، ج : ٨ ، ص : ٢٣١ .

(٤) ابن حبان في ثقافته - باب العين، ج: ٥، ص: ١٩٤.

(٥) ابن حبان في ثقافته - باب العين، ج: ٥، ص: ١٩٤.

(٦) ابن حبان في ثقافته - باب العين، ج: ٥، ص: ١٩٤.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، الطبقة الأولى من أهل المدينة، ج: ١، ص: ١٣٤ .

(٨) العجلي في ثقافته، ج: ١، ص: ١٣٣.

(٩) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ذكر مشاهير التابعين بالمدينة، ج: ١، ص: ٨٢.

=

أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة^(١)، ونقل الشيرازي في طبقات الفقهاء قول عمر بن عبدالعزيز في عروة: ما أحد أعلم من عروة بن الزبير، وقول الزهري: عروة بحر لا تكدره الدلاء^(٢). وأفردت أقوال العلماء في عروة دون غيره من المؤرخين كابن اسحاق وابن سعد وغيرهما نظرا لكونه أقرب الرواة عهدا بالسيرة النبوية المشرفة، ولولا الإطالة لأوردنا أقوال علماء الجرح والتعديل لكل من طعن به الكاتب.

ب: ابن اسحاق رحمته الله^(٣)، والمراجع:

لم يأل الكاتب جهدا أيضا في اتهامهما، فقال بعد إيراد دخول رسول الله ﷺ في جوار المطعم بن عدي: "وأما ما حدث بعد ذلك، فقد مرت عليه المراجع مرا خفيفا، ما دام غير ملائم لبني هاشم، ويبدو أن ابن إسحاق قد حذف ما يتعلق بهذه الفقرة"^(٤).

ومن ذلك أيضا قوله في حادثة الهجرة: "ومن الصعب أن نكون متأكدين من طبيعة هذا الخطر ومداه، فالرواية عن الهجرة بشكل عام تتسم بوجود كثير من الزخارف المقحمة، وحتى المراجع الأولى ربما لا تخلو من الإضافات، ومن الممكن أن يكون محمد ﷺ بعد الاجتماع قد تعرض للإزعاج والمضايقة في مكة".

وللرد على ذلك أقول: لا يرجع أمر إثبات حذف شيء من كتاب سوى بالرجوع لنسختين، نسخة مثبتت فيها ما تم حذفه، وأخرى مثبتت فيها الحذف، أو بإقرار من الكاتب بالحذف، لأننا إذا سلطنا هذا المنهج في البحث، فمن السهولة إفتراض أي شيء بدعوى أن ذلك يبدو. فعلى سبيل المثال بالإمكان أن أقول بأنه يبدو أن وات قد اعتنق الإسلام، لكن المصادر لم تشر لذلك، أو أنه قد حذف ما يتعلق بهذا الأمر من كتبه ما دام غير ملائم للنصارى... أنبؤوني بعلم إن كنتم صادقين.

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، الألقاب، ج: ٢٣، ص: ١١٧ .

(٢) الشيرازي، طبقات الفقهاء، فقهاء التابعين حسب الأمصار، ج: ١، ص: ١٦ .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلي أبو عبد الله صاحب المغازي تابعي مدني رأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وسمع جماعة كثيرة من التابعين حدث عنه الأئمة يحيى بن سعيد والثوري وابن عيينة وغيرهم. كان عالما بالسير والمغازي وأيام الناس وأخبار المبدأ وقصص الأنبياء وعلم الحديث والقرآن والفقهاء قدم ببغداد وحدث بها ومات بها سنة خمسين ومائة ودفن بمقبرة الخيزران في الجانب الشرقي رحمة الله تعالى، الجواهر المضبئة في طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي، حرف اللام، ج: ١، ص: ٢٨٦ .

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٧٧.

ج: ابن هشام رحمته الله ، والطبري رحمته الله (١) :

رغم استدلال وات بابن هشام وسيرته، وثناؤه عليها إلا أنه قام بالطعن فيهما بشكل غير مباشر بقوله: " أحسن وصف يمكن أن توصف به السيرة النبوية لابن هشام أنها رواية منقحة من سيرة ابن إسحاق ".

إلا أنه يقول في نهاية الفقرة، " ووجدت بعض الفقرات المفقودة في طبعته في أماكن أخرى، ولكن لا نستطيع أن نجزم بما إذا كان هو المسؤول عن هذا الحذف "(٢).

فالكاتب هنا ألقى بذور الشك بوجود نقص في طبعة ابن هشام، وأتبع هذه البذور بسقيها بماء التشكيك، بعدم جزمه بمسؤوليته عن ذلك، وهنا تبنت لدى القارئ نبتة من الشك، أدناها اتهام ابن هشام بعدم الأمانة في النقل، وإن لم يجزم هو بذلك.

ومن ذلك أيضا طعنه بابن هشام والطبري مجتمعين، فيقول: " مع أن المعلومات التي قدمها لنا ابن هشام والطبري عما تبقى من الحقبة المكية قليلة.

وهي معلومات مستقاة من القرآن الكريم، لكنها ليست صورة طبق الأصل لما ورد به، لقد كانت هذه المعلومات التي قدمها ابن هشام فيها بعض المبالغة في اتجاهات بعينها "(٣).

وللرد على ذلك أقول: طعن وات بها من ناحيتين:

الأولى: من ناحية كونها غير مطابقة للأصل، رغم أنها مستقاة من القرآن الكريم. والثانية: كونها مبالغ فيها.

وفي كلا الحالتين، لم يورد لنا مثالا، ولا استدلالا كعادته، فالمفترض لإثبات ذلك المقارنة بين الأصل والنسخة، وهو ما لم يتم التطرق إليه، وإثبات المبالغة بنفس السبيل أيضا.

(١) محمد بن جرير الطبري الإمام المفسر أبو جعفر شيخ الإسلام وصاحب التصانيف الباهرة. توفي سنة عشر وثلثمائة. ثقة صادق فيه تشييع وموالاته لا تضر. أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ فقال: كان يضع للروافض. كذا قال السليماني قال الذهبي: وهذا رجم بالظن الكاذب، بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، وما ندعي عصمته من الخطأ، ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض لا ينبغي أن يتأتى فيه ولا سيما في مثل إمام كبير، الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث ، حرف الميم ، ج : ١ ، ص : ٢٢١ .

(٢) محمد رحمته الله في مكة - ص: ٤٢، ٤٣ .

(٣) محمد رحمته الله في مكة - ص: ٢٤ .

د: ابن سعد رحمته الله (١) :

أما ابن سعد، فنال نصيبه أيضا من تقليل القدر عند وات، حين عزا إليه أن مادته رغم كثرتها، إلا أنها ذات قيمة تاريخية قليلة.

ونادرا ما يكون ابن سعد هو المصدر الوحيد في موضوع ذي أهمية، رغم إقراره بأهمية المعلومات عن سيرة الصحب الكرام رضي الله عنهم (٢).

وللرد على ذلك أقول، بأن أهمية ما أورده ابن سعد رحمته الله لا تقل أهمية عما أورده سواه من رواة السيرة.

وأما المواضيع ذات الأهمية التي زعم وات أن ابن سعد لم يتطرق إليها، فكل مواضيع السيرة النبوية مهمة، ولا يوجد موضوع مهم وآخر غير مهم في السيرة النبوية.

أضف إلى ذلك أن وات لم يدعم قوله ببعض ما أورده ابن سعد من مواضيع، ثم يثبت بعد ذلك بالدليل أنه لا أهمية لهذه المواضيع.

وأخيرا أقول... رحم الله كل من كتب في هذه السيرة العطرة، وطيب الله ثراه، وأعقب من انتقصهم ذلا وهوانا في الدارين.

(١) محمد بن سعد ابن منيع، الحافظ العلامة الحجة، أبو عبد الله البغدادي، كاتب الواقدي ومصنف « الطبقات الكبير » في بضعة عشر مجلدا و « الطبقات الصغير » وغير ذلك. ولد بعد الستين ومئة، فقيل: مولده في سنة ثمان وستين. وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار. توفي ببغداد في يوم الاحد لاربع خلون من جمادى الآخرة، سنة ثلاثين ومئتين، وهو ابن اثنتين وستين سنة، سير أعلام النبلاء، الطبقة الثانية عشر، ج: ٩، ص: ٢٩٥.

(٢) محمد رحمته الله في مكة - ص: ٤٣.

الفصل الثالث: شخصية الرسول الكريم ﷺ

المبحث الأول: رسول الله ﷺ:

المطلب الأول: قبل البعثة النبوية الشريفة.

المطلب الثاني: النبوة.

المطلب الثالث: دعوة قريش.

المبحث الثاني: مدح رسول الله ﷺ.

المبحث الثالث: الطعن والتشكيك في رسول الله ﷺ.

المطلب الأول: الطعن.

المطلب الثاني: التشكيك.

المبحث الأول: رسول الله ﷺ:

في هذا المبحث، قسمت المبحث إلى قسمين:

الأول: أذكر فيه ثلاثة أمور:

الأول: أطرح ما طرحه وات في السيرة النبوية المطهرة قبل البعثة.

ثم ثانيا على نبوة النبي ﷺ، ونظرة وات إليها.

وثالثا وأخيرا دعوة قريش وما ذكره فيها وات.

أما القسم الثاني، فسأعرض لتناقض وات مع شخصية النبي ﷺ:

رسول الله ﷺ ومدح وات له، ثم الطعن والتشكيك به ﷺ.

* وات وما قبل البعثة النبوية الشريفة:

حين تعرض وات للحديث عن فترة ما قبل بعثة الحبيب المصطفى ﷺ فيرى وات أن النبي ﷺ أخذ عن ورقة بن نوفل في بداية الدعوة فيقول: " ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد ﷺ لسبب معرفته كتب المسيحية المقدسة، ولا شك أن المقطع القرآني حين رده محمد ﷺ قد ذكره بما هو مدين به لورقة.

ولهذا فمن الأفضل الافتراض بأن محمداً ﷺ قد عقد صلوات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة" (١).

وللد على ذلك: أذكر أطرف ما قرأت من التعليق على مسألة بحيري، وهو ما أورده المستشرق توماس كارلايل (٢) في موضوع لقائه ﷺ ببخيرا الراهب.

يقول كارلايل تعليقا على ذلك، وأن الرسول ﷺ تعلم منه النصرانية: " وإني لست أدري ماذا أقول عن ذلك الراهب سرجياس " بحيري " الذي يزعم أن أبا طالب ومحمداً ﷺ سكنا معه في داره ! ولا ماذا عساه يتعلم غلام صغير في هذا السن من أي راهب "، وهذا حق يوصل إليه البحث العلمي المتجرد من الهوى (٣).

وهنا أقول، يكفينا شهادة شاهد من أهل وات في هذه المسألة، لأن وات اعتمد عند " الحكم على وقائع السيرة بنظرة تاريخية مادية، مشيرا بذلك إلى حادثة شق صدر النبي ﷺ وهو صغير (٤)،

(١) في ترجمة الشيخ: " فمن بين الرجال الذين عرفناهم مع محمد ﷺ، فإن ورقة كان على صلة وثيقة بمحمد ﷺ، وكان معروفا بدراساته للأناجيل فهذه الآيات القرآنية الأنف ذكرها " إقرأ... " كانت تذكر محمداً ﷺ عند قراءتها بما هو مدين لورقة بن نوفل به... ومن الأسهل أن نفترض أن محمداً ﷺ كان على صلة متتابة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة على الوحي، والأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة، ص: ١٢٠.

(٢) توماس كارليل (١٧٩٥م - ١٨٨١م): آثاره: الأبطال " ١٨٤٠م " وقد عقد فيه فصلا راعا عن النبي، فنقله إلى العربية الأستاذ على أدهم، والثورة الفرنسية... الخ، المرجع: نجيب العقيقي - المستشرقون، ج: ٢ ص: ٥٣ .

(٣) أمل بنت عوض الثبتي، رسالة ماجستير بعنوان: السيرة النبوية في كتابات الاستشراق البريطاني - دراسة تاريخية نقدية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، ص: ١٤٤، ذكرت هذه القصة عند ابن كثير، البداية والنهاية ج: ١، ٢: ١٧، ابن كثير في تفسير القرآن العظيم - ج: ٤، ص: ٤٧٥، العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج: ١، ص: ١٢٧، وفي طبعة مكتبة الشارقة ج: ١، ص: ١٠٦ .

(٤) ذكر هذه القصة محمد رشيد رضا، الشمائل المحمدية، ورواه النووي في نهاية الأرب في فنون الأدب، باب الفن الخامس ص: ٣٦ .

وبحيرى الراهب، لينفى بذلك البشارة السابقة بنبوته محمد ﷺ^(١).

وبعد حادثة بحيرى، وقبل زواجه ﷺ يقول وات: (تلك هي الوقائع التي تهيمن على حياة محمد ﷺ قبل زواجه، فمن وجهة نظر المؤرخ بعض هذه الوقائع موضع جدل.

وهناك مع ذلك عدد كبير من الروايات التي يمكن تسميتها بذات الطابع الفقهي ولا شك أنها ليست حقيقة بالمعنى الواقعي للمؤرخ.

لأنها تحاول وصف وقائع يمكن تسميتها لفترات لاحقة من حياة محمد ﷺ بالنسبة إليهم، وتكون ملحقا مناسبا لحياة نبيهم ﷺ، وربما يمكن اعتبارها كتعبير لمن كان له عيون ترى فرأى، لو كان شاهدا لها ويكفي أن نذكر أشهر هذه القصص كما يرويها ابن إسحاق^(٢).

وللرد على ذلك أقول: لم يبين لنا الكاتب ما هو سبب كونها موقع جدل، وما هو نوع الجدل الحاصل، بل ولم يذكر لنا مستنده في كونها موضع جدل، كل ما في الأمر، فرض أنه موضع جدل.

* نبوة محمد ﷺ عند وات:

حين تحدث وات عن النبوة عزها إلى " التخييل الخلاق "، أي: أن النبوة لم تكن اصطفاء من الله تعالى، بل من إبداع عقلية النبي ﷺ^(٣)، كما أنهم رسول الله ﷺ بأنه: " قد لا يكون واعيا بكل ذلك في البداية "^(٤).

فرد وأقول: كيف للداعي أن يبدأ دعوته وهو غير واع لجميع أبعادها، بل إن مرحلة الإعداد كما سماها الكاتب تنفى هذه المسألة، وهو مصداقا لقوله ﷺ: " ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم "^(٥).

(١) أجماد الربابعة، مباحث في الاستشراق، إشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود نقلا عن محمد ﷺ في مكة تعريب شعبان بركات ص: ٦٦، في ترجمة الدكتور الشيخ ص: ٩٣ - ٩٨ .

(٢) هيا العتيبي، تقرير موجز عن المستشرق مونتجمري وات، إشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود نقلا عن عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، ص: ٣٩، محمد ﷺ في مكة ص: ٦٦، في ترجمة الشيخ ص: ٩٢، ٩٣ .

(٣) أجماد الربابعة، مباحث في الاستشراق، بإشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود، محمد ﷺ في مكة تعريب شعبان بركات - ص: ١٩ - ٢٠، في نسخة الشيخ: الوحي من النوع الكلامي التخيلي - ص: ١٢٧ .

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٢٦ .

(٥) ونص الحديث عند البخاري في صحيحه، في باب رعي الغنم على قراريط ج: ٢، ص: ٧٨٩، برقم: ٢٢٢٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم "، فقال أصحابه رضي الله عنهم: وأنت؟ فقال ﷺ: " نعم كنت أرعاها على قراريط =

وقد ذكر الكاتب في موضع آخر، أن "الكلمات التي تلقاها محمد ﷺ وحي من الله سبحانه كانت مسألة حاضرة في عقل محمد ﷺ وقلبه منذ البداية" (١) فخالف هنا ما ذكره هناك. من الواضح أن وات اعتمد (الأخذ بالمفهوم الغربي الحديث للنمو التدريجي للأديان، أي أن الرسول أو النبي ﷺ يعمل وفق المقتضيات المرحلية لكل فترة تاريخية. ومن ثم فإن منظوره للدين إنما هو وليد مواضع تلك الفترة، فهو لا يملك -ابتداء - رؤية شمولية عن أبعاد دوره كنبى، وعن الملامح النهائية للعقيدة التي جاء يبشر بها) (٢). واستبعد وات أيضا رؤية النبي ﷺ لجبريل ﷺ على أساس "أنها لا يمكن أن تكون تاريخية" (٣). وللدرد على ذلك أقول: لا بد عند إنكار واقعة تاريخية إثبات ذلك بالأدلة والبراهين التاريخية، والادعاء وحده لا يكفي.

فرواة الحديث المسلمون، والمؤرخون منهم أيضا أثبتوا هذه الواقعة بسلسلة من السند للرواة الثقة. فالواجب عند تفنيد ورفض هذه الرواية الإتيان بما يعضد ذلك، وإلا فإن الدعوى هنا تكون ساقطة، (ورغم أن وات تبنى منهجا نقديا تجاه كتابات المستشرقين في السيرة، إلا أنه يورد بعض نتائجه، دون استخدام لمنهجه النقدي الذي اشتراطه على نفسه) (٤).

يقول وات: "إن المؤرخين أكثر إدراكا للعوامل المادية الكامنة وراء التاريخ، وإن مؤرخ منتصف القرن العشرين يريد أن يسأل أسئلة كثيرة عن الجذور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للحركة التي بدأها محمد ﷺ؛ من غير أن يهمل أو يقلل من جوانبها الأيديولوجية، وإن كان يعتقد بأن هذه العوامل

لأهل مكة"، وعند البيهقي في سننه، باب جواز الإجارة، ج: ٩، ص: ٣٤، رقم: ١١٧٣٦، وسنن ابن ماجه، باب الصناعات، ج: ٢، ص: ٧٢٧، رقم: ٢٢١٢.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٥٩.

(٢) أمجد قورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات أنموذجا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٨، ٥٩، نقلا عن خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، ص: ١٧٧، وأشار خليل إلى أن وات قد اشترك في ذلك مع غيره من المستشرقين في مسألة النمو التدريجي للأديان.

(٣) عبد الله الأمين - الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء " وات - بروكلمان - فلهاوزن " مقارنة بالرؤية الإسلامية - ص: ٣٩ - وفي ترجمة الشيخ ص: ١٠٧، بلفظ: " وهو أمر مخالف للتاريخ ".

(٤) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ٢٠٦.

لا تحتم سير حركة التاريخ، إلا أنه يعترف بأهميتها" (١).

ويختم وات كلامه بقوله: " إن التوتر الذي كان يشعر به محمد ﷺ وبعض معاصريه يعزى في النهاية وبلا شك إلى هذا التنافر بين سلوك الناس الواعي والأساس الاقتصادي لحياتهم " (٢).
وفي سبيل التأكيد على هذا الأمر يقول وات في موضع آخر: " لقد كان محمد ﷺ يعتبر نفسه نبيا أرسله الله سبحانه في الأساس لقريش، أو لقريش فقط، ولم تكن هناك إشارة قبل موت أبي طالب إلى أنه ﷺ فكر في مد رسالته للعرب كافة " (٣).

يقول د. الشيخ في تعليقه على هذا الكلام في حاشية الترجمة: " أكثر الآيات التي تكلمت عن عموم رسالة الإسلام نزلت في سور مكية، مما يدل على أن عموم الرسائل كان مفهومها لدى الرسول ﷺ من أول الأمر.

ويضاف أيضا: كيف له أن يدعى مثل هذا الادعاء بأنه لم يفكر بذلك قبل موت أبي طالب، وقد أثبتت كتب السيرة أنه قال لعمه أبو طالب أمام الملاء من قريش: " يا عم كلمة واحدة تعطونها، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات " (٤).

علما أن د. عبدالله الشيخ قد اعتذر للكاتب بأن مراده أن تفكير الرسول ﷺ في المرحلة الأولى من الدعوة كان موجها إلى قريش الذين كان يعتبرهم عدته لنشر دعوته بعد ذلك.
فأقول: لولا أنه تعرض لهذا الأمر مسبقا، لما طرحناه آنفا، ولعل الدكتور الشيخ أعلم منا وأبصر بهذا الكاتب ومراده.

ولم أورد هذه الملاحظة في الحاشية لأن الدكتور الشيخ أيضا اعتذر للكاتب في متن الترجمة.
ومما افترضه وات من أمور لم تثبت، وما ذلك إلا محاولة منه لانتقاص الرسول ﷺ ولبيان أنه ﷺ قد قدم تنازلات، ووضعت عليه شروط.

(١) عبد الله الأمين - الاستشراق في السيرة النبوية - ص: ٤١، ونسخة الدكتور الشيخ ص: ٢٨٩ بلفظ آخر.

(٢) جعفر الشيخ إدريس: منهج مونجمرى وات في دراسة نبوة محمد ﷺ، مكتب التربية العربي لدول الخليج - المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم - مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٢٣٧/١، محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٠ .
(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٧٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج: ٣، ص: ١٢٢، ابن هشام في السيرة النبوية، قصة أبي أزيهر الدوسي، ج: ٢، ص: ٢٢٤، ابن إسحاق، السيرة النبوية، وفاة أبي طالب وما جاء فيه.

فذكره أنه ﷺ دخل في جوار المطعم بن عدي بشروط فقال: "ويمكننا أن نتصور أن ذلك تم وفقا لشروط، رغم أن المصادر لا تشير لشيء من هذا" (١).

وللرد على ذلك أقول: ما من داع للرجوع لكتب السيرة، إذ ثبت من كلام وات ما يفند هذا الادعاء، وما ذاك إلا قوله "بأن المصادر لا تشير لشيء من هذا"، فأني له افتراض ما افترضه، أو إثباته من باب أولى.

ثم ألم يكن من الأولى في حق وات حين لم تسعفه المراجع بذكر ما يريد، أن يقرن افتراضه هذا بحادثة مشابهة لشروط فرضت عليه ﷺ، فيقيس عليها.

ألم يحاول أهل مكة في الفترة التي سبقت هذه الواقعة أن يفرضوا عليه شروطا تخالف ما أرسل به ﷺ؟

أما ما ورد في كتب السيرة، فيثبت خلاف ما ادعاه وات، فرسول الله ﷺ حين أرسل أريقط للمطعم بن عدي ليجيره، قال: نعم قل له فليأت.

فذهب إليه رسول الله ﷺ، فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج ﷺ معه هو وبنوه ستة أو سبعة متقلدي السيوف جميعا، فدخلوا المسجد وقال لرسول الله ﷺ: طف، واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف.

فأقبل أبو سفيان إلى مطعم فقال: أمجير أو تابع، قال: لا بل مجير، قال: إذا لا تخفر، فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه.

فلما انصرف انصرفوا معه، وذهب أبو سفيان إلى مجلسه (٢)، أي تنازل قد يظهر من الرواية وكيفية الرواية تثبت أنه دخل معززا مكرما.

بل وطاف ﷺ بالبيت وعلى مرأى من أبي سفيان نفسه، ولم تورد الروايات ما يدعيه وات من إفتراض شروط عليه، وتقديمه ﷺ لتنازلات.

وذكرنا مسبقا أن ممن أثبت نبوة محمد ﷺ، وإن لم يتبعه ولم يعلن إسلامه بشرى زخارى ميخائيل من خلال كتابه "محمد رسول الله ﷺ... هكذا بشرت الأناجيل"، وعقد فيه فصلا لإثبات نبوته ﷺ، أورد فيه أدلة لإثبات نبوته ﷺ ومنها:

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٧٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج: ٣، ص: ١٣٧.

١ - بساطته وزهده كما قال بودلي^(١).

٢ - لو كان محمد ﷺ يبغي بدعوته تمجيد نفسه، أو خاصة قومه، لما جعل لأهل الكتاب في كتابه كرامة ومنزلة.

٣ - ولما قاوم المشركين من أول لحظة، بل استدرجهم ولم يفاجئهم بعيب آلهتهم.

٤ - ولو أنه ﷺ كذلك، يبغي مجده الشخصي لكان لهذه الفتوح عائد مالي تضمه له خزينة، ولكنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير إشتهر لطعام أهله^(٢).

أيحسب في المخادعين والكذابين والمضللين، من يرد كل هذه الدنيا التي وضعت بين يديه.

٥ - بشارات الأناجيل بمحمد ﷺ وقد ذكرها وفند الشروح الخاطئة لها، مثال ذلك ما جاء في سفر التثنية (١٨ : ١٧ - ٢٠)، وقد عقد لها فصلا خاصا يمكن الرجوع إليه.

٦ - ويمكن أن نضيف إلى هذا أن ما نطق به النبي ﷺ من حديثه، يختلف في بيانه عن أسلوب

القرآن المعجز.

وهذا الاختلاف الكبير بين الأسلوبين دليل على أن القرآن وحي نزل على النبي ﷺ، وليس من إبداعه وإنشائه، وهو دليل نبوته، إذ الأسلوب من سمات الشخصية، وقد رأينا القرآن يختلف عن أسلوب النبي ﷺ^(٣).

في ختام هذا المبحث أذكر ما قاله بعض علماء الغرب، وتم الإشارة له سابقا، لكن أوردته رغبة في إتمام التصور العام للمبحث.

ذكرت مسبقا أنه حينما ألف برنارد شو كتابا عن محمد ﷺ منعت الكنيسة من إصداره، فلم ير

(١) يقصد قول بودلي: إن بساطة محمد ﷺ في طعامه ولباسه، وفي يده أن تساق له الدنيا جميعا - لو أراد - دليل على أنه رسول الله ﷺ، عبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ٦٠.

(٢) فإن اعترض معترض: بأن هذا كان في آخر عمره ﷺ، ولم يدرك شيئا من ذلك، قلنا: فما بالك بجنين وتوزيع غنائمها على المؤلف قلوبهم، فهو من كان يرسل المائتين من الإبل لهم، ولم يرجع على أهله ولو بشاة ﷺ، وما بالك بقول عائشة ؓ لعروة " وهو الراوي المفضل لوات " : يا ابن أختي والله إن كنا لننظر إلى الهلال بعد الهلال ثلاثة أهلة ما يوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار " رواه البخاري في صحيحه، برقم ٢٥١٨، ج: ٢، ص: ٩٠٢، بل وقيل البعثة فقد عرف أن أباه كان فقيرا، وحال عمه أبو طالب كحال أبيه، بل وكان من دعائه ﷺ: اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشني في زمرة المساكين " رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، برقم ٢٣٩٢، ج: ٧، ص: ٥٤.

(٣) عبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ٦٢.

النور قط، وحينما رأى تولستوي الحملة الظالمة على الاسلام، وعلى رسوله ﷺ، كتب رأيه في هذا الدين الذي أعجب به، واعتذر من رسول الله ﷺ الذي نال إكباره، فكان جزاؤه على ذلك - أي على كلمة الحق - أن حرمه البابا من رحمة الله (١).

* وات ودعوة قريش:

حين تطرق وات لدعوة رسول الله ﷺ لقومه، حاول إثبات أمور منافية لمنهجه ﷺ في الدعوة، فيذكر مثلاً أنه ﷺ " قد ركن إليهم في البداية شيئاً قليلاً للوصول إلى مزايا مادية " (٢).

ولرد على ذلك: بإثبات ما أثبتته وات في كتابه من رفضه ﷺ للعروض المقدمة منهم (٣)، فقال: " كل هذه الحقائق تؤكد أن رسول الله ﷺ رفض الصفقة المعروضة عليه، أو بتعبير آخر، رفض المساومة على دين الله " (٤).

وأكد أيضاً في موضع آخر " رفض محمد ﷺ لعروضهم " (٥)، وهذا إقرار من الكاتب بمنهجه ﷺ، وإن برر رفض هذه العروض بتبريرات أخرى.

بل والحق يقال أن الكاتب أبدع حين بين أن " رفض هذه العروض هو الاتجاه العام لمسلكه ﷺ لأنه:

- من غير المحتمل أن يكون طموحه السياسي ﷺ من بين دوافعه المسيطرة.
- والقرآن الكريم يكرر بإصرار المرة تلو المرة أن محمداً ﷺ مجرد نذير.
- وأن مهمته ﷺ ببساطة أن يحذر الناس وينذرهم من حساب يعقبه نعيم أو عذاب.
- وأن محمداً ﷺ مثله مثل الأنبياء السابقين - لا يريد أي أجر أو مكافأة من البشر، وإنما ينتظر ثوابه من الله سبحانه فحسب.

ولا شك أن التركيز على هذه المعاني يعد بمثابة الرد على اتهامه بأنه يبتغى تحقيق مصالح

(١) أجمد قورشة، سوسن هاكوز المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونجمري وات أمودجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٢، شوقي أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين المبشرين - ص: ٩، ١٠.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٢٥.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢١٨.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٢٠.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٦٤.

لشخصه " (١).

أضف إلى ذلك أن هذا الركون لم يثبت لا في كتاب ولا في سنة، ولم يبرهن الكاتب على ذلك ولا حتى بواقعة واحدة.

أما في القرآن الكريم، فقد أثبت الله تعالى تثنيته لرسوله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنَّاتِكَ لَقَدَّ كِدَّتْ تَرَكَّنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤) (٢).

إلا أن وات حين تعرض لهذه الآية قال: "وطبيعة الإغراء أو الإغواء في هذه الآيات غير محددة" (٣)، فأقول له... ارجع لكتب التفسير لتجد إجابة عن هذا السؤال.

ولتوضيح الأمر، فإن بعض الآيات قد تكون غير محددة لمواضع معينة من السيرة في الآيات عينها، إلا أنها محددة في آيات أخرى، وفي كتب التفسير وكتب السيرة.

أما في هذا الموضوع فإن الكاتب نفسه ذكر أنهم عرضوا عليه ﷺ المال والرياسة... الخ، فقال: " فأحيانا يقال بأنهم عرضوا عليه ﷺ الثروة والزوجة الحسنة ومركز الصدارة، وأحيانا عرضوا عليه ﷺ في تعبيرات أكثر عمومية زعامة قريش في المجالين الديني والتجاري " (٤).

من المؤكد أن الكاتب استقى هذه المعلومات من الكتاب، أو من كتب السنة والسير، نظرا لما أوتي من قوة واطلاع في المصادر، فذكر تنوع وتعدد إغراءاتهم له ﷺ، أضف إلى ذلك ما في القرآن الكريم من ذكر لها أيضا، إلا أنه قال بأنها غير محددة.

وقد كان " وات " مناقضا نفسه في الوقت ذاته حين اتهم رسول الله ﷺ بأنه سعى " للوصول إلى مزايا مادية كالتى عرضوها عليه " (٥).

بل يزعم أنه ﷺ " لم يرفض عروضهم لعدم ثقته فيهم أو لطموحه الشخصي الذي لم يتم إشباعه بعد " (٦)، مبررا ذلك لاحقا بقوله أن هذا الركون: " سيحقق نجاحا سريعا لدعوته " (٧).

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة الإسراء - الآية: ٧٤.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٢٠.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢١٦.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٢٥.

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢١٨.

(٧) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٢٥.

وللد على ذلك أقول: خلافا لما ذكرنا آنفا، فإن الكاتب أجاب في موضع آخر حين أقر أنه ﷺ لم يسعى لهذا الأمر، بل إنه عرض عليه.

ومنطقيا فإن هذه الدعوى المبنية على التناقض أنى لها النجاح، وقد بين الله ﷻ في محكم التنزيل منهجه ﷺ، فقال: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

أما مسألة طموحه الشخصي ﷺ، فقد كان أسمى وأعلى آيات طموحه ﷺ هداية الإنس والجان، ودخولهم الجنة ونجاتهم من النيران، ولم يثبت له ﷺ طموح سوى هذا الطموح.

ومما ادعاه الكاتب أيضا وهو مناف للحقيقة وللواقع التاريخي قوله: "لم يكن أهل مكة يقيمون وزنا للشعر"، وهذا من أفرى المفتريات.

وللد على ذلك أقول: بأنه أورد قبل هذه العبارة قوله: "كان التعبير عن الرأي العام، وصياغة قيمه - في الأساس - مهمة الشعراء" (٢).

ويرد على نفسه أيضا فيقول: "ما نعلمه من خلال التاريخ التقليدي للعصر الجاهلي، ومن خلال الأشعار أمر مهم، لا بد من إلحاقه بهذه الدراسة" (٣).

لذا وبناء على ما افترضه الكاتب، كان إدراج اعتقادات أمر لا بد من إلحاقه بهذه الدراسة، وهو السبب في تفصيل هذه المسألة أيضا.

يقول الكاتب أيضا في ذات الموضوع: "كان القِيم والمسجل للشرف الرأي العام، ولهذا الرأي العام الذي كان يتكون من الشعراء، وينعكس فيما يقولون قوة معينة، وكان المسؤولون يتضاءلون أمام الأعمال التي قد تجلب لهم الخزي أو لقبيلتهم، وتحتوى الأشعار القديمة على قدر كبير من المدائح لفضائل قبيلة وحسناؤها وهجاء لردائل قبائل أخرى وأخطائها" (٤).

ومن أدل ما قال وات على أنهم كانوا يقيمون وزنا للشعر، إقراره بأن "الثروة قادرة دوما على شراء مديح الشعراء عند الضرورة" (٥).

(١) سورة الشعراء - الآية: ١٠٩.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٦.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٢.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٧٦.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٧.

وقال أيضا في معرض حديثه عن صاحب الثروة بأنها وسيلته " لدفع ثمن المديح الذي يقدمه الشعراء " (١).

فإن لم يكن للشعر وزن، فهل من راحة عقل صاحب الثروة أن يشتري ما لا قيمة له، أو يدفع مالا مقابل ما لا ثمن له، لقد أبعدها في هذا الأمر كثيرا.

ثم نترك المجال لشاهد من أهل وات ليرد عليه، وهو ديزيريه بلانشيه (٢) حيث يقول: " يكفي أن الصناعة الوحيدة لقريش كانت الشعر، وبسهوله كان يمكن كشفه وتعريه كذبه لو كان كاذبا كما يدعي المغرضون " (٣).

ثم ألم يكن الواقع التاريخي مخالفا لما ذكره وات، بل إن أهل مكة حين عجزوا عن تثبيط النبي ﷺ للدعوة كان مما اتهموه به ﷺ أنه شاعر، لعلمهم ما للشعر من وزن، وما له من تأثير، فهو ادعى لقبول العرب ادعاءهم، واتهامهم له به.

وقد نفى رب العزة ﷺ عنه هذه الصفة بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (٤).

أضف لذلك أن القرآن الكريم به سورة كاملة باسمهم، أي باسم الشعراء، بل وذكر المولى تبارك وتعالى أحوالهم بقوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الآيات (٥)، وليس المقام هنا لبيان سبب الورد وتفسير هذه الآيات، فإكتفينا بالإشارة إليه.

بل إن رسول الله ﷺ تأكيداً لذلك ذكر في الحديث: " إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة " (٦).

من المعلوم أن الشعر كان بمثابة السلاح الإعلامي للعرب آنذاك، وأن هجاء حسان رضي الله عنه لقريش

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٨.

(٢) مستشرق ومفكر فرنسي له كتاب دراسات في تاريخ الأديان، ولم أقف له على ترجمة .

(٣) أي: كذب محمد ﷺ حاشاه ﷺ وادعاه بأن القرآن من عند الله، المرجع: <http://rasoulallah.net>، أنور محمود زنتي، من معجم إفتراءات الغرب على الإسلام .

(٤) سورة يس - الآية: ٦٩.

(٥) سورة الشعراء - الآية: ٢٢٤ .

(٦) السيوطي، جامع المسانيد والمراسيل، مسانيد الصحابة رضي الله عنهم، ج: ١٩، ص: ١٣٣، برقم: ١٣٨٠٢، المتقى، كنز العمال، المجلد الثالث، ج: ١، ص: ٦٢٤، برقم: ٨٩٦٨، السخاوي، المقاصد الحسنة، الباب الأول، ج: ١، ص: ٣١، ص: ٢٥٥.

كان أشد عليهم من وقع السيوف.

بل إن رسول الله ﷺ أهدر دماء أناس في فتح مكة، وأمر بقتلهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة لأنهم هجوا المسلمين بأشعارهم.

فعبد الله بن خطل (١) والحويث بن نفيد (٢) وكعب بن زهير رضي الله عنه (٣)، كلهم أهدرت دماؤهم بسبب الشعر والهجاء لرسول الله ﷺ والمسلمين، وكان من توبة الأخير أن قدم على رسول الله ﷺ بقصيدة مبديا فيها توبته، بقصيدته المعروفة " بانت سعاد " .

بل من النساء من أهدر دمهن أيضا يوم الفتح بسبب أنهن تغنين بأشعار فيها هجاء للمسلمين، كقينتا (٤) عبد الله بن خطل قريبة وفرنتا، وسارة (٥) مولاة بنى المطلب (٦).

(١) ابن خطل الكافر : أمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بقتله، مذكور في باب السير من المهذب اسمه عبد العزى وقيل اسمه غالب بن عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كثير بن تيم بن غالب كذا سماه ابن الكلبي، وسماه محمد بن إسحاق عبد الله بن خطل بفتح الحاء المعجمة والطاء المهملة، قيل قتله سعيد بن حريث والسبب في قتله أنه كان أسلم ثم ارتد وكانت له قيتان يغنيان بهجاء المسلمين. **مقاتل الطالبين** ، الحسن بن علي ، ج : ١ ، ص : ٣٣ .

(٢) هو والد جبير بن الحويث بن نفيد بن عبدالدار بن قصي بن كلاب ، وجبير رؤية ورواية عن أبي بكر الصديق روى عنه عبدالرحمن بن سعيد بن يربوع ذكره بن شاهين في الصحابة وقال أبو عمر درك النبي ﷺ وراه ولم يرو عنه شيئا وقتل أبوه يوم الفتح كافرا قتله علي بن أبي طالب وقال أبو عمر في صحبته نظر قلت وروى بعضهم هذا الحديث فسماه جبلة وهو تغيير والصواب جبير. **الإصابة في تمييز الصحابة** ، الجيم بعدها الباء ، ج : ١ ، ص : ٦٢٨ .

(٣) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، وكانت محلتهم في بلاد غطفان فيظن الناس أنهم من غطفان أعني زهيراً وبنيه، وهو غلط قدم كعب بن زهير على النبي ﷺ بعد انصرافه من الطائف فأنشده قصيدته التي أولها: بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول القصيدة بأسرها وأثنى فيها على المهاجرين ولم يذكر الأنصار، فكلمته الأنصار، فصنع فيهم حينئذ شعراً، ولا أعلم له في صحبته وروايته غير هذا الخبر، **الإستيعاب في معرفة الأصحاب** ، باب من اسمه كعب ، ج : ٣ ، ص : ٣٧٣ .

(٤) مثنى قينة ، والقينة : الأمة، مغنية كانت أو غيرها، وقال قوم: إنما سميت بذلك لأنها قد نُعدت للغناء، وهذا جيد - والقين: العبد. **مقاييس اللغة** ، ج : ١ ، ص : ٨٤٠ .

(٥) وَكَانَتْ سَارَةُ مَوْلَاةَ عَمْرُو بْنِ هَاشِمٍ مُغْنِيَةً نَوَاحِيَّ مَكَّةَ فَيَلْقَى عَلَيْهَا هِجَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُعْتَنِي بِهِ، وَكَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَطْلُبُ أَنْ يَصِلَهَا وَشَكَتِ الْحَاجَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَا كَانَ لَكَ فِي غَنَائِكَ وَنِيَّاحِكَ مَا يُعْنِيكَ)، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ فُرَيْشًا مُنْذُ قُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ بَدْرٍ تَرَكُوا سَمَاعَ الْغِنَاءِ، فَوَصَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَوْفَرَ لَهَا بَعِيرًا طَعَامًا، فَرَجَعَتْ إِلَى فُرَيْشٍ وَهِيَ عَلَى دِينِهَا، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ أَنْ تُقْتَلَ فُقُتِلَتْ يَوْمَئِذٍ، وَأَمَّا الْقَيْتَانِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِمَا، فَقُتِلَتْ إِحْدَاهُمَا؛ أَرْزُبُ أَوْ فَرْتَنَا، وَأَمَّا فَرْتَنَا فَاسْتُرْمِيَ لَهَا حَتَّى آمَنَتْ وَعَاشَتْ حَتَّى كَسِرَ صَلْبُهَا مِنْ أَضْلَاعِهَا زَمَنَ عُثْمَانَ بْنِ عَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَاتَتْ مِنْهُ فَقَضَى فِيهَا عُثْمَانُ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دَرَاهِمٍ سِتَّةَ آلَافٍ دِينَتَهَا وَأَلْقَيْنِ تَعْلِيظًا لِلْحُرْمِ. **المغازي للواقدي** ج : ٤ ، ص : ٧ .

(٦) وردت القصة في فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج : ٨ ، ص : ٣١٦ ، دلائل النبوة للبيهقي، باب من

ومن ذلك أيضا أنه ﷺ أمر بإعطاء عباس بن مرداس ^(١) مائة من الإبل لشعره قاله ملتصقا
أعطيات رسول الله ﷺ.

فمن عبدالرحمن بن أبي الزناد ^(٢) قال: أعطى رسول الله ﷺ الله العباس بن مرداس ^(٣) مع من
أعطى من المؤلفلة قلوبهم فأعطاه دون المائة، فعاتب عباس ^(٤) رسول الله ﷺ في شعره فقال:
أجعل نهي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع ^(٣)

أمر رسول الله ﷺ بقتله، ج: ٥، ص ٦١، عمدة القاري، كتاب الجهاد والسير، ج: ١٤، ص: ٢٨٩ .
(١) العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن الحارث بن يحيى بن الحارث بن بثة بن سليم أبو الهيثم
السلمي مات أبوه وشريكه حرب بن أمية والد أبي سفيان في يوم واحد قتلها الجن ولهما في ذلك قصة وشهد العباس بن مرداس
مع النبي ﷺ الفتح وحنينا وهو القائل لما أعطى النبي ﷺ الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن من غنائم حنين أكثر مما أعطاه :

أجعل نهي ونهب العبيد *** بين عيينة والأقرع

وما كان حصن ولا حابس *** يفوقان مرداس في مجمع

الآيات. والعبيد بالتصغير اسم فرسه وقال بن سعد لقي النبي ﷺ بالمشلل وهو متوجه إلى فتح مكة ومعه سبعمائة من قومه فشهد
بهم الفتح وذكر بن إسحاق أن سبب إسلامه رؤيا رآها في صنمه ضمير وزعم أبو عبيدة أن الخنساء الشاعرة المشهورة أمه وقد حدث
عن النبي ﷺ وروى عنه كنانة وعبدالرحمن بن أنس السلمي ويقال أنه ممن حرم الخمر في الجاهلية وسأل عبدالملك بن مروان جلسائه
من أشجع الناس في شعره فتكلموا في ذلك فقال أشجع الناس العباس بن مرداس في قوله:

أكر على الكتيبة لا أبالي *** أحتفي كان فيها أم سواها

وكان ينزل البادية بناحية البصرة، الإصابة في تمييز الصحابة، ذكر من اسمه العباس، ج: ٣، ص: ٥١٢ .
(٢) عبد الرحمن بن أبي الزناد، عبد الله بن ذكوان، المدني، مولى قريش، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد وكان فقيهاً، من
السابعة، ولي خراج المدينة فُحْمِد، مات سنة أربع وسبعين، وله أربع وسبعون سنة، تقريب التهذيب، باب عبد الرحمن، ج: ١،
ص: ٥٦٩ .

(٣) يريد عيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بالجيم
مصغرا بن لوزان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري أبو مالك يقال كان اسمه حذيفة فلقب عيينة لأنه كان أصابته شجة فجحظت
عيناه قال بن السكن له صحبة وكان من المؤلفلة ولم يصح له رواية أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنيناً والطائف وبعثه النبي ﷺ
لبنى تميم فسبي بعض بني العنبر ثم كان ممن ارتد في عهد أبي بكر ومال إلى طلحة فبايعه ثم عاد إلى الإسلام، الإصابة في تمييز
الصحابة، العين بعدها الباء، ج: ٤، ص: ٦٣٨ .

والأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدرامي، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنينا والطائف
وهو من المؤلفلة قلوبهم وقد حسن إسلامه، وقال بن دريد اسم الأقرع بن حابس فراس وإنما قيل له الأقرع لقرع كان برأسه وكان
شريفاً في الجاهلية والإسلام واستعمله عبدالله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان فأصيب بالجورجان هو والجيش وذلك في زمن
عثمان وذكر بن الكلبي أنه كان مجوسياً قبل أن يسلم وقرأت بخط الرضي الشاطبي قتل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بنيه
والله أعلم. الإصابة في تمييز الصحابة، الألف بعدها قاف، ج: ١، ص: ٢٥٢ .

=

وما كان حصن ولا حابس

يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرئ منهما

ومن تضع اليوم لا يرفع

قال: فرفع أبو بكر رضي الله عنه أبياته إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ للعباس رضي الله عنه: "أرأيت قولك أصبح

نحبي ونحب العبيد بين الأقرع وعيينه."

فقال أبو بكر رضي الله عنه: "بأبي وأمي يا رسول الله ليس هكذا قال"، فقال ﷺ: "كيف قال؟"،

فأنشده أبو بكر رضي الله عنه كما قال عباس رضي الله عنه.

فقال النبي ﷺ: "سواء، ما يضرك بدأت بالأقرع، أو بعيينة"، فقال أبو بكر رضي الله عنه: "بأبي أنت

ما أنت بشاعر ولا راوية، ولا ينبغي لك."

فقال رسول الله ﷺ لبلال رضي الله عنه (١): "إذهب يا بلال فاقطع لسانه"، فذهب بلال رضي الله عنه ففزع

منها أناس، وقالوا أمر بعباس رضي الله عنه يمثل به، فجعل عباس رضي الله عنه يقول: يا معشر المسلمين أيقطع لساني

بعد الإسلام، يا رسول الله ﷺ لا أعود أبدا.

فلما رأى بلال رضي الله عنه جزعه قال: إنه لم يأمرني أن أقطع لسانك، أمرني ﷺ أن أكسوك وأعطيك

شيئا (٢)، وإنما أراد رسول الله ﷺ بقوله: "اقطعوا عني لسانه"، أن يقطعوه بالعطية من الشاء والغنم.

وأشار الكاتب لهذه المسألة بقوله: "وتحتوى الأشعار القديمة على قدر كبير من المدائح لفضائل

قبيلة وحسناؤها، وهجاء لردائل قبائل أخرى وأخطائها" (٣).

وقد صدق الكاتب في هذا، فإن بيتا من الشعر ليرفع شأن قبيلة، وآخر يحط من قدرها، ومن

(١) هو بلال بن رباح الحبشي المؤذن وهو بلال بن حمامة وهي أمة اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه فلزم النبي ﷺ وأذن له وشهد معه جميع المشاهد وأخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ثم خرج بلال بعد النبي ﷺ مجاهدا إلى أن مات بالشام، الإصابة في تمييز الصحابة، الباء بعدها اللام، ج: ١، ص: ٤٥٥.

(٢) رويت هذه القصة من عدة طرق، رواه مسلم في صحيحه، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام، ج: ٧، ص: ١٣٠، برقم: ٢٣٩٦، وابن حبان، ذكر ما يستحب للإمام إعطاءه، ج: ٥، ص: ١١٥، برقم: ٤٧٣٦، البيهقي في سنن البيهقي، باب من يعطى من المؤلف قلوبهم من سهم المصالح خمس، ج: ١٠، ص: ١٠٧، برقم: ١٣٣٣٤، البيهقي، في دلائل النبوة، باب رجوع النبي ﷺ إلى الجعرانة: ج: ٥، ص: ١٧٩، السيوطي، جامع المسانيد والمراسيل، العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه، ج: ١٨، ص: ٣٧٥، برقم: ١٢٦٩٣.

(٣) محمد ﷺ في مكة، ص: ٧٦.

أمثلة ذلك ذكر ما حدث حين تبادل جرير والفرزدق (١) الهجاء أكثر من أربعين سنة. وكان كثير من الشعراء ينزلقون في هذه المناظرة مؤيدا شاعرا علي الآخر، وهذا ما حدث للراعي النميري حيث انحاز إلى الفرزدق علي حساب جرير فقال:

يا صاحبي دنا الروح فسيرا *** غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

استكفه جرير فأبى أن يكف، فلم يمهل جرير كثيرا بل أعد له في اليوم التالي قصيدة تتكون من ٩٧ بيت من الشعر.

فأتي سوق المبرد^٢ بعد أن احتل الناس مراكزهم وأسرج ناقته عند مجلس الفرزدق والراعي النميري^٣ وألقي قصيدته، وأطلق عليها الدامغة.

لأن جرير دمع بها الراعي النميري أي: أصاب دماغه، ويقال: أنه مات كمدا من هجاء جرير. فغض الطرف إنك من نمير *** فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وهذا بيت مأثور أدرك فيه غاية الهجاء للراعي النميري، إذ يدعو أن ينكس نظره ويخفض جبينه ذلا ومهانته لانتسابه إلى النميرين الأذلاء.

فهم لم يبلغوا منزلة كعب (قبيلة والدته) ولا كلابا (قبيلته)، ولما كتب جرير هذا البيت أطفا مصباحه ونام، لانه رأى أنه بلغ حاجته وشفى غيظه من بني نمير.

ويقول الراعي النميري خرجنا من البصرة، فما وردنا ماء من مياه العرب الا وسمعنا البيت قد

(١) (وجريرو شاعر زمانه، أبو حزره، جريرو بن عطية بن الحظفي التميمي البصري، مدح يزيد بن معاوية، وحلفاء بني أمية، وشعره مدون. وقيل: كان جريرو عفيفا منيبا، توفي سنة عشر بعد الفرزدق بشهر، وترجمته في « تاريخ دمشق » في كراسين. سير اعلام النبلاء للذهبي، الطبقة الثانية من التابعين، ج: ٥، ص: ٤٧٥ .

أما الفرزدق: فهو همام بن غالب التميمي الحنظلي هو الفرزدق الشاعر: تقدم في «الفاء». وأبوه غالب له إدراك، وجده صعصعة بن ناجية بن عقال، بكسر المهملة وتخفيف القاف، ابن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، له صحبة ورواية قليلة، وولد الفرزدق في خلافة عمر رضي الله عنه، فتولع بالشعر لما ترعرع، ففاق الأقران قال المزياني: مات سنة عشر ومائة، وقد قارب المائة، وقيل: عاش مائة وثلاثين (سنة) ولم يثبت. لسان الميزان، ج: ٦، ص: ٢٣٩ .

(٢) و المبرد: متسع بالبصرة كان موقف العرب ومحدثهم، وكذلك مريد المدينة، كتاب العين للفراهيدي، باب الدال والراء والباء معهما ج: ٨، ص: ٢٨١، وفي كتاب الأمكنة للحازمي: (ومريد) بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة والدال: محلة بالبصرة من أشهر محالها وأطيبها، ج: ٢، ص: ٧ .

(٣) سأ عرض لترجمته في المتن ص: ١٨٨ .

سبقنا إليه، حتى أتينا حاضر بنى نمير، فخرج النساء والصبيان يقولون: " قبحكم الله وقبح ما جئتمونا به "، ومنذ ذلك الحين سميت بالدامغه، حتى أخذ بنو نمير يغيرون قبيلتهم، وينتسبون إلى قبائل أخرى^(١). ومثال آخر لبيت من الشعر رفع من قدر القبيلة، قصة بني أنف الناقة^(٢) المعروفة عندما احتقرتهم قبائل العرب.

وسبب تسميتهم بهذا الاسم، أن أباهم كان لديه عدد من النسوة، لكل منهن أولاد منه، فعقر مرة ناقة وقسمها على كل أولاده ولم يبق سوى واحد حضر متأخراً. ولم يكن لدى الأب سوى الرأس فأعطاها له، فربطها الولد بحبل من أنفها، وجرها إلى بيت أمه، فسماه من رآه من الناس أنف الناقة. فصارت هذه التسمية كنية له ثم لأولاده من بعده، إذ دعوا ببني أنف الناقة، وكثيراً ما تجر الأسماء على أصحابها العار بين قبائل العرب، إلى أن جاءت وسيلة من وسائل الإعلام هي لسان شاعر كبير وهو الخطيئة.

قال بيت في بني أنف الناقة، فمحا عنهم العار والشنار، وعلا ذكهم بين الناس إذ قال قصيدة طويلة منها هذا البيت الذي كان سبباً في تزويج بنات هذه القبيلة بعد أن كدن أن يعنسن، وقد تسابق عليهم الخاطبون بعد هذا البيت:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم *** ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا ؟^(٣)

(١) ذكرت هذه القصة في كتب الأدب بطرق مختلفة، ومنها كتاب الوافي بالوفيات، في ترجمة الراعي الشاعر عبيد بن حصين أبو جندل الثميري المعروف بالراعي لكثرة وصفه الإبل في شعره كان من فحول الشعراء، الصفدي، الوافي بالوفيات، عبيد الله، ج: ٢٣، ص: ١٣، ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج: ٤٠، ص: ٦٦.

(٢) بنو أنف الناقة: بنو أنف الناقة: بطن من تميم من العدنانية وهم بنو أنف الناقة واسمه جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم وقيم يأتي نسبه عند ذكره في حرف التاء المثناة من فوق. قال أبو عبيدة: وهم من أشرف تميم قال وكانوا يكرهون وقوع هذا اللقب عليهم حتى مدحهم الخطيئة بقوله:

قوم هم الانف والأذنان غيرهم *** ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

نهایة الأرب في معرفة أنساب العرب، حرف الألف، ما يقال فيه بنو، ج: ١، ص: ٨٧.

(٣) القلقشندي، نهایة الأرب في معرفة أنساب العرب، ج: ١، ص: ٨٧، ابن خلدون في تاريخه: ج: ٢، ص: ٣٦١، الجاحظ، البيان والتبيين، ج: ٣، ص: ١٨٨.

وختاما أقول:

إن كان أهل مكة لا يقيمون وزنا للشعر كما ادعى الكاتب، فهل كان الشعراء يسلمون لهم القيادة في الشعر باجتماعهم في أسواق عكاظ وذي المجنة (١) ؟
وإن كانوا كذلك، فهل يأتي إليهم الشعراء والفصحاء والبلغاء ليحكموا لهم بما جادت به قرائحهم؟

وقد يسأل سائل: لم الإسهاب والإطالة في هذه الجزئية تحديدا؟ وهي لا تمت للدين بصلة؟
فأقول: إن كانت هذه الجزئية غير متعلقة بدين ولا شرع، وهي نقل تاريخي أدبي محض وافترى الكاتب فيها هذا الافتراء العظيم، بل وناقض نفسه بنفسه أيضا، فما بالنا بما هو أشد وأعظم.
لا سيما وأنها من المسلمات عند العرب، فمن باب أولى ما سواها من المسلمات الدينية والعقدية، فمن باب أولى أن يزيف ويفترى عليها الكاتب افتراءات ما أنزل الله بها من سلطان.

(١) سوق عكاظ أحد الأسواق الثلاثة الكبرى في الجاهلية بالإضافة إلى سوق مجنة وسوق ذي الحجاز، تعود بدايته إلى ٥٠١ للميلاد وكانت العرب تأتيه لمدة ٢٠ يوما من أول ذي القعدة يبيعون فيه البضائع وبلقون القصائد إلى يوم ٢٠ من الشهر، ثم تسير إلى سوق مجنة فتقضي فيه الأيام العشر الاواخر من شهر ذي القعدة ثم تسير إلى سوق ذي الحجاز فتقضي فيه الأيام الثمانية الأولى من شهر ذي الحجة ثم تسير إلى حجها، وسكان سوق عكاظ الأوائل هم قبيلة عدوان وقبيلة هوازن.
سوق مجنة سوق من أسواق الجاهلية الثلاثة الكبرى في موسم الحج كان يرتاده النبي محمد ﷺ لدعوة القبائل العربية للإسلام، وكان يقع في بلاد قبيلة كنانة التي تحميه كما كانت قبيلة هوازن تحمي سوق عكاظ وقبيلة هذيل تحمي ذي الحجاز.

* رسول الله ﷺ ومدح وات له:

لم تحظ سيرة عظيم بما حظيت به سيرة النبي ﷺ، فقد كتب فيها كل الأجناس والطوائف بشتى اللغات.

حتى أن اللغة الأوردية التي لم تصبح لغة كتابة أدبية إلا منذ قرنين بلغ عدد المؤلفات بها عن النبي ﷺ أكثر من ألف مؤلف، ومن الكتاب فيها هنادك، وسيخ، وبرهموساج.

ومنذ نحو قرن (١) (١٣٠٤هـ) نشرت مجلة المقتبس الدمشقية إحصاء لما صنف في السيرة النبوية بمختلف اللغات الأوروبية فبلغ نحو " ١,٣٠٠ " كتاب، إما مادحا وإما قادحا، وحسب بعضهم أن يكتب في سيرة محمد ﷺ لينال شرف الكتابة فيها (٢).

وبالنظر للمسألة الأولى من ثلاثية وات، ألا وهي المدح والإطراء، ولعل أبرز ما لفت انتباهي في كتاب وات هذا وكتبه الأخرى، تناقضه الواضح والبين في شخص رسول الله ﷺ. فإيا لحسن ثنائه على النبي ﷺ، وإظهار ما اقتترف بحقه المستشرقون من قدح وذم وافتراء، وبذله الوسع في الذب والصد عنه ﷺ، هذا من ناحية.

ثم ومن ناحية أخرى، يا لانقضاضه مهاجما إياه ﷺ، طاعنا فيه بشتى أنواع الطعن، إن كان في نبوته أو رسالته أو منهجه، بل وحتى في صحابته ﷺ.

ولله در شاعر النبوة والدعوة حسان بن ثابت رضي الله عنه (٣) حين قال قبل فتح مكة، وهو قول لكل من هجى أو مدح رسول الله ﷺ: هجوتَ مباركاً براً حنيفاً أمينَ الله شيمتهُ الوفاءُ

(١) يتضح هنا أن كلام الأستاذ عبد المتعال الجبري كتب هذا الكتاب " السيرة النبوية وأوهام المستشرقين في عام ١٤٠٤هـ، أي منذ ما يزيد على الثلاثون عاماً، ولا بد أن هذه الإحصائيات تضاعفت كثيراً مع الثورة الرقمية وانتشار الوسائل الحديثة، وما سقنا هذا الكلام إلا لإبراز جزء من حجم هذه المؤلفات عن رسولنا الكريم ﷺ.

(٢) عبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ٤٢، نقلاً عن سليمان الندوي، الرسالة المحمدية، ص: ٦٥ - ٦٦، ترجمة محمد ناظم الندوي، وفي طبعة مكتبة الشارقة ص: ٨٢ - ٨٣.

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ثم النجاري شاعر رسول الله ﷺ وأمه الفريعة بالفاء والعين المهملة مصغراً بنت خالد بن حبيش بن لوذان خزرجية أيضاً أدركت الإسلام فأسلمت وبايعت وقيل هي أخت خالد لا ابنته يكنى أبا الوليد وهي الأشهر وأبا المضرب وأبا الحسام وأبا عبدالرحمن، الإصابة في تمييز الصحابة، الحاء بعدها السين، ج: ٢، ص: ٥٥.

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سِوَاءِ (١)

فلم يكن قدحه أو ذمه ليمس شعرة من مقام رسول الله ﷺ، وبالتمعن في مثل هذا الأمر، فهناك من عاصر رسول الله ﷺ، فأمعن في مدحه ﷺ، بل وكان يقول دونكم ومحمد ﷺ، نساؤكم ومحمد ﷺ، أموالكم ومحمد ﷺ.

ثم يعتمد إلى إثارة الفتن والقلاقل بين المسلمين، بل ويطعن في عرضه الشريف ﷺ، فذاك هو عبدالله بن أبي سلول، ولعل وات من سلالته، لكن في المنهج لا في الدم واللحم.

وفي الحقيقة، فإنني لو استدبرت من أمرى ما استقبلت، لجعلت بحثي هذا فقط في هذه الجزئية، ألا وهي شخصية النبي الكريم ﷺ، ما قيل عنها على طرفي النقيض مدحا، وقدحا والرد عليه.

لكن الأعجب من ذلك أمرين، كل منهما مناقض للآخر، ففي حين عاش هذا الكاتب قرابة القرن من عمره " ٩٧ عاما " أفنى أكثرها في سيرة الحبيب المصطفى ﷺ مدعيا دفاعه عنه.

أفنى هذه السنين مع السيرة النبوية المطهرة، ولم تطهر قلبه هذه السنون من أدران الشرك، والتعصب المذموم.

وهو أمر لا شك فيه أنه أجاد فيه من بعض النواحي، فالعجيب أن ذلك لم يكن سببا لشرح صدره والدخول في هذا الدين الحنيف.

لكن يزول هذا التعجب إذا تذكرنا أن أناسا عاشروا رسول الله ﷺ، ودافعوا عنه وأقروا بصحة رسالته ونبوته، ولم ينطقوا بكلمة الحق والتوحيد حتى جاء أجلهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) وقال ﷺ: ﴿أَنْزَلْنَاكُمْوهَا وَأَنْتُمْ هَا كَرِهُونَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤).

ألا ترى أن أبا طالب قد بذل الغالي والنفيس في الذب عن ابن أخيه ﷺ، بل وأقر بصدقه،

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، سنة ثمان من الهجرة النبوية، ج: ٤، ص: ٣٠٩، ابن هشام في السيرة النبوية، ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، ج: ٤، ص: ١٨٤، ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد: ج: ٣، ص: ٣٦٥، البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب: باب الأفعال الناقصة .

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦ .

(٣) سورة هود، الآية: ٢٨ .

(٤) سورة البقرة - الآية: ٢٥٦ .

فقال في قصيدته:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فامضي لأمرك ما عليك
ودعوتني وعلمتُ أنك
وعرضت دينا قد عرفت بأنه
لولا الملامة أو حذاري سببة
حتى أوسد في التراب دينا
أبشر وقّر بذاك منك عيوننا
فلقد صدقت، وكنت قدّم
من خير أديان البرية دينا
لوجدتني سمحا بذاك مبينا^(١)

ورغم كل ذلك فقد مات على الشرك، وكان من آخر ما قال قبل موته: بل على ملة عبدالمطلب^(٢).

والأمر الآخر الذي أتعجب منه عند وات، أنه على النقيض من ذلك، فهو رغم استيائه من أقرانه لسوء أدبهم في حق النبي ﷺ وظلمهم وإفترائهم عليه، إلا أنه وقع فيما عاب عليه غيره، وهو ما سنوضحه في طيات بحثنا إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك نص على ما أسميه فلتات الحق في كتابه، " فبعض العبارات التي يبدو لي أنها منبثقة من لحظات الصدق والموضوعية التي تميز بها " وات "، فخالف بها أقرانه ومن هم على شاكلته في النظرة إلى محمد ﷺ والإسلام نظرة تقدير وإعجاب.

فمع كون وات لم يرتد عباءة الإسلام فإنه قال كلمات حق، ما سطرها في كتبه وتراثه، إلا لأنه وصل إلى قناعة بمستوى الرقي الشخصي والأخلاقي والحضاري الذي يتمتع به ﷺ إلى حد لا يستطيع

(١) البيهقي، دلائل النبوة، باب قول الله تعالى: " يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " سورة المائدة، الآية: ٦٧، ج: ٢، ص: ١٨٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ابن كثير، البداية والنهاية، باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج: ٣، ص: ٣٨.

(٢) لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: " يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ". فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: " أما والله لأستعفرنَّ لك ما لم أُنزل الله تعالى فيه: " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ... الآية - سورة التوبة الآية: ١٣١، رواه البخاري في صحيحه، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، ج: ١، ص: ٤٥٧، برقم: ١٣٣٦، مسلم في صحيحه، باب صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزح، ج: ١، ص: ١٨٣، برقم: ٩٧، أحمد في مسنده، حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه، ج: ٦، ص: ٦٠٣، برقم: ٢٣٢٨٩.

معه إلا أن يدلى بشهادته في ذلك^(١).

فمن ذلك قوله: " إن استعداد هذا الرجل لتحمل الإضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واعتبروه سيدا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه ﷺ.

فإفترض أن محمدا ﷺ مدع، إفترض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها، بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها، مثل ما فعل بمحمد ﷺ " (٢).

وأیضا قال: " يعتبر القرآن قلائل العصر نتيجة أسباب دينية، بالرغم من الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وأنه لا يمكن تقويمها إلا باستخدام الوسائل الدينية مثل كل شيء. وأنه لمن الجرأة الشك في حكمة القرآن، نظرا لنجاح محمد ﷺ في تبليغ الرسالة التي أمره الله بتبليغها " (٣).

وقال أيضا في موضع آخر: " يجب علينا - في رأيي مهما كان موقفنا الديني - أن نعتبر رسالة القرآن انبثاقا خلافا في الوضع المكي.

ولا شك أنه كانت توجد مشاكل تتطلب الحل وأزمات حاول البعض تخفيفها، ولكن كان يستحيل الانتقال من هذه المشاكل وتلك الأزمات إلى رسالة القرآن بواسطة التفكير المنطقي. ولا شك أن رسالة القرآن تحل مشاكل اجتماعية وأخلاقية وفكرية، ولكن لا تحلها جميعا دفعة واحدة، وليس بصورة بديهية.

(١) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص - ١٩٩.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٥٢، وفي نسخة الشيخ بنص: " استعداده لتحمل الإضطهاد في سبيل معتقداته، وسمو الرجال الذين آمنوا برسالته، والذين اعتبروه قائدا لهم وعظمة ما تمخضت عنه جهوده من إنجازات، كل هذا يبرهن على تكامله الأساسي " نظرتة الكلية ".

لقد تصور الغرب محمدا ﷺ دجالا أثار من القضايا أكثر مما قدم من الحلول، وأكثر من هذا فلا أحد من عظماء التاريخ لاقى من الغبن والظلم في الغرب مثلما لاقى محمدا ﷺ.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٣٥، وفي ترجمة الدكتور الشيخ: " لقد صور القرآن الكريم علل العصر باعتبارها راجعة في الأساس لأسباب دينية، رغم تياراتها الكامنة ذات الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وبالتالي فإن علاجها لا يكون إلا بوسائل في الأساس دينية، وإذا نظرنا إلى نجاح جهود محمد ﷺ، فلا بد أن نحكم بأنه رجل جسور، لأنه ناقش حكمة القرآن"، ص ١٦٣.

ولربما قال مؤرخ دنيوي: أن محمدا ﷺ وقع صدفة على أفكار كانت بمثابة المفتاح لحل المشاكل الأساسية في زمان ليس هذا ممكنا.

ولا يمكن للمحاولات التجريبية ولا للفكر النافذ أن يفند لنا كما يجب رسالة القرآن^(١).
ومن ذلك قوله أيضا: (لقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد ﷺ، وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكنا قبلوه، ولا يكفي مع ذلك في ذكر فضائل محمد ﷺ أن نكتفي بأمانته، وعزيمته.

إذا أردنا أن تفهم كل شيء عنه ﷺ، وإذا أردنا أن نصحح الأغلط المكتسبة من الماضي بصدده ﷺ، فيجب علينا في كل حالة لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلافة بصدقه ﷺ.
وعلينا أن لا ننسى عندئذ أيضا أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكنا وأنه مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه، ولا يجب مناقشة نظريات المؤلفين الغربيين الذين افترضوا كذب محمد ﷺ كنظريات وإن كان يمكن النظر في الحجج التي يذكرونها للتدليل على كذبه^(٢).

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٣٥، وفي ترجمة الدكتور الشيخ: " يجب في رأي أن نظر للمحتوى القرآني على أنه عامل خلاق، طرأ على الموقف في مكة، مهما كانت نظرتنا نحن الأوروبيين إليه من الناحية اللاهوتية، لقد حل بالتأكيد مشكلات، ولقد قضى على توتر كان البعض يسعى للتخلص منه لكنه من المستحيل ان تنتقل من هذه المشاكل أو القضايا أو التوترات إلى المحتوى القرآني ونحن غير مسلحين سوى بالتفكير المنطقي والإستدلال العقلي، فمن وجهة نظر العلمانيين الأوروبيين ربما أمكن القول أن محمدا ﷺ عندما كان يسمع من مصادر أفكار معتادة أفكارا بعينها، فإنه كان يتحقق أنها حل للمشكلات التي يواجهها، ومن خلال التجربة والخطأ استطاع بالتدريج أن يبني نظاما، لكن حتى من خلال هذه النظرة العلمانية لا يمكن شرح مسار الحوادث بطريقة مقنعة، لقد حل القرآن الكريم مشاكل اجتماعية وأخلاقية وعقلية لكن ليس دفعة واحدة وإنما على مراحل وبتدرج غير محسوس، قد يقول العلمانيون إنه لمن محض الصدفة ولأسباب ثانوية أن محمدا ﷺ راح يتردد عبر الأفكار التي اعتقد أن فيها حل للمشاكل الأساسية في عصره وأن ذلك ليس أمرا بعيد عن المعقولة، إن هذا القول لا هو مبني على الملاحظة والمشاهدة والتجربة حتى أقول أنه تفكير علمي، ولا هو تفكير صارم أو دقيق بما فيه الكفاية بحيث أقول أنه ينطبق على الكيرجما القرآني، إن المؤكد أن محمدا ﷺ لم يدخل في مسألة التحليل المجرد للوضع القائم كما نفعل نحن هنا، ص: ١٦٤.

(٢) هيا العتيبي، تقرير موجز عن المستشرق مونتجمري وات، إشراف خالد القاسم - جامعة الملك سعود، نقلا عن محمد ﷺ في مكة ص: ٩٤ - ٩٥، نقلا عن عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر وات، ص: ٦٢ - ٦٣ " لم أقف على النص في هذه الصفحة، ولعله لاختلاف الطبعة"، وفي ترجمة الدكتور الشيخ: " فالكتاب الغربيون يكادون يكونون منكفئين على الاعتقاد في كل ما يشين محمد ﷺ، فإذا ظهر لهم تفسير كرهه لفعل يبدو معقولا ومنطقيا مالوا إلى تصديقه، وعلى هذا فإذا كان علينا أن نفهم أن محمدا ﷺ ككل متكامل، وأن نصحح الأخطاء التي ورثناها عن الماضي، فلا بد أن نؤمن بإخلاصه وصدقه إلا إذا ثبت العكس، ويجب ألا ننسى البرهان الأخير " النتيجة النهائية " تتطلب استقامة

ومن ذلك أيضا دفاعه عنه ﷺ في معرض حديثه عن اتهامه ﷺ بالصرع، فيقول: " وغالبا ما يركز أعداء الإسلام على أن محمدا ﷺ كان مصابا بالصرع وبالتالي فإن رسالته الدينية غير صحيحة. والحقيقة أن الأعراض المصاحبة للوحي عند محمد ﷺ ليست هي أعراض الصرع، فالصرع يؤدي إلى إهيار القوة البدنية والعقلية، بينما كان محمد ﷺ في كامل قواه العقلية والبدنية، وفي كامل ملكاته. لكن بفرض أن هذا الزعم صحيح، فإن البراهين عليه زائفة تماما^(١)، وقائمة على مجرد الجهل والتخبط، فمثل هذه الظواهر المصاحبة للوحي لا تصلح برهانا نعتمد عليه في رفض الوحي أو قبوله "^(٢).
كما يثنى وات عليه ﷺ في حسن تدييره لأمر هجرة أصحابه إلى المدينة فقال: " وربما ترجع أسباب محمد ﷺ لانتظاره لوصول غالبية أتباعه إلى المدينة إلى:

رغبته في التأكد من أن المترددين لم يمنعهم ترددهم من إكمال الشوط.

وليتأكد من أنه سيكون في موقف قوي ومستقل.

وآلا يكتفى بالاعتماد على مسلمي المدينة وحدهم عندما يصل إلى المدينة^(٣).

* التشكيك والظعن برسول الله ﷺ:

لم يسلم كتاب وات هذا، وحاله كحال غيره من كتبه من الظعن المبطن في شخصيته الشريفة ﷺ، بلا بينة أو دليل، وذلك ضمن ثلاثيته.

فالمسيحي، مهما لبس مسوح العدالة والإنصاف، فإنه لا ينسى حقيقة من في داخل هذه المسوح، وليعرف أبناء ملتنا الحكمة السامية في اشتراط أئمتنا لقبول الرواية التاريخية صحة الإسناد وعدالة الراوي، فضلا عن إسلامه وبلوغه.

إن صورة النبي محمد ﷺ لتتغير في كتابات المستشرقين بتغير جنسية الكاتب، ولا تجد للصورة الصحيحة مكانا عندهم.

(إن المستشرقين يقدمون إلينا صورا خيالية هي أبعد ما تكون عن الحقيقة، إنها أبعد عن الحقيقة

أكثر بكثير مما يتطلبه إستعراض العقولوية " القابلية للتصديق "، فنظريات الكتاب الغربيين التي تفترض إقتراضا مسبقاً أن محمدا ﷺ غير صادق لن نناقشها كنظريات، ومع هذا فسناقش هنا الأدلة التي سيقمت للدلالة على عدم صدقه " - ص: ١٢١.

(١) إذا كيف نفترض صحة هذا الزعم؟

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٢٩.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩١.

من أشخاص القصص التاريخية التي يؤلفها أمثال " ولتر سكوت " ^(١)، " إسكندر ديماس " ^(٢)، وذلك لأن هؤلاء يصورون أشخاصا من أبناء قومهم فليس عليهم أن يحسبوا حساب اختلاف الأزمنة. أما المستشرقون فلم يمكنهم أن يلبسوا الصورة الحقيقية لأشخاص السيرة، فصورهم حسب المنطق الغربي وخيالهم العصري) ^(٣).

وقد أكد وات هذا الأمر، ويبرز ذلك واضحا في قوله: (لقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد ﷺ).

وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكنا قبلوه، ولا يكفي مع ذلك في ذكر فضائل محمد ﷺ أن نكتفي بأمانته وعزيمته إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه.

وإذا أردنا أن نصحح الأغلط المكتسبة من الماضي بصدده، فيجب علينا في كل حالة لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلاصة بصدقه.

وعلى أن لا ننسى عندئذ أيضا أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكنا وأنه مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه.

ولا يجب مناقشة نظريات المؤلفين الغربيين الذين افترضوا كذب محمد ﷺ كنظريات، وإن كان يمكن النظر في الحجج التي يذكرونها للتدليل على كذبه) ^(٤).

(١) السير والتر سكوت (1771م - 1832م) هو واحد من أهم مبدعي الرواية التاريخية في الأدب الإنجليزي، بل من المعروف أيضاً أن معظم الذين خاضوا كتابة الرواية التاريخية خلال القرنين الفاتنين، إنما اهتموا بأساليبه وساروا على خطاه، بحيث يعتبر أحد كبار الروائيين في العالم في هذا المجال، المرجع موقع المعرفة.

(٢) ألكسندر دوما (١٨٠٢م - ١٨٧٠م) ويشتهر أيضاً باسم ألكسندر دوما، الأب، هو كاتب فرنسي، اشتهر بروايات التاريخية المليئة بالمغامرات، تُرجمت أعماله إلى أكثر من ١٠٠ لغة، مما جعله واحد من أشهر المؤلفين الفرنسيين في العالم، وفي مراجع أخرى خلاف في اسمه فهو اسكندر ديماس، ألكسندر دوما، اسكندر ديماس الكبير، وهو مؤلف رواية الفرسان الثلاثة الشهيرة - المرجع: <http://www.marefa.org>.

(٣) عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص: ٥٠ - ٥١، نقلا عن زكريا هاشم .

(٤) هيا العتيبي، تقرير موجز عن المستشرق مونتجمري وات، إشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود، نقلا عن محمد ﷺ في مكة ص: ٩٤ - ٩٥، نقلا عن المستشرقون والسيرة النبوية ص: ٦٢ - ٦٣، وفي ترجمة الدكتور الشيخ: " فالكتاب الغربيون يكادون يكونون منكففين على الاعتقاد في كل ما يشين محمد ﷺ، فإذا ظهر لهم تفسير كرهه لفعل يبدو معقولا ومنطقيا مالوا إلى تصديقه، وعلى هذا فإذا كان علينا أن نفهم أن محمدا ﷺ ككل متكامل، وأن نصحح الأخطاء التي ورثناها عن الماضي، فلا بد أن نؤمن بإخلاصه وصدقه إلا إذا ثبت العكس، ويجب ألا ننسى البرهان الأخير " النتيجة النهائية " تتطلب استقامة أكثر =

إلا أنه مع الأسف، فقد كان " وات " ممن أخذ بالمنطق الغربي، وترك المجال خصبا لخياله، إذ أنه مال لتصديق أسوأ الأمور عنه ﷺ.

رغم ما كان من وات في كتابه من مدح لرسولنا الكريم ﷺ، إلا أنه تنوعت لديه الصفات المذمومة التي أطلقها على النبي ﷺ، حاشاه ﷺ من كل قدح وذم فيه. ومن الجلي أن وات قلما ذكر في كتابه رسول الله ﷺ بصفة النبوة أو الرسالة، فضلا عن الصلاة والسلام عليه ﷺ.

فمن ذلك أنه أورد أنه ﷺ كان يتحنث في غار حراء، فتارة يعلل ذلك بأنه هربا من حر مكة^(١)، وتارة يعلله بأنه طلبا للتكفير عن الخطايا^(٢).

وللدرد على ذلك أقول: بأن المترجم رد على ذلك موردا ما ذكره ابن إسحاق عن عبدالمملك بن عبدالله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة قال: " وكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء من السنة يتنسك فيه، وكان من نسك قريش في الجاهلية^(٣)."

وكذلك روي عن عبدالله بن الزبير مثل ذلك، مما يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة "، وهنا يثبت لدينا أن التحنث كان معروفا في الجاهلية، فهو ليس مقصورا عليه ﷺ^(٤)، كما ورد في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: " وأول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم.

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد " ^(٥).

بكثير مما يتطلبه إستعراض المعقولة " القابلية للتصديق "، فنظريات الكتاب الغربيين التي تفترض إقتراضا مسبقا أن محمدا ﷺ غير صادق لن نناقشها كنظريات، ومع هذا فسنناقش هنا الأدلة التي سيقت للدلالة على عدم صدقه " - ص: ١٢١.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٠٨، وسبق التطرق إليه ص: ١١٨.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٠٩.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة، باب مبتدأ البعث والتنزيل، وما ظهر عند ذلك من التسليم: ج: ٢، ص: ١٤٦.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٠٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ج: ١، ص: ٤، برقم: ٣، مسلم في صحيحه، باب بدء

الوحي إلى رسول الله ﷺ: ج: ٢، ص: ١٦١، برقم: ٣٥٨، أحمد في مسنده، مسند السيدة عائشة رضي الله عنها، ج: ٧، ص: ٣٣٢، برقم:

٢ ٥٥٥٩، النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، باب ذهاب خديجة رضي الله عنها بالنبي ﷺ إلى ورقة بن نوفل وتصديقه:

=

(ثم ما هو هذا الحر الذي يهرب منه ذلك النبي العظيم ﷺ، وهو الذي كان يرعى الغنم في مكة؟ أم أنكم تقولون أنه كان يرعاها ليلا ويجرسها نهارا) (١) !

يقول وات في السطر الذي يلي ذكر غار حراء: " إن الحاجة إلى العزلة واستحسانها يمكن أن يدل عليه الأثر اليهودي النصراني " كمثل الرهبان "، أو أن يكون نتيجة تجربة شخصية قصيرة (٢) ".
(وقبل أن يبين لنا أي هذين الدافعين المتباينين يرجح، فإن وات ينتقل إلى الحديث عن موضوع التحنث، وذلك لأنه لا يكتب ليصل إلى حقيقة، وإنما ليثير شكوكا فحسب.

إن كل المصادر التي أمامه، وكل ما يعلم من سيرة النبي ﷺ، يدل على أنه إنما كان يذهب للعبادة، وأن هذا النوع من الانقطاع للعبادة بجراء كان مما تحنث به قريش في الجاهلية.

فما الداعي لذكر احتمال الذهاب تفاديا للحر...؟

ولماذا لم يكلف نفسه بالسؤال عن الطقس في جبل حراء، أمختلف هو عن سائر مكة أم لا؟
ولماذا لم يسأل نفسه عن مساحة هذا الجبل الذي جعله مصيفا للفقراء الذين لا يستطيعون الذهاب إلى الطائف؟

وأين يجلس هؤلاء الفقراء المصطافون؟

ألتخذ كل أسرة منهم لنفسها غارا، كما فعل النبي ﷺ؟ أم ينصبون الخيام على سطح الجبل؟
ولماذا هذا الجبل بالذات، ومكة كلها جبال؟
ولكنه سوء القصد، يجعل الإنسان يرمى الكلام على عواهنه بغير علم ولا روية.
وأين الدليل؟ بل أين الشبهة التي تجعل الإنسان يقول أن طلب العزلة كان نتيجة لأثر يهودي نصراني رهباني (٣)؟.

أما الخطايا، فلم يثبت لرسول الله ﷺ خطيئة اقترفها، سواء كان ذلك قبل أو بعد البعثة على حد سواء.

وقد كان رسول الله ﷺ يكره كشف العورة قبل البعثة، وسمع وهو صغير من دار من دور مكة

ج: ٣، ص: ٢٠٢، برقم: ٤٨٩٤، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري - الجزء الأول ص: ٢٦٢.
(١) أحمد محمد آل يحيى، شبهات المستشرقين حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي - بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة بجامعة المدينة العالمية، قسم الدعوة، بإشراف الدكتور محمد رفيع الإسلام، ص: ٧٢.
(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٤.
(٣) شيخ إدريس، منهج مونجمري وات في نبوة محمد ﷺ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص: ٢٢٠.

غناء وصوت دفوف في حفلة زواج فنام فما أيقظه إلا حر الشمس.
وكان يأبى أن يحضر مع قومه العيد الذي كانوا يقيمونه لصنم يقال له (بوانة) حتى غضب عليه
عمه أبو طالب وعماته.

ولم يذق شيئاً ذبح على الأصنام حتى أكرمه الله برسالته، ولم يدخل في يهودية أو نصرانية،
واعترل الأوثان ونهى عن الواد، وكان يحييها، وإذا أراد أحد ذلك، أخذ الموءودة من أبيها وتكفلها.
ولم يلعب الميسر ولم يشرب خمر قط مع أنها كانت منتشرة، إلا أن تحريم الخمر ليس من
خصائصه ﷺ، بل حرّمها على نفسه كثير في الجاهلية لما في شربها من آفات وسيئات.
وحرّمها من أجداده ﷺ قُصيّ وعبد المطلب^١، لكن الإسلام حرّمها تحريماً عاماً وسنّ عقوبة
لشاربها^(٢).

كان عبدالله أبو رسول الله ﷺ وأبو طالب من أم واحدة، وزوي^(٣) أن أبا طالب قال لأخيه
العباس^(٤) ﷺ: ألا أخبرك عن محمد ﷺ بما رأيت منه؟ فقال: بلى.
فقال: إني ضممته إليّ فكنت لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار ولا أأتمن عليه أحداً، إني كنت
أنومه في فراشي.

فأمرته ليلة أن يخلع ثيابه وينام معي، فرأيت الكراهة في وجهه لكنه كره أن يخالفني، وقال: " يا

(١) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، هو جد النبي محمد، وزعيم قريش وأحد سادات
العرب في الجاهلية. اسمه شيبية، وقد سمي بذلك - كما قيل - لأنه كان في رأسه لما ولد شيبية، ويكنى أبا الحارث وأمه سلمى بنت
عمرو بن زيد الخزرجية النجارية من يثرب.

(٢) محمد رشيد رضا، الشمائل المحمدية - رابط الموقع <https://ar.wikisource.org/wiki>.

(٣) الرازي في تفسيره: ج: ٣١، ص: ٢٠٠، البنتي، مراح لبيد لكشف معاني القرآن المجيد: ج: ٢، ص: ٦٣٩، الألوسي في
تفسيره: ج: ٩٢، ص: ٣٧١، سيد رضا، سيدنا محمد ﷺ: في معرض حديثه عن وفاة جده عبد المطلب سنة ٥٧٨م وكفالة عمه
أبي طالب.

(٤) عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله ﷺ، يكنى أبا الفضل بابنه الفضل بن العباس، وكان أسن من
رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل: بثلاث سنين، توفي ﷺ بالمدينة يوم الجمعة لاثنتين عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: بل من رمضان
سنة اثنتين وثلاثين قبل قتل عثمان ﷺ بسنتين، وصلى عليه عثمان ﷺ، ودفن بالبقيع، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وقيل: ابن
تسع وثمانين، أدرك في الإسلام اثنتين وثلاثين سنة، وفي الجاهلية ستاً وخمسين سنة، وقال خليفة بن خياط: كانت وفاة العباس سنة
ثلاث وثلاثين، ودخل قبره ابنه عبد الله بن عباس. الإصابة في تمييز الصحابة، باب من اسمه عباس، ج: ٢، ص: ٣٥٨.

عماه اصرف بوجهك عني حتى أخلع ثيابي، إذ لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى جسدي ". فتعجبت من قوله وصرفت بصري حتى دخل الفراش، فلما دخلت معه الفراش إذا بيني وبينه ثوب، والله ما أدخلته فراشي.

فإذا هو في غاية اللين وطيب الرائحة كأنه غمس في المسك، فجهدت لأنظر إلى جسده فما كنت أرى شيئا.

وكثيرا ما كنت أفتقده من فراشي، فإذا قمت لأطلبه ناداني: " ها أنا يا عم فأرجع " ولقد كنت كثيرا ما أسمع منه كلاما يعجبني وذلك عند مضي بعض الليل.

وكنا لا نسَمِّي على الطعام والشراب ولا نحمد بعده، وكان يقول في أول الطعام: " باسم الله الأحد "، فإذا فرغ من طعامه قال: " الحمد لله "، فتعجبت منه، ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع صبيان يلعبون^(١).

ومن الصفات التي نعت بها وات رسول الله ﷺ في كتابه وصفه بأنه " رجل دولة "^(٢)، وأنه " يتطلع إلى نوع من الإصلاح في مكة "^(٣).

وللرد على ذلك أقول: انه بعد ما ذكر يعود ويؤكد هذه الصفة بصيغة أخرى فيقول: " أنه ﷺ مؤسس دين جديد ولم يكن مجرد مصلح اجتماعي "^(٤)، كما أكد ذلك في موضع آخر فقال: " محمد ﷺ لا بد أن يكون مؤسساً أو مشرعاً لأمة "^(٥).

وناقض الكاتب نفسه أيضا حين ذكر صفات في النبي ﷺ لا يصلح أن يتصف بها المؤسس والمشرع.

كأن ينعته في مرحلة من المراحل بأنه في " مرحلة تردد "^(٦)، وفي موضع آخر بأنه ﷺ كانت " تنقصه الثقة بالنفس "^(٧).

(١) محمد رشيد رضا، الشمائل المحمدية، عنوان الرابط <https://ar.wikisource.org/wiki>

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٥٣، ص: ٢٥٣.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٠٩.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٩١.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٩.

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٩.

(٧) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٨.

وللد على ذلك أقول: هذه الصفات لا تصلح لرجل من عامة الناس، فضلا عن أن يكون رجل دولة ومصلح اجتماعي، فما بالك برسول من الله ﷺ.

أضف إلى ذلك ما ثبت عنه ﷺ من شجاعة وجرأة وإقدام، وترك المجال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ليخبرنا طرفا من ذلك فيقول رضي الله عنه وهو من عُرف بالشجاعة: « كنا إذا حمي الوطيس أو اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب من العدو منه^(١). ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ يومئذ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا.

وقيل: كان الشجاع هو الذي يقرب منه ﷺ لقربه من العدو ﷺ، وفي غزوة أحد لما انهزم المسلمون ثبت رسول الله ﷺ إلى النهاية.

أي شجاعة أعظم من شجاعة رسول الله ﷺ، لندع الغزوات والانتصار فيها، فقد فتح جزيرة العرب وقاد الجيوش، واحتمل الجوع والبرد والحر، وقطع الطرق الوعرة والمسافات الشاسعة ولم ترهبه كثرة عدد العدو وسلاحه.

لندع كل ذلك، فإن هناك مواطن ومواقف تستلزم من الشجاعة ورباطة الجأش ما هو أعظم من مواطن القتال والنزال.

ذلك أنه ﷺ قام يدعو إلى الإسلام وحده، وينشر الدين وحده، وبقي متمسكا بمبدئه لا يجيد عنه قيد أملة، متبعا الأوامر الإلهية، مجتنباً النواهي بكل دقة.

مجاهدا في سبيل الله ونصرة المبدأ، متحملا الإهانات والأذى والاضطهاد والهجرة وقتل الأصدقاء والأقارب والتمثيل بهم.

ولك ما يتصوره العقل البشري من ضروب الآلام والمشقات والمتاعب والمصاعب إلى أن فاز بالنصر المبين، فهل هناك شجاعة تعدل شجاعة رسول الله ﷺ؟

يقولون: إن الشجاعة صبر ساعة، وحياته ﷺ من مبدأ رسالته إلى أن توفاه الله تعالى صبر

(١) السيوطي، جامع المسانيد والمراسيل، مسند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج: ١٥، ص: ٣٤٣، برقم: ٦٠٣٠، بلفظ: "كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ، وَعِنْدَ أَحْمَدَ بِمَعْنَاهُ فِي مَسْنَدِهِ، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج: ١، ص: ٢٠٣، برقم: ١٠٤٥، النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، باب الرسل لا تقتل: ج: ٢، ص: ١٥٥، برقم: ٢٦٧٤.

متوال، يستنفد شجاعة الشجعان وصبر الصابرين، ولا يطيقه أحد من خلق الله.
ومن ذا الذي يطيق أن يشغل عقله وجسمه وجميع مواهبه ليل نهار طول هذه السنين وأن يكون
دائم الحركة دائم الفكر.

في تعليم الناس وتهذيبهم، والقضاء بينهم وسياسة أمورهم، وقيادة جيوشهم ووضع الخطط الحربية،
وتوزيع الغنائم.

والنظر في شؤونهم الدينية من عبادات ومعاملات، ومقابلة الوفود والتحدث إليهم إلى غير ذلك
مما يطول بنا ذكره (١)؟.

كما أسهب وات في تنويع النعوت لرسول الله ﷺ، فمن ذلك أنه وصفه ﷺ بأنه كان " يتطلع
إلى درجة من الوحدة السياسية بين العرب لم يسبقه إليها أحد من القادة العظام في الجاهلية " (٢).
وللد على ذلك أقول: لنكن منصفين مع الكاتب في هذه العبارة، وهو حالنا معه في كل
عباراته، فهو وإن أصاب بجزء منها، إلا أنه جانب الصواب في الجزء الآخر، فما أصاب فيه إنما هي
جزئية بسيطة، ألا وهي هو كونه ﷺ قائداً، وكونه تطلع فعلاً إلى الوحدة، لم ولن تشهد البشرية مثله.
وما جانب الصواب في هذه العبارة أمور:

فهو ﷺ لم يسعى للوحدة السياسية، بل سعى للوحدة الدينية.
ولم يكن أفراد هذه الوحدة العرب وحدهم، بل البشرية جمعاء.
وما تطلع إليه فعلياً ﷺ، لم يسبقه إليه أحد من البشر أصلاً، وليس من القادة العظام في الجاهلية
فحسب، بل وإلى قيام الساعة.

فهو رسول الله ﷺ أرسل خاتم الأنبياء والمرسلين، ولم يرسل أحد بعده، لا من الأولين ولا من
الآخرين، وما القيادة إلا جزء من نبوته ورسالته.

فأقول بأن البشرية جمعاء، إذا اجتمعت على الوحدة الدينية تحت قيادته ﷺ كانت الوحدة
السياسية للعرب وغيرهم تحصيل حاصل.

وعليه... فلا يجوز تحديد دعوته بأنها لوحدة سياسية فقط، فهذا فرع، فالإسلام شامل لكل
جوانب الحياة السياسية منها وغير السياسية.

(١) محمد رشيد رضا، الشمائل المحمدية - شجاعته ﷺ.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٧١.

فمتى انتشر شرع الله تعالى وهو الأصل، تبعها الفروع كلها، السياسية منها وغير السياسية، فالوحدة السياسية تحصيل حاصل لدعوته.

وعمد وات أيضا إلى محاولة انتقاص النبي ﷺ في مسألة الاعتماد على النفس خاصة بعد وفاة عمه وأمنا خديجة^(١)، فيقول: "فالذي لا شك فيه أنه كان خيرا له أن يلجأ إلى مزيد من الاعتماد على نفسه"^(٢). وللدرد على ذلك أقول:

فهو هنا إن أراد أن محمدا ﷺ كان معتمدا عليهما، فهو مخطيء تماما. وإن أراد أنه كان ينقصه الاعتماد على نفسه، فهو من حيث عرفت رسول الله ﷺ، لا ينقصه اعتماد على نفسه.

وإن كان مراده ضرورة اعتماده على ربه، فرينا سبحانه أنزل قرآنا بحال النبي ﷺ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

كما يقارن الكاتب رسول الله ﷺ بأنبياء العهد القديم^(٤)، وبالمدعوة الأم تيريزا ظانا أنه بذلك يمعن في مدحه ﷺ.

والرد على ذلك: أننا معشر المسلمين نتأدب في الحديث عن رسول الله ﷺ، وليس كما يفعل اليهود والنصارى^(٥)، بل بين الله تعالى في محكم التنزيل أن عقيدة المسلم عدم التفريق بين رسل الله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي ﷺ وأول من صدقت ببعثته مطلقا قال الزبير بن بكار كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة وأمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي وكانت قال بن إسحاق كانت وفاة خديجة وأبي طالب في عام واحد وكانت خديجة وزيد صدقا على الإسلام وكان يسكن إليها وقال غيره ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح وقيل بأربع وقيل بخمس وقالت عائشة ماتت قبل أن تفرض الصلاة يعني قبل أن يعرج بالنبي ﷺ ويقال كان موتها في رمضان وقال الواقدي توفيت لعشر خلون من رمضان وهي بنت خمس وستين سنة ثم أسند من حديث حكيم بن حزام أنها توفيت سنة عشر من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب ودفنت بالحجون ونزل النبي ﷺ في حفرتها ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز. ، الإصابة في تمييز الصحابة ، القسم الأول : ذكر من لها صحبة وبيان ، ج : ٨ ، ص : ٩٩ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص : ٢٧٢ .

(٣) سورة التوبة - الآية : ١٢٩ .

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص : ١١٨ .

(٥) من ذلك ما ورد في سفر التكوين الإصحاح ١٩ : ٣٠ ، " فحبلت ابتنا لوط من ابنيهما " ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾ (١).

أما ما تطرق إليه الكاتب من تشبيه رواية الانتحار بالمدعوة تيريزا وكونها مستعدة للموت دفاعا عن معتقداتها بقوله (والشعور باليأس يمكن أن يكون موازيا لما حدث لأنبياء العهد القديم، وما حدث في حياة القديسين، فالقديسة تيريزا كتبت تقول: "الكلمات بتأثيراتها والتأكيدات التي تحييها تقنع الروح في اللحظة أنها آتية من الرب، وعلى أية حال ففي ذلك الوقت الذي هو الآن ماضٍ يظهر الشك فيما إذا كانت هذه الكلمات تأتي من الشيطان أو من الخيال، رغم أنه عند سماع هذه الكلمات لم يكن الإنسان ليشتك في صدقها، بحيث تكون - أي تيريزا - مستعدة للموت دفاعا عنها) (٢)، فالرد عليه بعدة أمور: - الأول: ما أثبتته وات حين قال: " وعلى أية حال، ففكرة الانتحار يمكن بشق النفس عزوها إلى محمد ﷺ، فما دام النبي ﷺ لم يذكر ذلك عن نفسه، فمن الصعب أن نعزوها إليه" (٣).

وإن كان الأمر راجع للنبي ﷺ في نزول الوحي من عدمه، فلم الخوف من هذه التجربة إذا؟ ثم إن كان هناك سبيل لحث الوحي على النزول، أو أن هناك أساليب وتقنيات لذلك، فلم لم يسلك رسول الله ﷺ هذا السبيل، وهو بلا شك خير له من أن يقتل نفسه.

أما ما طرحه الكاتب هنا أمر، والانتحار أمر آخر، وهناك فرق واضح وجلي بين مسألة الاستعداد للموت، ومسألة الانتحار:

- فأمر الاستعداد للموت عبر عنه ﷺ بأنه مستعد له " فوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي أَوْ لِيُبْدِيَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ " (٤).

(١) سورة البقرة - الآية: ٢٨٥.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٨.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٨.

(٤) البخاري في صحيحه، باب الشروط في الجهاد والمصالحة: ج: ٢، ص: ٩٧٤، برقم: ٢٦٧٣، وأحمد في مسنده، حديث المسور بن مخرمة ومروان الحكم رضي الله عنهما: ج: ٥، ص: ٤٣٠، برقم: ١٨٥٧٣، وابن حبان، ذكر ما يستحب للإمام إستعمال المهادنة، ج: ٥، ص: ١٣٣، برقم: ٤٧٨٠، البيهقي، في السنن الكبرى، باب المهادنة على النظر للمسلمين: ج: ١٤، ص: ٧٦، برقم ١٩١٨٤، وجميع هذه الروايات كانت في سياق البخاري لعمره الحديبية، ونصها فقال النبي ﷺ: إنا لم ننجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نكحتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي ولننفذن أمر الله".

- أما الانتحار فهو سبيل الضعفاء للهروب من الواقع، وما كان لهذا الوصف أن ينطبق على رسول الله ﷺ.

- الثاني: التعريف بتيريزا... من هي؟ وما حقيقتها، وحقيقة ما اشتهر عنها؟
فإلى الذي لا يعرف من هي الأم تريزا، فهي راهبة ألبانية كاثوليكية بعثتها الكنيسة إلى الهند عام ١٩٢٩م لتعمل هناك كمنصرة في قرى الهند الفقيرة.
وقد انتشرت عن هذه الراهبة خلال القرن الماضي قصص عن مدى رعايتها بالأيتام والمساكين ومساعدتها للفقراء، وقيامها بمعالجة المرضى بمعجزات خارقة انتشرت عنها.
وقد نالت الأم تريزا جائزة نوبل للسلام^(١) عام ١٩٧٩م، لتتحول إلى أيقونة للعباء والعمل الخيري.

ليس فقط بين المسيحيين بل بين المسلمين أيضاً، حتى توفيت الأم تريزا عام ١٩٩٧م، كما أن الفاتيكان سيجمع العام القادم لبحث منح لقب قديسة لهذه المرأة.

ولكن هل فعلا كانت الأم تريزا قديسة؟ أم أن قصتها مجرد فصل من فصول الغزو التاريخي؟
الحمد لله أنه ليس لدينا مثل قديستك التي تفتخر بها، فالحقيقة التي لا يراد للعالم أن يعلمها أن حكاية الأم تريزا ليست إلا مجرد أكذوبة، أريد من خلالها تلميع صورة الكنيسة الكاثوليكية لتنصير الهنود في شبه القارة الهندية.

صناعة البطل... هذا هو البند الخطير في تلك المسرحية وهذا ما توصلت إليه دراسة جديدة أجراها باحثون من نفس ديانة هذا الكاتب.

الباحثون هم من جامعة مونتريال الكندية بالتعاون مع جامعة أتوا الكندية أيضاً وهذه الصفحة من موقع جامعة مونتريال الكندية باللغة الإنجليزية، تلخص فحوى تلك الدراسة عن الأم تريزا عنوانها:

Mother Teresa anything but a saint

الأم تريزا أي شيء ولكن ليست قديسة

(١) جائزة نوبل هي مجموعة من ست جوائز دولية سنوية تمنحها عدة فئات من قبل المؤسسات السويدية والنرويجية تقديراً للأكاديميين والمتقنين أو للتقدم العلمي. الأب الروحي لجائزة نوبل هو الصناعي السويدي ومخترع الديناميت، ألفريد نوبل. إذ قام السويدي نوبل بالمصادفة على الجائزة السنوية في وصيته التي وثّقها في (النادي السويدي- النرويجي) في 27 نوفمبر 1895. تم منح الجوائز في الفيزياء، الكيمياء، الأدب، السلام، والطب أو علم وظائف الأعضاء لأول مرة في عام 1901، وفي عام 1968، تعدّ جائزة نوبل على نطاق واسع من أهم الجوائز المتاحة في مجالات الأدب والطب والفيزياء والكيمياء والاقتصاد والنشاط من أجل السلام.

هذا ما جاء في العنوان، الدراسة التي رصدت أكثر من ٥٠٠ وثيقة عن الأم تريزا بالتحديد .٥٠٢

توصل من خلالها الباحثون الكنديون إلى أن حكايات مساعدة الأيتام والفقراء التي كانت تروى حول هذه المرأة كانت مجرد خرافة.

الأم تريزا وفقا لتلك الدراسة كانت تترك كثيرا من المرضى والأيتام الهنود يموتون من نقص العلاج والغذاء، على الرغم من وجود الأموال الكافية لديها لعلاجهم.

الدراسة توصلت إلى أن قصص معجزاتها في علاج المرضى كانت أيضا مجرد أكذوبة، وأن أولئك المرضى تم علاجهم بمواد طبية.

الدراسة تشير أن الأم تريزا كانت تستمتع برؤية معاناة الفقراء والأيتام من حولها ونشر صورها كأنها أم للفقراء.

ولكن الشيء الأخطر الذي وجدته من خلال بحثي عن تاريخ الأم تريزا أنها قامت بالتستر على قس كاثوليكي أمريكي كان يعتدي على الأطفال بطرق غير إنسانية.

الأم تريزا في سبعينيات القرن الماضي بعثت برسالة إلى الكنيسة تطلب منهم إعادة القس دونالد ماكوير الذي أثرت حوله اتهامات اعتداء على أطفال ومراهقين.

الأم تريزا أوضحت في الرسالة أن سمعة الكنيسة أهم من إقالة هذا القس، لذلك فإنها تطالب بإعادته، ليس ذلك وحسب... بل قامت بتعيينه لديها لتدريب الراهبات في الهند، حتى قام هذا المجرم بالاعتداء لمرات متكررة بعد ذلك على عدة أطفال ومراهقين.

لتحكم عليه المحاكم الأمريكية بخمسة وعشرين عاما في السجن، بعد أن ثبت على ذلك المجرم تهم الاعتداء على أولئك الأطفال المساكين.

نتيجة لأن الأم تريزا كانت ترى أن سمعة الكنيسة أهم من كل شيء... هذه حقيقة هذه القديسة الأم تريزا التي كانت تساعد الأطفال والأيتام.

طبعاً هذا لا يعني أن جميع المسيحيين أو حتى القساوسة عبارة عن مجرمين منحرفين أخلاقياً، نحن هنا فقط نتحدث عن مثال الأم تريزا ومن معها.

لذلك فليس معنى أننا نختلف مع المسيحيين عقدياً، أن نكيل لهم الاتهامات والشتائم في أخلاقهم.

هناك كثير من المسيحيين هم أيضا ضحايا للغزو التاريخي، ولا يحتاجون أكثر من دعوة بطريقة حضارية ليعرفوا الإسلام الصحيح^(١).

كما أن الكاتب يقول أيضا: " وفي سورة عبس صورة لمحمد ﷺ تبين أنه - للحظة - قد جرى العرف السائد في مراعاة الأثرياء وذوى النفوذ، وعدم الإهتمام بالآخرين "^(٢).

وللد على ذلك أقول: لعل الأمر قد حدث فعلا، أن رسول الله ﷺ كان تركيزه على أشرف قريش، ولم يركز على ابن أم مكتوم رضي الله عنه، ولكن ليس بالصورة السيئة التي نقلها وات، بحيث أن هذا هو خلق رسول الله ﷺ كما جرى العرف السائد في مكة.

وليس الأمر عائد بالنسبة لوات لأمر ظاهرية فقط، بل إنه عمد إلى الحديث عن أمور عقدية في التوحيد.

فقد ذكر أن " التوحيد الذي كان يؤمن به محمد ﷺ في بدايته، لا يختلف عن توحيد من هم أكثر تنورا في عصره، أي أنه كان توحيدا غامضا على نحو ما.

بمعنى أنه لم يكن ممكنا في مرحلة مبكرة فصل التوحيد الخالص عن الإحساس بوجود كائنات أخرى ذات طابع إلهي أو مقدس "^(٣).

وللد على ذلك أقول: في هذا السياق السؤال المنطقي المتوقع، كيف يدعو رسول الله ﷺ لأمر غامض وهو القائل: " تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك "^(٤).

(١) أنظر <https://www.goodreads.com/author/show/5808529./blog>، جهاد الترياني كاتب وشاعر فلسطيني، أشتهر بشعره الداعم للثورة السورية ضد نظام بشار الأسد، والثورة المصرية ضد نظام حسني مبارك، كتب قصائد شعرية تم إنشادها من عدة منشدين منهم فضل شاكر ونايف الشهران، ومن أشهر قصائده المنتشرة قصيدة (تقدموا) التي يمدح بها الثائرين على نظام بشار الأسد في سوريا، وهو صاحب كتاب "مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ"، ومقدم برنامج العظماء المائة على اليوتيوب الذي يذكر به بعض عظماء المسلمين الذين غيروا تاريخ الأمة، المرجع موسوعة الويكيبيديا.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٣.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢١٣.

(٤) رواه الإمام احمد في مسنده، حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه: ج: ٥، ص: ١٠٩، برقم: ١٦٨١٥، ابن ماجة في سننه، باب

اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم: ج: ١، ص: ١٦، برقم: ٤٤، النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، علیکم بسنتی

وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم: ج: ١، ص: ١٧٥، برقم: ٣٣٥.

و لم يبرهن الكاتب هنا على كلامه بدليل، من كتاب الله تعالى أو من قول الرسول ﷺ عن نفسه.

ولا حتى من رواية من عاصره وعاش معه من صحبه الكرام، بل ولا حتى من علماء المسلمين المعتد بهم، فمن أين له بهذا الاعتقاد؟

ويضيف لذلك ما ينسف أصل دعوته ﷺ، فيقول وات: " فرمما نظر محمد ﷺ إلى اللات والعزى ومناة كموجودات أو ربات، وإن كانت لها قدسية إلا أنها أقل أهمية من الله، على النحو الذي يعتقد فيه اليهود والمسيحيون بوجود الملائكة " (١).

تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، فهذا قياس مع الفارق، فأما ربنا ﷻ فلا مثيل له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٢)، وأما الملائكة فقدسيتها من الله تعالى لا من أحد من البشر. وأما اعتقاد وجود شيء، والإيمان بقدسيته فهو شيء آخر، يحاول الكاتب هنا خلط الأمور لإثبات وجهة نظر فاسدة.

ولا نعتقد فيه سبحانه ما يعتقد فيه اليهود والنصارى بالملائكة، ولا كانت هذه النظرة هي نظرة رسول الله ﷺ.

فلو ثبتت هذه النظرة لنقلت إلينا، فترى من أين استدلت وات على هذه النظرة؟

أمن رواية؟... فهو مطالب بإيرادها، وكيف يوردها وهي معدومة؟

أو أنه أوحى إليه؟... وما من وحي بعد رسول الله ﷺ.

والكاتب هنا يتكلم في أمر عقدي في قرارة القلب الشريف للمصطفى ﷺ، لا في

حركات وسكنات جسده الشريف كان من الممكن أن تنقل إلينا.

ويحكم على هذا الأمر العقدي بأنها " وجهات نظر " بلا بينة أو برهان، فأني له معرفة ما في

قرارة قلبه الشريف ﷺ؟

كيف يدعى ذلك، وهو من ذكر بأن " معنى اعترافه ﷺ بهذه الربات " الأوثان "

سيؤدى إلى:

١ - فشل مهمته ﷺ كرسول.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢١٣.

(٢) سورة الشورى - الآية: ١١.

٢ - ويقضى على الرسالة التي كلفه الله سبحانه بها^(١) .

كما يحاول وات إيراد الأدلة على " عدم أهميته ﷺ"^(٢)، بل ويتساءل بعد ذلك فيقول:

" هذه الروايات تم تليفق جانب كبير منها بقصد إظهار أهمية محمد ﷺ في هذه الفترة.

أكان حقا من الأهمية بدرجة كافية لتجعله يكاد يعامل على قدم المساواة مع زعماء مكة"^(٣)؟

ومن أمثلة ادعاءات وات لإثبات عدم أهميته ﷺ أنه يقول: " يجب أن نتذكر دائما احتمال أن

يكون التجار قد استبعدوه من مجالسهم، ومن معظم العمليات المربحة"^(٤).

فأقول ردا عليه: لا ندرى ما المراد من إيراده لهذا الاحتمال المنافي للواقع والمنطق.

فمنطقيا هو مرفوض، لا سيما وأن وات هو الذي أقر خلاف ذلك، وذلك حين قال عنه ﷺ

بأنه: " كان ينظر إليه على أنه أكثر شباب بنى هاشم رجاء"^(٥)، بل وأكد أن أهل مكة كانوا يعدونه

ﷺ " من خيرة شبابها"^(٦)، أو ليس النسب والشرف شيء حاضر، والرجاء شيء غائب؟

بل إنه أكد على هذا الأمر في موضع آخر فقال: " لم يكن نسيبا شخصا قليل الأهمية"^(٧).

وعزز هذا الرأي حين ذكر ملاحظة قال فيها: " نلاحظ أن محمدا ﷺ كانت له السيادة بين

زوار مكة، مع أن أيا من زعماء مكة لم يكن قد انضم إليه"^(٨).

وفي الحقيقة فإن احتمال استبعاده ﷺ من المجالس الذي أورده وات، احتمال لا بينة عليه ولا

برهان، كما أنه لا يوجد سبب لذلك، ولم يورد الكاتب ولو حادثة مشابها لذلك حدثت مع غير النبي

ﷺ فضلا عن أن تحدث معه.

أما من حيث المنطق، فإن المنطق يقول بأنه إن علمت قريش براعة في رسول الله ﷺ فعوضا

عن أن يبعده من مجالسهم كما يزعم الكاتب، فالأولى أن يقوموا بدعوته لمجالسهم لعدة اعتبارات.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢١٨.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٦٢.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢١٦.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٩٩.

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٩٩.

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٩.

(٧) محمد ﷺ في مكة - ص: ١١٦.

(٨) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢١٧.

منها أنهم سيستفيدون منه ومن مهاراته، ومنها أنهم سيعززون العلاقات التجارية فيما بينهم، بل والأبعد من ذلك انه إذا أنتجت قريش تاجرا فذا، فإن ذلك زيادة لقوة قريش العامة.

هذا من حيث ما كتب وات بنفسه، ومن حيث المنطق والعقل، أما من حيث ورود خلاف ذلك في سيرته ﷺ، فهو أكثر من أن يحصى، ولكن سأذكرها هنا طرفا منه للإستئناس، سواء قبل البعثة، أو بعد البعثة:

- فمما كان قبل البعثة، ما ورد من أنه كان يفرش لعبد المطلب في ظل الكعبة فراش ويأتي بنوه فيجلسون حوالي الفراش ينتظرون عبدالمطلب.

ويأتي النبي ﷺ وهو غلام جفر حتى يرقى الفراش فيجلس عليه فيقول أعمامه مهلا يا محمد عن فراش أبيك.

فيقول عبدالمطلب إذا رأى ذلك منه: إن ابني ليؤنس ملكا، أو انه ليحدث نفسه بملك^(١). ومنها ما حدث بين زعماء مكة في مسألة وضع الحجر الأسود، ففي الرواية: " فلما بلغ البناء موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضع الحجر موضعه وأرادت كل قبيلة رفعه، وتواعدوا للقتال. ثم تشاوروا بينهم فجعلوا أول من يدخل من باب بني شيبه يقضي بينهم، فكان أول من دخل رسول الله ﷺ فلما رأوه، قالوا: هذا الأمين رضينا به، وأخبروه الخبر.

فوضع رسول الله ﷺ رداءه وبسطه على الأرض، ثم أخذ ﷺ الحجر فوضعه فيه، ثم قال ﷺ: " لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه " ففعلوا، فلما بلغوا موضعه وضعه هو بيده الشريفة، فرضوا بذلك وانتهوا عن الشرور^(٢).

- أضف إلى ذلك قبول خديجة رضي الله عنها به زوجها، مفضلة إياه على من سواه من أشرف مكة ممن تقدم إليها.

- ومن أقوى الأدلة على ذلك شهادة أبي سفيان رضي الله عنه قبل إسلامه في رسول الله ﷺ أمام

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج: ٢، ص: ٢٨١.

(٢) أورد هذه القصة ابن كثير في تفسيره، تفسير سورة البقرة: ج: ١، ص: ٢٩٥، البقاعي، تفسير نظم الدرر في تناسق الآي والسور، في تفسير سورة الطور: ج: ٧، ص: ٢٩١، النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، باب وضع رسول الله ﷺ الحجر الأسود مكانه عند بناء البيت: ج: ١، ص: ٦٢٨ برقم: ١٧١٩.

فهذا غيظ من فيض للمكانة التي كانت له ﷺ، قبل البعثة وبعدها.

أما ما ذكره الكاتب في موضع آخر من كتابه بأنه ﷺ شخصية ذات أبعاد غيبية^(١)، فلرد على ذلك أقول: بداية أن هذه الصفة صفة منفرة عن صاحبها، وبالتالي فهي لا تليق به ﷺ. لأن من كانت هذه صفته، لا تجد حوله أناس يفدونه بأغلى ما يملكون، بل وبأرواحهم، وحال صحبه ﷺ هو ذلك.

كما أن واقع سيرته ﷺ مخالف لهذا الادعاء، مع الجميع على حد سواء، مع القريب أو البعيد، الصديق والعدو، الصغير والكبير، فما هذه إلا فرية افتراها الكاتب على رسول الله ﷺ. ومن أصاب كبد الحقيقة في وصفه ونعته لني الرحمة ﷺ، المستشرق بودلي والذي كقرينه وات ناقض نفسه بنفسه، ورد عليه الدكتور عبدالمتعال جبيري^(٢) في كتابه السيرة النبوية وأوهام المستشرقين لمن أراد الإطلاع عليه.

وحسب هذا المقام ذكر بعض الحجج العقلية والمنطقية الدامغة، والتي استدلت بها هذا المستشرق: (قال بودلي في انتشار الإسلام لذاتيته: " فما كان محمد ﷺ يهمل أمر الله أبداً، وما كان يسمح لمركزه أن يدير رأسه.

وسواء أقرأ الإنسان لكتاب من مناصري محمد ﷺ، أو لكتاب من أعدائه، فإنه ليجد أنهم جميعاً قد اتفقوا على أن البساطة والوقار كانتا تعم حياته ﷺ. والبساطة المتناهية هي إحدى قوى الإسلام الأساسية، وإنها لإحدى أسباب انتشاره الملحوظ".

٦، ص: ١٤٥، برقم: ٦٤٥٣، الميثمي، مجمع الزوائد، باب تبليغ النبي ﷺ ما أرسل به: ج: ٦، ص: ٩، برقم: ٩٨١٢. (١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٩٣، وقد علق الدكتور الشيخ على ذلك في الحاشية فقال: " هناك طائفة من المؤرخين الذين لا يؤمنون بالغيبيات يكادون يجزمون بعدم صحة هذه الروايات، لأنها تشير إلى أمور من المنطقي أن تتوقع الإشارة إليها بعد أن أصبح نبياً ﷺ، وهو ما نجد الإشارة إليه، لكن المؤكد أن هذه الروايات تعبر عن شيء بالنسبة للمسلمين المؤمنين، وبالتالي فهي حقيقية بالنسبة لهم، ومناسبة لإطالة حياة نبيهم ﷺ، وربما كانت أيضاً تعبيراً عما كان يمكن أن يراه كل ذي عينين إن كان حاضراً وقت حدوثها، وسيكون كافياً أن نقدم أشهر هذه الروايات بنص كلمات ابن إسحاق".

(٢) عبد المتعال محمد الجبيري (١٩٢٦م - ١٩٩٥م) تلميذ حسن البنا ورفيق حياته، وُلد بمركز الإبراهيمية بمحافظة الشرقية في عام 1926م حصل على ليسانس اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية من كلية دار العلوم بالقاهرة، ثم دبلوم التربية وعلم النفس من كلية التربية جامعة عين شمس، كذا حصل على دبلوم الدراسات العليا في النحو، ثم حصل على الماجستير ثم الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية من كلية دار العلوم، واستقر به المطاف داعياً إلى الله في الولايات المتحدة، وبقي في ولاية نيوجرزي اثني عشر عامًا يدير المركز الإسلامي، المرجع موقع المعرفة .

=

ثم قال: " أكان في مقدور رجل - ما لم يكن ملهما - أن يأتي إلى الوجود بمثل هذه الأخوة العالمية؟

وهلا كانت تنعكس سخرية المعادين للإسلام عليهم؟

وكيف يخلف دجال عقيدة ظهرت ونمت بعد موته؟

إن عدد معتنقي الإسلام ليزيد اليوم بمقدار ربع مليون في كل عام، وهذا دون ضغط أو إرهاب لنشر رسالة الإسلام.

ولم يكن لمحمد ﷺ " بوليس " (١) وكان جنوده هم ناشروا الإسلام الأصليين، وقد تركوا الإسلام ثابت الدعائم حيثما ذهبوا.

وإن هذا ليجعل المرء يتساءل عما كان يحدث لو أنه كان هناك إرساليات عربية عظيمة تبشر بالقرآن كإرساليات المسيحية الأولى.

وما كان هناك دعاة عظام للإسلام بالمعنى المعروف، فقد كان الناس الذين يتعاملون - وهذا الدين - يحبونه، فكانوا يقبلونه ويدخلون فيه) (٢).

(محمد ﷺ الذي - دون مغالاة - أعرفه من سيرته المفصلة أكثر مما أعرف أبوي، فسجل أقواله وأفعاله كامل غير منقوص.

وسنته القولية والفعلية يتمم بعضها بعضا، وكان كل مطلب من المطالب الروحية قد قدر وعمل حسابه.

ولا يسعنا إزاء قلة ما أثر عن الأنبياء إلا أن أقول: أنه لولا محمد ﷺ ما استطعنا أن نفهم قدر النبوة، إذ لو كانت وظيفة النبوة مقصورة على القول دون العمل لما كان هناك معنى للرسالة الإلهية.

لأننا نستطيع أن نتعلم هذه الدروس نفسها ممن لم يدع أنه مرسل من عند الله، فالأقوال إذا لم تقرن بالأفعال، لا يمكن أن تكون باعثة على الهداية) (٣).

(١) هي الكلمة الإنجليزية " Police " أي: شرطة.

(٢) عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص ٩٣، زكريا هاشم زكريا، المستشرقون والإسلام - ص: ٥٣١، ٥٣٢.

(٣) عبد المتعال جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ١٦٠، نقلا عن خوجة كمال الدين، وكتابه المثل الأعلى في الأنبياء ﷺ.

وبعد كل ما تم بيانه آنفا، لا يسعني إلا أن أقول لوات ما قاله هو لغيره: " لذا... فهي أقوال
تتسم بالجهل المخجل الذي يدعو للشفقة، جهل بالعلم وسلامة العقل" (١).

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٢٨.

الفصل الرابع: الآراء التاريخية لوات

المبحث الأول: الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم.

المطلب الأول: الطعن الجماعي بهم.

المطلب الثاني: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

المطلب الثالث: حمزة والعباس رضي الله عنهما.

المطلب الرابع: أمنا خديجة الكبرى رضي الله عنها.

المطلب الخامس: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المطلب السادس: خالد بن سعيد رضي الله عنه.

المطلب السابع: نعيم بن عبدالله النحام رضي الله عنه.

المطلب الثامن: عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

المبحث الثاني: الإضطهاد عند وات.

المبحث الثالث: هجرة الحبشة.

المبحث الرابع: العرب وقريش.

المبحث الأول: الصحابة الكرام ﷺ وأرضاهم.

نلاحظ في كتاب محمد ﷺ في مكة، أن وات لم يمعن كثيراً في ذكره لأصحاب رسول الله ﷺ، اللهم ما كان في نظره من سبب للطعن والافتراء والتهويل. رغم أنه ذكر في بداية كتابه، أن سيرة الصحابة ﷺ تعتبر " ثروة من المعلومات النافعة عن خلفية حياة محمد ﷺ " (١).

فهو يقر بالحاجة لمعرفة حياة محمد ﷺ من خلال سيرة أصحابه ﷺ، فلم العزوف إذا عن ذكر حياتهم، بل ولم الطعن فيهم ﷺ؟

ولعل السبب في ذلك كما قد يعترض معترض بأن محور بحثه هو رسول الله ﷺ لا الصحابة الكرام ﷺ.

فأقول بأن حياته ﷺ ما كانت إلا معهم، فكان هو الأب والزوج والقريب والصديق والموجه والمعلم لهم... فوجب ذكرهم ﷺ، لأنهم كما قال هم خلفية حياة محمد ﷺ.

وقد تيقظ السلف الصالح رحمهم الله لخطورة الطعن في الصحابة الكرام ﷺ ومغبة سبهم، وحذروا من الطاعنين ومقاصدهم.

وذلك لعلمهم بما قد يؤدي إليه ذلك السب من لوازم باطلة تناقض أصول الدين فقال بعضهم كلمات قليلة، لكنها جامعة.

قال الإمام مالك رحمته الله (٢) عن هؤلاء الذين يسبون الصحابة ﷺ: " إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه ﷺ؛ حتى يقال رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين " (٣).

وقال الإمام أحمد رحمته الله: " إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة ﷺ بسوء فاتهمه على

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٣.

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله، المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقنين، وكبير المتشبهين حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر، من السابعة، مات سنة تسع وسبعين، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة، تقريب التهذيب، بقية حرف الميم على الترتيب، ج: ٢، ص: ١٥١.

(٣) ابن تيمية، في مجموع الفتاوى: ج: ٤، ص: ٤٢١.

الإسلام" (١).

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله (٢) : " إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق (٣) .

وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة" (٤).

وقال الإمام أبو نعيم رحمه الله (٥) : " فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزللهم، ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة، إلا مفتون القلب في دينه" (٦).

وحيث أنني ذكرت أنني سأعمل على إيراد سليات وإيجابيات هذا الكاتب، فقد كان لزاماً أن أذكر أن الكاتب هنا إستخدم ثلاثياته مع الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فبعد مدحهم يعمد للتشكيك. ففي معرض مدحه لهم بداية يذكر أمراً افتراضه إفتراضاً مشوباً بالتشكيك وبقومية لدى الصحابة رضي الله عنهم، لينفي صفة الجزم والتأكيد عنه، ألا وهو سبب إسلام الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فإلحاح حقيقة هذا الأمر عند الأنصار: " لكن غالبهم - كما نفترض - قد أصبحوا مسلمين لإيمانهم بأن الإسلام هو الدين الحق "

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، باب سنة ستين من الهجرة النبوية، ج: ٨، ص: ١١٧.

(٢) أبو زرعة الرازي، عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ قُرُوقِ الْقُرَشِيِّ الْمَخْزُومِيِّ، أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي، مَوْلَى عَيَّاشِ بْنِ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، أَحَدُ الْأَيْمَةِ الْمَشْهُورِينَ، وَالْأَعْلَامِ الْمَذْكُورِينَ، وَالْحَوَالِينَ الْمَكْتَبِينَ، وَالْحَفَاطِ الْمُبْتَقِينَ. تهذيب الكمال، عبيد الله، ج: ١٢، ص: ٢٢٣.

(٣) في القاموس المحيط - باب الزاي - ج: ٧، ص: ٢٨٩: الزنديق، بالكسر: من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالرؤية، أو من يُبْطِنُ الْكُفْرَ وَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ، أو هو مُعَرَّبٌ: زَنْ دِينَ، أي: دين المرأة، ج: زنادقة أو زنديق، وقد تَزَنَّدَقَ، والاسم: الزَّنْدَقَةُ. وَرَجُلٌ زَنْدِيقٌ وَزَنْدِيقِيٌّ: شَدِيدُ الْبُحْلِ.

(٤) الحافظ المزي، في تهذيب الكمال: ج: ١٢، ص: ٢٢٣، ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج: ٤٠، ص: ٨، الألويسي، الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهوتية، ج: ١، ص: ١٠.

(٥) أحمد بن عبد الله الحافظ، أبو نُعَيْمِ الْأَصْبَهَانِيِّ: أَحَدُ الْأَعْلَامِ، صَدُوقٌ، تَكَلَّمَ فِيهِ بِلَا حُجَّةٍ، لَكِنْ هَذِهِ عَقُوبَةٌ مِنْ اللَّهِ لِكَلَامِهِ فِي ابْنِ مَنْدَةَ بَهْوِيِّ. لِسَانُ الْمِيزَانِ، مِنْ اسْمِهِ أَحْمَدُ، ج: ١، ص: ٢١٦.

(٦) أبي نعيم الأصبهاني، تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، وجميع ما ذكر آنفا موجود أيضاً في موقع الدرر السنية

<http://www.dorar.net/enc/aqadia/3782>

فليته أنهى الجملة لما وصل إليه، ولكن غلبت عليه نفسه إلا أن يقوم بدس شيء لتغيير الأمر عن حقيقته فقال: "أو بتعبير أوضح، لإيمانهم بأن الله سبحانه أرسل محمدا ﷺ برسالة إلى العرب"^(١).
وحين ادعى كيتاني أن "أهل المدينة قد قبلوا محمدا ﷺ ككاهن أعلى لمجرد أنهم كانوا راغبين في إستتباب أمن داخلي في المدينة، وليس لقبولهم كل تعاليم القرآن الكريم".
فرد عليه وات قائلا: "هذه النظرة تؤكد فعلا العوامل المادية، لكن ليس من الضروري أن نقلل من شأن العوامل الدينية أو الأيديولوجية"^(٢).

كما لم يورد إيجابيات صحابة رسوله الله ﷺ، سوى ما عابه وات على الباحثين الغربيين وسقط هو فيه.

وذلك عند قوله: "ويناقد الباحثين الغربيين مدى صحة الروايات عن غالبية المتحولين إلى الإسلام، ومالوا إلى التأكيد على أن معظم المتحولين كانت دوافعهم في الأساس مادية"^(٣)، ثم ينفي هذا الأمر عنهم.

أما ما تطرق إليه الكاتب من إظهار دوافع مادية دينوية لإسلام الصحابة ﷺ، فهو مردود لمخالفته الإجماع.

وقد نقل القرطبي رحمه الله تعالى: أن أي قول فيه طعن على المؤمنين والرجال الذين مدحهم الله وشرفهم بالصدق والوفاء مخالف للإجماع، فما يعرف فيهم مغير وما وجد من جماعتهم مبدل ﷺ وأرضاهم^(٤).

وقد رسم وات منهجا عاما في كتابه وهو الحياد عن ذكر سبب إسلام الصحابة ﷺ وأنه ناجم عن قناعتهم بصدق رسول الله ﷺ.

وأرجع ذلك "كالباحثين الغربيين" إلى أن أسباب إسلامهم ترجع لدوافع مادية بحتة، دون إيراد بيينة أو برهان كعاداته، وكعاداتهم.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٨٣.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٨٩.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩٤.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره لسورة الأحزاب، ج: ١٤، ص: ١٥٨.

وللوقوف على خطورة هذا المنهج، أعرض ما يقوله الأستاذ الدكتور أكرم ضياء العمري^(١):
 " بأنه قبل ثلاثة عقود في المرحلة الجامعية كان الأستاذ يتكلم بلسان الآخرين، وطبعاً هناك
 أناس متدينون في القاعة ولا زالت الطينة بصورة عامة فيها بقايا خير، ولا زالت لم تتسخ كثيراً.
 من الصعب أن يقول إثم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم ^(٢) على إنتزاع الخلافة، ولكن
 يستطيع أن يقول ذلك على لسان الأب " لامانس " ويسوق هذا الكلام ثم يسكت.
 والمهم أن الصورة التي تكونت في أذهان الطلبة الجامعيين أن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم أناس يأترون
 بينهم على انتزاع سلطة وخلافة دنيوية وأنهم ليس كما يقال عنهم من كونهم ربوا على عين النبوة، ونشأوا
 مع آيات الوحي، وتمثلوها قولاً وعملاً.

وبما أنهم نماذج الإسلام الأولى، فلا يعقل أن آخرين سيأتون بعدهم يصبحون نماذج أفضل،
 وهكذا فإن الإسلام ليس ديناً واقعياً يربى رجالاً نظيفين وأقوياء، وإنما مجرد خيال ومثاليات^(٣).

من أهم عناصر قيام الإسلام ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ ^(٤).

وهم أساس الإسلام وخاصته، فالطعن فيهم طعن بالدين، وإن من عقيدة المسلم الإقرار برضوان
 الله تعالى عليهم، وأنهم كلهم عدول.

(١) أكرم ضياء العمري ولد في الموصل شمال العراق سنة ١٩٤٢ م، عمل في قسم الشؤون العلمية بجمع الملك فهد لطباعة المصحف
 بالمدينة المنورة وعضواً في مجلس مركز خدمة السنة والسيرة النبوية منذ تأسيسه، وعضواً في المجلس العلمي بجمع الملك فهد لطباعة
 المصحف بالمدينة المنورة، يعمل حالياً أستاذاً بكلية الشريعة والقانون بجامعة قطر ١٩٩٥م، المرجع موقع المكتبة الشاملة
<http://shamela.ws/index.php/author/1003>.

(٢) أبو عبيدة بن الجراح، قيل اسمه: عامر بن الجراح، وقيل: عبد الله بن عامر بن الجراح والصحيح أن اسمه عامر بن عبد الله بن
 الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي، الفهري، شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم وما
 بعدها من المشاهد كلها، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وكان من كبار الصحابة وفضلائهم وأهل السابقة
 منهم رضوان الله عليهم أجمعين، توفي رحمة الله عليه وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة بالأردن من
 الشام وبها قبره معاذ وصلّى عليه معاذ بن جبل ونزل في قبره وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس رضي الله عنهم، الإستيعاب في معرفة
 الأصحاب، باب العين، ج: ٤، ص: ٢٧٢.

(٣) أكرم ضياء العمري، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الدعوة - نقلاً
 من الشبكة الإسلامية - عنوان الرابط <http://web.macam.ac.il/~tawfieq/mqalat-0003.htm>.

(٤) سورة الأحزاب - آية: 23.

لذا عمد الكاتب إلى الطعن والانتقاص في هذه الثلة المباركة، لعلمه بأن طعنه بهم طعن بالدين، وإن كان بأسلوب غير مباشر.

ويظهر لنا هنا اختلافا في منهج الكاتب وأسلوبه للطعن والتنقيص بالصحابة الكرام رضي الله عنهم، فتارة يأخذهم فرادى، وتارة أخرى يأخذهم جماعات، وما بين هذه وتلك، يعمد إلى إبراز خلافات اصطنعها بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم لإثبات وجهة نظره.

وسأذكر نماذج من طعنه الجماعي بالصحابة الكرام رضي الله عنهم، ثم أتني لضعفه بهم فرادى، وأختتم بما أوهم به وات نفسه، ويحاول إقناع غيره بالخلافات التي كانت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم خلافا لما تم الإشارة إليه في مبحث عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

ثم بعد ذلك أتطرق لمسألة الاضطهاد الذي تعرض له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و رضي الله عنهم، ومسألة الهجرة إلى الحبشة، وسيتم استعراض كل واحدة منهما على حدة.

وقبل طرح نماذج لطعن وات بالصحابة الكرام رضي الله عنهم، أذكر أن منهجه أيضا في عدم الترضي عليهم في كتابه، وأن الترضي عليهم هنا من الباحث وليس منه.

فأما ثلاثيته فبدأها مادحا، فيقول مثلا: "كان المهاجرون إلى الحبشة كما هو واضح، رجال ذوى عقائد دينية صحيحة".

ثم يبدأ بالتشكيك والطعن فيهم فيقول: "فمثل هؤلاء قد يكونوا غير ميالين لقبول سياسة أبي بكر الخليفة المتوقع للرسول صلى الله عليه وسلم".

وللرد على ذلك أقول: هنا وات يطعن بهم طعنا جماعيا رضي الله عنهم، ويجعلهم رادين لحديثه صلى الله عليه وسلم، "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى" ^(١)، وكل أحاديث الإطراء والثناء من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق.

ومن طعنه الجماعي أيضا زعمه أن من الصحابة رضي الله عنهم من سعى للشهرة فنالوا ذلك، فذكر "أناس لم يحققوا شهرة في أزمنة لاحقة" ^(٢).

(١) أحمد في مسنده، حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه، ج: ٥، ص: ١٠٩، برقم: ١٦٨١٧، الدارمي في سننه، باب اتباع السنة،

ج: ١، ص: ٤٤، برقم: ٩٦، النيسابوري في المستدرک على الصحيحين، باب عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ج: ١،

ص: ١٧٤، برقم: ٣٣٣.

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١٧٢.

وللرد على ذلك أقول: بأن الصحابة رضي الله عنهم هم أبعد الناس عن الشهرة والسمعة، وإلا فإن إسلامهم كان سببا للقتل والتعذيب، بل والمقاطعة.

فدخولهم الإسلام لم يكن مبنيا على رغبة في الشهرة أو المجد، وإنما للتخلص من أدران الشرك، وعبادة الله تعالى حق العبادة.

ثم يذكر الكاتب نجاح رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته لقومه، مغلفا إياه بغلاف من الفشل، ومبررا ذلك الفشل بتوافه الأسباب.

فيقول بأن "النجاح الأصلي الذي أحرزه محمد صلى الله عليه وسلم كان قليلا بسبب تواضع أنساب من اتبعوه في وقت من الأوقات ثم انشقوا عنه" (١).

وللرد على ذلك أقول:

كثيرا ما يناقض الكاتب نفسه في أمر واحد، فيذكر هنا تواضع أنسابهم، وفي موضع آخر يقول ويدعى بأن من تعرض للاضطهاد "لا يمكن أن نطلق عليهم ضعفاء" (٢) معللا ذلك بأنهم من بين أكثر الأسر نفوذا.

أما نجاح محمد صلى الله عليه وسلم الذي وصفه الكاتب بأنه قليل، فإنه مخالف للواقع الذي ثبت في كتب السيرة العطرة.

فإن كنت تتحدث عن الفترة المكية، فدليل نجاحه هو اجتماع ملاء قريش للتشاور في أمره وأمر من أسلم معه، ولو أن هذا النجاح كان قليلا، لما حسب له صلى الله عليه وسلم هذا الحساب من قبل علية القوم في مكة المكرمة.

وأما إن كنت تتحدث عما بعد المرحلة المكية، فلا أدل من نجاحه صلى الله عليه وسلم في جعل من كانوا رعاة للغنم، قادة للأمم.

ثم بعد محاولة وات إظهار فشل النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة بذكر قلة أتباعه صلى الله عليه وسلم، نوه إلى مسألتين:

الأولى: محاولته تنقيص قدر أتباعه صلى الله عليه وسلم و رضي الله عنهم.

الثانية: قول وات "ثم انشقوا عنه" (٣).

(١) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٢١٧.

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١٧٤.

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٢١٧، وفي ص: ٢٤٤ قال: "الذين تخلوا عنه" ولم يحدد هل هو تخلى عن الدين، أو تخلى عن

وللرد على المسألة الأولى أقول: بأنهم قد رفع الله شأنهم باتباعهم لهذا الدين ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١) ذكركم: أي شرفكم، وأي شرف أكثر يريد الكاتب أكثر من شرف رضوان الله تعالى عنهم ورضوانهم عنه.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢)، وقد بين ﷺ أن من أتباعه "حر وعبد"^(٣)، وأن المجتمع المسلم متماسك قويه وضعيفه، فقال ﷺ: "إنما تنصرون بضعفائكم"^(٤)، وقال ﷺ أيضاً: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير"^(٥)، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى كما سبق الإشارة إليه .

وللرد على المسألة الثانية أقول: ارتد من ارتد بعد وفاته ﷺ، أما في المرحلة المكية فلم يرتد أحد، ولا أدل على ذلك من قول أبي سفيان رضي الله عنه^(٦) له رقل حين سئل عن أتباع رسول الله ﷺ بأنه: " لا يرتد

الطاعة، وكلاهما لم يثبت.

(١) سورة الأنبياء - الآية: ١٠، ابن كثير في تفسيره، سورة الأنبياء، ج: ٥، ص: ٢٩٣.

(٢) سورة الحجرات - الآية: ١٣.

(٣) جزء من حديث عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: مَنْ تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالَ: "حُرٌّ وَعَبْدٌ". جزء من حديث رواه ابن ماجه في سننه، برقم 1354، وأحمد في مسنده، حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، ج: ٥، ص: ٨٦، برقم ١٦٦٩٣ وغيرهم.

(٤) اللخمي، مسند الشاميين: ج: ١، ص: ٣٣٥، برقم: ٥٩٤، البزار في مسنده، باب وما روى طلحة بن مصرف عن مصعب، ج: ٣، ص: ٣٥٩، برقم: ١١٥٩، أبي نعيم الأصبهان، أبو نعيم، معرفة الصحابة رضي الله عنه، معرفة ما أسند أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ج: ١، ص: ١٦٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ج: ١٦، ص: ١٨٤، برقم: ٦٧٢٥، وأحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج: ٣، ص: ٥٥، برقم: ٨٧٢٦، ابن حبان، ج: ٥، ص: ٣٦٥، برقم: ٥٦٢٥، البيهقي في سننه، باب فضل المؤمن القوي الذي يقوم بأمر الناس ويصبر، ج: ١٥، ص: ٣٦، برقم: ٢٠٦١٥، النسائي في سننه، ما يقول إذا غلبه أمر، ج: ٦، ص: ١٥٩، برقم: ١٠٣٥٦.

(٦) فلافيوس أغسطس هرقل (641 - 575) كان إمبراطوراً بيزنطياً حكم من أكتوبر 610 حتى فبراير 641. يعتقد بأن هرقل من عائلة أرمينية الأصل. كان ابن صاحب نفس الاسم هرقل، الذي يسمى هرقل الأكبر، والذي كان أحد جنرالات الإمبراطور موريسفي الحرب ضد الفرس عام 590. على الرغم من أن مكان ميلاد هرقل غير معروف، ترعرع في أفريقيا الرومانية، وهو الإمبراطور البيزنطي الذي عاصر نبي الإسلام، فقد خسرت الإمبراطورية البيزنطية في عهده بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا بفتحها على أيدي العرب المسلمين.

=

أحد منهم سخطة لدينه" (١) .

ويستثنى من ذلك الحادثة التي وقعت لعقبة بن أبي معيط (٢) ، حيث كان خليلاً لأمية بن خلف (٣) ، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً، فكفر (٤)، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَوَلِّتَنِي لِمَ أَخَذْنَا خَلِيلًا﴾ (٥).

وهي حادثة واحدة لا يصح تعميمها بصيغة الكثرة، وبعض الحوادث النادرة والتي حدثت في الفترة المدنية، وهي خارج الإطار الزمني في بحثنا هذا.

كما يحاول الكاتب إبراز أسباب متنوعة لدخول الصحابة رضي الله عنهم في دين الله، فتارة يزعم أنهم دخلوا في الإسلام بسبب " رغبتهم في الحصول على مزايا اقتصادية وسياسية " (٦).

وأكد ذلك في موضع آخر بقوله: " ينجذب بعض الرجال لرسالة الإسلام في المقام الأول من خلال مضامينه السياسية والاقتصادية " (٧) .

وهو من أقر في كتابه عند كلامه عن إسلام عمر وحمزة رضي الله عنهما (٨) أنه: " ليست هناك كلمة

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج: ١، ص: ٧، برقم: ٧، أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنه، ج: ١، ص: ٤٣٣، برقم: ٢٣٧٤، البيهقي في سننه، باب إظهار دين النبي ﷺ، ج: ١٣، ص: ٥٧٤، برقم: ١٨٩٨٢، النسائي في سننه، قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، ج: ٦، ص: ٣٠٩، برقم: ١٠٩٦٠، الطبراني في معجم الطبراني الكبير، ما أسند أبو سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه، ج: ٨، ص: ١٦، برقم: ٧٢٧٠.

(٢) عقبة بن أبي معيط: الكافر قتل يوم بدر كافراً مذکور في كتاب السير من المختصر والمهذب، واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي. تهذيب الأسماء والصفات باب العين والقاف، ج: ١، ص: ٣٠٩.

(٣) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ كان يقال له: أسد الله، وأسد رسوله يكى أبا عمارة وأبا يعلى أيضاً بابنيه عمارة ويعلى، أسلم في السنة الثانية من المبعث، وقيل: بل كان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السنة السادسة من مبعثه، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، حرف الحاء، ج: ١، ص: ٤٢٣ .

(٤) ابن كثير - البداية والنهاية، باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج: ٣، ص: ٨٤، ابن هشام في سيرته، ذكر ما لقي رسول الله ﷺ، ج: ٢، ص: ١٤٧، الطبري في تفسيره، سورة الفرقان، ج: ١٩، ص: ٦ .

(٥) سورة الفرقان - الآية: ٢٨ .

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٩١ .

(٧) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٩١ .

(٨) سورة الفرقان - الآية: ٢٨ .

واحدة عن أمور اقتصادية^(١) " ثم ينفي هذا الأمر عنهم.

أو بأن يقول من خلال الكلام المبطن بأن هناك من الصحابة رضي الله عنهم من لم يكن واعيا لاتباعه ﷺ بوصفه فئة من الصحابة رضي الله عنهم بأنهم " الواعين من أتباعه " ^(٢).

وللرد على ذلك أقول: بأن المضامين السياسية والاقتصادية تكون تحصيل حاصل بعد المضمون

العقدي في حياة الصحابة رضي الله عنهم.

ثم أي وعي يطلبه وات من أناس تركوا دين آبائهم وأجدادهم.

بل أي وعي فقدوه وقد تعرضوا بسبب إتباعهم رسول الله ﷺ لما تعرضوا له؟

من ضرب وشتم، بل والحرق في بعض الأحيان، وهجر أوطانهم أيضا، ألم يكن ذلك كفيلا

لرجوعهم لوعيتهم؟

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٩٠.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٩١.

* نماذج من طعن وانتقاص قدر الصحابة الكرام ؓ عند وات:

عمد وات إلى تشويه صورة الرموز الأساسية للصحابة الكرام ؓ، كأبي بكر الصديق ؓ، وأما خديجة ؓ وغيرها ، وهذا ما سيتم عرضه في هذا المبحث بإذن الله تعالى.

أبو بكر الصديق ؓ:

لمز وغمز الكاتب كثيرا في الصديق ؓ، وما ذلك إلا لعلمه بأنه من أقوى أعمدة الإسلام، وركيزة من ركائز هذا الدين بعد رسولنا الكريم ﷺ، وهو أول خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ. يميل وات إلى قبول رواية واحدة من الروايات الخاصة بأسبق الناس إسلاما بعد خديجة ؓ، حيث يدور الخلاف على الروايات حول ثلاثة بالتحديد هم: أبو بكر، زيد بن حارثة (١)، وعلي بن أبي طالب ؓ أجمعين.

وهناك رأي توفيقى (٢)، مؤداه أن أبا بكر الصديق ؓ كان أول من أسلم من الرجال الأحرار، وزيد بن حارثة ؓ من الموالي، وعلي ؓ من الصبيان، وهذا الرأي لا يقطع بأن واحدا من هؤلاء الثلاثة كان أسبق إسلاما.

قبل وات الرواية المتعلقة بزید بن حارثة ؓ، وهو بينى وجهة نظره على أساس أن زيدا كان مولى محمد ﷺ، وكان هناك ارتباط قوي بينهما، ولعل سبب قبول وات رواية زيد ؓ رغبتة في إنتقاص الصديق ؓ لبيان تدنى مرتبة صديق هذه الأمة، وبالتالي تدنى مرتبة الأمة. إن موضع الاعتراض ليس في قبول وات رواية وترجيحها دون أخرى إذا كانت قائمة على وجهة نظر ومنطق سليم.

وإنما الاعتراض هو ما يدعيه وات: " من أن أبا بكر ؓ يحظى بمزيد من الإهتمام في المصادر، لأنه منذ هجرة الحبشة أصبح أهم شخصية بعد محمد ﷺ. فكانت لتلك الأهمية انعكاساتها على الروايات المبكرة، أما زيد فإن مكانته المتواضعة جعلت

(١) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي تقدم نسبه في ترجمة ولده أسامة بن زيد قال بن سعد أمه سعدي بنت ثعلبة بن عامر من بني معن من طيء وقال بن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت ادعواهم لأبائهم الحديث أخرجه البخاري ، الإصابة في تمييز الصحابة ، باب من اسمه زيد ، ج : ٢ ، ص : ٤٩٤ .

(٢) أي: رأي يوفق بين هذه الروايات.

إسلامه أقل أهمية من إسلام أبي بكر (١).

ومن ناحية أخرى فإن وات يعن في إظهاره كرجل لا مكانة له ولا قيمة في قريش تارة، وتارة أخرى يصفه بالمتآمر، وفي أخرى يصفه برجل حزبي له جماعة هو والفاروق رضي الله عنه ضد أحزاب أخرى من الصحابة رضي الله عنهم.

إنه يطلق إتهاما صريحا بأن المؤرخين وأصحاب المصادر يقبلون الحقائق ويورونها تبعا للصور البعدية واللاحقة.

من المعلوم ، وهو ما نوه إليه الكاتب أيضا مكانة أبي بكر رضي الله عنه، ومنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصداقته رضي الله عنه له قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، وقد سمي الصديق لسرعة تصديقه للرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخبره.

فما الغرابة في نسبة الروايات له السبق إلى الإسلام؟

وما الداعي لافتراض نسبة الروايات سبقه للإسلام لارتفاع مكانته لاحقا؟

وما المعيار الدقيق الذي وزن به وات مكانة أبي بكر رضي الله عنه من الرسول صلى الله عليه وسلم سابقا ولاحقا؟

إن وات تجاهل المكانة العالية التي كان يحظى بها أبو بكر رضي الله عنه قبل الإسلام وبعده، سواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عند قريش، والتضحيات التي قدمها للإسلام منذ بزوغ فجره.

فهو الذي بذل ماله لعتق العبيد الذين كانت تعذبهم قريش، وهو الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم: " إن أمن الناس علي في صحبته وماله: أبو بكر، ولو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر (٢) ".

(وخلاصة القول: إنه إذا كان هناك روايات تشهد لأبي بكر بالسبق على الإسلام فإن هناك

روايات أخرى تشهد لزيد بن حارثة رضي الله عنه أو لعلي رضي الله عنه بذلك، ولكل رواية وجهتها.

فقد يكون نسبة السبق للإسلام لأبي بكر رضي الله عنه من الرجال، ولزيد رضي الله عنه من الموالى ولعلي رضي الله عنه

(١) نعمات محمد عبد الرحمن الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونجمري وات، في كتابه محمد صلى الله عليه وسلم في مكة، محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ١٨١، ١٨٢، أنظر الطبري في تاريخه: ٢٠٥ - ٣٠٩، أنظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج: ٣، ص: ٢٦، محمد صلى الله عليه وسلم في مكة ص: ٨٩، أنظر نسخة الشيخ ص: ١٧١، ١٧٢.

(٢) البخاري في صحيحه، باب الخوذة والممر في المسجد، ج: ١، ص: ١٧٧، برقم: ٤٦١، مسلم في صحيحه، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج: ١٥، ص: ١٢٧، برقم: ٦١٢٣، أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ج: ٣، ص: ٣٩٤، برقم: ١٠٩٠٤، ابن حبان في صحيحه، ج: ٦، ص: ١٥٥، برقم: ٦٤٨٠.

من الصبيان.

ومن واجب الباحث المنصف الجمع بين الروايات والموازنة بينها، للخروج بنتيجة تتوافق معها جميعاً، دون الحاجة لردّها أو التشكيك فيها مع ثبوت صحتها^(١).

أما ما ذكره الكاتب من تواضع مكانة زيد، ففي هذا الكلام عنصرية مرفوضة، فشرعنا علمنا وأدبنا أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

إلا إن كان مراده تأثير أبي بكر رضي الله عنه في الإسلام ليس كتأثير زيد بن حارثة رضي الله عنه، لكن وصف وضعيته بالمتواضعة تشير لخلاف ذلك.

وفي معرض انتقاصه للصدّيق أيضاً يظهر وات أن الصدّيق رضي الله عنه " لم يكن من القوة بمكان يجعله يحول عدداً كبيراً من عشيرته إلى الإسلام "^(٢).

وللدرد على ذلك أقول بداية: أن الكاتب يرى أن أمر الهداية راجع إلى شخص ورغبة الصدّيق وهواه لهداية الآخرين.

قال الله تعالى مبيناً ذلك: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٣). فكان ممن قبل دعوته أبناءه رضي الله عنهم، وكان ممن رفضها أيضاً ابنه عبد الرحمن رضي الله عنه^(٤)، والذي أسلم لاحقاً في الفترة المدنية.

ثم أن ذلك لا ينفي كونه رضي الله عنه كان سبباً مباشراً لإسلام الكثير من أعمدة الإسلام من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، كما يؤكد الكاتب ذلك بنفسه حين قال: " أن مجموعة مهمة دخلت الإسلام بفضل جهود أبي بكر رضي الله عنه ".

(١) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد صلوات الله عليه في مكة، محمد صلوات الله عليه في المدينة بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ١٨٢، ١٨٣.

(٢) محمد صلوات الله عليه في مكة - ص: ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) سورة القصص - الآية: ٥٦.

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، يكتي أبو عبد الله، وقيل: بل يكتي أبو محمد بابنه محمد، وأم عبد الرحمن أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية، فهو شقيق عائشة، وشهد عبد الرحمن بن أبي بكر بداراً وأحدلاً مع قومه كافراً، ودعا إلى البراز فقام إليه أبوه ليبارزه، فذكر أن رسول الله صلوات الله عليه قال له: «متّعنا بنفسك»، ثم أسلم، وحسن إسلامه، وصحب النبي صلوات الله عليه في هدنة الحديبية، يقولون: إن عبد الرحمن بن أبي بكر مات فجأة، بموضع يقال له: الحبشي على نحو عشرة أميال من مكة، وحمل إلى مكة فدفن بها، ويقال: إنه توفي في نومة نامها، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، باب من اسمه عبد الرحمن، ج: ٢، ص: ٣٦٨.

ومما وصفه به أيضا منتقضا إياه قوله أنه " الرجل الذي له خلاف مع العديد من الصحب الكرام ﷺ أجمعين (١) ".

وللرد على ذلك أقول: بأن اختلاف وجهات النظر أمر قائم بين عموم البشر وليس مختصا بأبي بكر الصديق دون غيره، فمن الصعوبة بمكان جمع عقول البشر على أمر اجتهادي. أما ما كان من الصحابة الكرام ﷺ، فإنهم كانوا في الأصول متفقين، ولهم اختلاف في الفروع واضح وبين، ويطول المقام لذكره هنا.

وإلا فليات لنا آت بصحابي وافقت وجهات نظره وجهات الصحابة كلهم ﷺ، ولم يخالفهم في شيء منها، إن ذلك لضرب من المستحيل، إلا أن الأصل المتفق عليه بينهم هو مكانة الصديق ﷺ عند رسول الله ﷺ، وعندهم ﷺ.

ويصف وات أبا بكر الصديق ﷺ أيضا بأنه برجل يملى رأيه وسياسته على رسول الله ﷺ طاعنا بذلك في رسول الله ﷺ.

فيتهم أبا بكر بأنه يملى توجهات معينة على رسول الله ﷺ بقوله: " مهما كانت سياسة أبي بكر ﷺ، فإن محمدا ﷺ كان بلا شك سيوافق عليها " (٢).

- أي طعن هذا في النبوة، وفي الصديق ﷺ، ألم يهاجر الصديق تاركا أهله وماله ورده ابن الدغنة (٣) ؟

- أيهاجر من له مآرب وسياسات يريد تحقيقها تاركا إياها خلف ظهره؟ أم أن هجرته ﷺ كانت سياسة معينة؟

- أما من حيث موافقة النبي ﷺ لسياسة أبي بكر ﷺ، فالسيرة المطهرة تثبت عكس ذلك في العديد من المواقف، ولم يوافقها عليها.

كتوجيهه ﷺ له حين أبدى رغبته بالهجرة إلى المدينة، فمنعه رسول الله ﷺ عن ذلك، فكانت

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٣.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٤.

(٣) ابن الدغنة - بفتح الدال وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون - وهو سيد القارة: أي وهو اسمه الحارث» والقارة: قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل في قوة الرمي، ومن ثم قيل لهم: رماة الحدق لا سيما ابن الدغنة. والقارة: أكمة سوداء نزلوا عندها فسموا بها، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون، ج: ١، ص: ٤٥٦.

سياسة أبي بكر رضي الله عنه قبول ذلك بصدر رحب.

وكتوجيه له في حادثة مسطح رضي الله عنه، وأيضا حادثة من شتم الصديق بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتدخله صلى الله عليه وسلم بين عائشة وأبيها رضي الله عنهما، فكل سياسات أبي بكر رضي الله عنه آنفة الذكر كانت مرفوضة عنده صلى الله عليه وسلم، خلافا لادعاء الكاتب.

كما يطعن الكاتب في غيره من الصحابة رضي الله عنهم عن طريقه رضي الله عنه، فيذكر على سبيل المثال أن " زيد بن حارثة رضي الله عنه وضعيته المتواضعة تجعل إسلامه ليس بأهمية إسلام أبي بكر رضي الله عنه " (١).

آل البيت الكرام: " حمزة والعباس ابني عبدالمطلب، وجعفر ابن أبي طالب رضي الله عنهم :

إفتري الكاتب في معرض حديثه عن الوضع الاجتماعي لحمزة وجعفر رضي الله عنهما مدعيا تدني وضعهما بقوله: " يتضح تدني وضع حمزة وجعفر رضي الله عنهما " (٢)، وعلل ذلك لسبب مصاهرتهما لقبيلة خثعم البدوية.

ولرد على ذلك أقول: بأن هذا ليس سبب كاف لتدني وضع امرئ في قريش كما يزعم الكاتب.

فمن رجال مكة من كان يتسرى بالإماء ويأتي أصحاب الرايات، ولا ينقص ذلك من قدره، فضلا أن ينقص قدره زواجه بعربية حرة بدوية، فهذا مناف للمنطق. ولا أدل على ذلك من إتيان رجالات قريش لامرأة بغيية من أصحاب الرايات هي النابغة بنت خزيمة بن الحارث، وكلهم أعلام في سماء قريش، فهذا واقع تاريخي آخر غالط فيه وات لإثبات وجهة نظره الخاطئة.

فيا ترى هل حط ذلك من قدر أي شريف منهم، والجواب: بالطبع أن ذلك لم يكن ليؤثر في مكانتهم الاجتماعية لا من بعيد ولا من قريب.

وهؤلاء الرجال هم: أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه، العاص بن وائل السهمي، أبو لهب بن عبدالمطلب

(١) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١٧٢.

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١٧٦.

(١) ، أمية بن خلف الجمحي، وهشام بن المغيرة المخزومي (٢) ، وكاتنا النابغة سبية من السبايا أصابتها رماح العرب (٣).

أما حمزة رضي الله عنه أسد الله ورسوله ﷺ وسيد الشهداء، فقد ذكره الكاتب مناقضا نفسه بنفسه فقال: " ربما كان محترما كمحارب " (٤)، فالمعنى المبطن أن من لم يكن محاربا فلا احترام له ولا تقدير. وللدرد على ذلك أقول: وهنا سؤال يطرح نفسه: هل مقام الإحترام عند العرب للمحاربين فقط دون غيرهم؟

ولا يخلو الجواب أن يكون إما بنفي أو إثبات...

فإن كان الجواب بالإثبات، وبأن الإحترام للمحاربين دون غيرهم... فالرد بأن قريش كان لهم من العبيد محاربين أكفاء، ورغم ذلك لم يكن لهم شيء من الإحترام. ثم إن كثيرا من سادات قريش لم يكن لهم باع في الحرب، ومن ذلك أن سيد مكة أبو لهب عم النبي ﷺ اعتذر عن الخروج لبدر هو وغيره من أغنياء قريش، وقد أقر الكاتب نفسه بذلك (٥)، ولم يمنع ذلك كونه سيذا من سادات قريش.

وأما إن كان الجواب بالنفي، وبأنه لا يشترط كون المرء محاربا ليحظى باحترام ملاء قريش، فهو مخالف لما ذهب إليه الكاتب في معرض حديثه عن حمزة رضي الله عنه بأن سبب كونه محترما هو كونه محاربا.

(١) أبو لهب : عدو الله المذكور في المهذب في باب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف مات بعد غزوة بدر بسبعة أيام ميتة شنيعة بداء يقال له العدسة. أسماء من يعرف بكنيته ، باب اللام ، ج : ١ ، ص : ٥٨ .

(٢) هشام بن المغيرة المخزومي والد أبي جهل ، الإصابة في تمييز الصحابة ، الحاء بعدها الكاف ، ج : ٢ ، ص : ٩٥ .

(٣) ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال: كانت النابغة أم عمرو بن العاص رضي الله عنه أمة لرجل من عنزة فسببت فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغيا ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب وأميه بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمرا رضي الله عنه، فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه فقالت هو من العاص بن وائل وذلك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا قالوا وكان أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه في عمرو بن العاص رضي الله عنه : أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت *** لنا فيك منه بينات الشمائل

وقد وردت هذه القصة عند القرطبي في الإستيعاب في معرفة الأصحاب، باب من اسمه عمرو، ج : ٣ ، ص : ٢٦٦ ، الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة رضي الله عنه، باب العين والميم، ج : ٣ ، ص : ٣٨٤ ، برقم : ٣٩٥٧ ، الحافظ المري، تهذيب الكمال، ج : ١٤ ، ص : ٢٥٢ ، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج : ١ ، ص : ٤٩ .

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص : ١٧٥ .

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص : ٦١ .

فهو وإن ذكره بشيء من الإحترام إلا أن في ذلك ازدراء له أيضا، مع التشكيك بهذا الإحترام بقوله " ربما " .

كما أنه ادعى أمرا يخص العباس عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وظاهر هذا الأمر مدح فيه، لكن باطنه ذم وطعن فيه عليه السلام فقال: " ربما يكون اسمه أضيف فيما بعد لإكساب ذريته مجدا " (١).

وليست هذه المرة الأولى التي يشير فيها وات في كتابه مدعيا محاولات إرضاء العباسيين، فقد ذكر أن أبا طالب: " كان يشار إليه كراعي إبل في الصحراء، وكانت هذه الإشارة عامرة بالإزدراء. ويبدو أن هذه الإشارات كانت لإرضاء بني العباس في الأساس، الذين كانوا يحسون بالغيرة من بني هاشم " (٢).

وللد على ذلك: يذكر ما قاله الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ في ذيل ترجمته لكتاب وات فقال: " لا أرى أي مجد يشرف ذرية العباس عليه السلام عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من اشتراك أبيهم العباس عليه السلام في معركة بدر في صفوف المشركين، وهم أبناء عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهي المسلمين يوم بدر عن قتل عمه عليه السلام، كما أعلن إسلامه عليه السلام بعد ذلك، وخرجت منه ذرية مسلمة، منهم عبدالله عليه السلام ابنه الملقب بحبر الأمة، بل ودولة خلافة نسبت إليه، وهي الدولة العباسية.

ويعلق الدكتور أحمد الشلبي على ذلك بقوله: " وهناك اتجاه يرى أن العباس عليه السلام كان مسلما يكتنم إسلامه ليكون عينا للمسلمين لدى أعدائهم " (٣).

أما الإزدراء، فلا أدري ما الإزدراء في وصف العربي براع للإبل، فالعباس عليه السلام أيضا كان راعيا للإبل، وليس المراد هنا من كونه راعيا كونه غلام أو أجير، بل إنه صاحبها ويرعاها فليس الأمر كما أظهر وات بأنه عامر بالإزدراء.

بل إن أحد فحول الشعراء كني بالراعي النميري، لشدة إبداعه في وصف الإبل والإكثار من ذلك، ولم يحط ذلك من قدره، يقول صلاح الدين الصفدي (٤) في تعريف الراعي الشاعر: عُبيد بن

(١) محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة - ص: ٥٧.

(٢) محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة - ص: ٩١.

(٣) محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة - ص: ٥٧.

(٤) خليل بن أيبك بن عبد الله الأديب صلاح الدين الصفدي أبو الصفاء ولد سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة تقريبا وتعاني

حُصين. أبو جندل النميري المعروف بالراعي لكثرة وصفه الإبل في شعره، كان من فحول الشعراء، تُؤي في حدود التسعين للهجرة، وقيل بعد المائة^(١).

فإن كان وصف الإبل سببا للشهرة، فهل يكون تملكها سببا للإزدراء كما ادعى الكاتب في حق العباس رضي الله عنه.

(ويعمد وات إلى إختلاق الروايات لتحميلها معنى إيجابيا للشخص ولنفي التهمة عنه، ومن ذلك رده للرواية التي تشهد أن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه شهد مع الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية. فحين ذكر بيعة العقبة وتطرق لحضور العباس رضي الله عنه لها، علل ذلك بقوله أنه " حضر البيعة ليبين أن هاشما لم تتخل عن محمد ﷺ"^(٢).

وادعاؤه أن: " العباسيين اختلقوا هذه الرواية تمجيدا للعباس رضي الله عنه وإبراء له من تهمة التخلي عن ابن أخيه)^(٣).

ولرد على ذلك أقول: نريد أن نوجه سؤالاً: (ما وجه الإستحالة في أن يدعم العم ابن أخيه ويشهد معه هذه البيعة، حتى لو كان على غير دينه؟ وماذا يقول الكاتب في الأدلة التي تشهد بحماية عم الرسول ﷺ أبي طالب له مع شركه وتأييده له حتى آخر لحظة في حياته؟

وكيف يتصرف مع حادثة حصار الشعب، وهي المقاطعة التي فرضتها قريش على عشيرة رسول ﷺ بنى هاشم وبنى عبد مناف وبنى عبدالمطلب لتضامنهم معه ﷺ، ومنهم من هو على غير ملة الإسلام؟

بل وهو المقر في كتابه: " فليس هناك ما يدعو للدهشة إذا تلقى هو أيضا قدرا معيناً من الدعم

صناعة الرسم فمهر فيها ثم حُبب إليه الأدب فولع به وكتب الخط الجيد ، ومات بدمشق في ليلة عاشر شوال سنة ٧٦٤ ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، حرف الخاء المعجمة ، ج : ٢ ، ص : ٤٩ .

(١) ابن عساکر، تاريخ دمشق: ج: ٤٠، ص: ٦٦.

(٢) محمد ﷺ في مكة، ص: ٢٨٤.

(٣) نعمات محمد عبد الرحمن الجعفري بعنوان، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت ص: ١٨٣، وفي نسخة الشيخ ص: ٥٧، ٢٨٧.

العام لعشيرته" (١).

فهل كل هذه الوقائع من إختراع المخترعين لإستحالة وقوعها؟

إن لازم حكمه ذلك إذا طبقه على جميع الأحداث والوقائع، يقتضى ردها كلها فلا يبقى لنا من تاريخنا شيء (٢)، إلا ما نأخذه عن وات وأمثاله!!! وهذا ما يريدون.

أما خديجة الكبرى ﷺ :

خديجة ﷺ ... وفي ثلاثية وات ذكرها مادحا إياها، مثنيا عليها بقوله: " زوجته المؤمنة الوفية المعينة خديجة ﷺ " (٣).

إلا أنه لم يدم هذا المدح طويلا، فقال في السطر الذي يليه: " ليس لدينا دليل على ما كانت تعنيه خديجة ﷺ بالنسبة لمحمد ﷺ في هذه الفترة "، فناقض ما ذكر آنفا. وللدرد على ذلك أقول: إن كان مراد وات في فترة المقاطعة، فحسبه دليلا أنها كانت معه وآزرته في هذه المقاطعة ولم تتخل عنه.

وإن كان بعد إنتهاء المقاطعة فهي من كانت هي ﷺ، لم تتغير ولم تتبدل، وقفت إلى جانبه وآزرته أيضا، حتى أتى جبريل ﷺ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء في إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها ومي، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب" (٤).

وقد أكد وات على هذا المعنى بقوله: " يمكننا أن نحس على الأقل أن دعمها له وشدها من أزره كان لا يزال يعنى بالنسبة له شيئا ".

ثم يأتي للتشكيك تاليا، حين تطرق وات لمناسبة زواج أمنا خديجة ﷺ برسول ﷺ وأولادها،

(١) محمد ﷺ في مكة، ص: ٢٤٩.

(٢) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت ص: ١٨٤، ١٨٥.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٧٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب تزويج النبي ﷺ، ج: ٣، ص: ١٣٨٩، رقم ٣٧٣٣، مسلم في صحيحه، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ، ج ١٥، ص ١٦٧، رقم: ٦٢٢٦، أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة ﷺ، ج ٢، ص ٤٦٠، رقم: ٧١٣٦.

يستغرب أن تنجب في مثل هذا السن فيقول: " وليس هذا مستحيلا ولكنه غريب " (١).

وللد على ذلك أقول: بأن وات (يشكك فيما هو ثابت معلوم، ويثبت ما هو مشكوك فيه. ومن ذلك تشكيكه المبالغ في عمر خديجة رضي الله عنها، وجرمه بعدد أبناء النبي صلى الله عليه وسلم منها في قوله: " ربما كان عمر خديجة رضي الله عنها مبالغا فيه، فقد ذكرت المصادر أسماء سبعة ولدتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وهم: القاسم ورقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة وعبدالله " الطيب " والظاهر، وقد مات الصبية جميعا صغارا ". وحتى لو كان السبعة قد ولدوا في سنوات متتالية كما يذكر أحد رواة ابن سعد فإن هذا يعني أن عمرها رضي الله عنها قد بلغ الثامنة والأربعين قبل أن تلد الإبن الأخير.

وهذا أمر مستحيل بأية حال، ويعتبر أمرا غير عادي بالدرجة التي تجعله يستحق التعليق، بل إنه من الأمور التي يمكن اعتبارها معجزة، ومع ذلك فلم ترد كلمة تعليق واحدة فيما كتبه هشام وابن سعد أو الطبري (٢).

وللد على ذلك أقول: لا يوجد لدى وات أساس علمي أو منطقي لكل ما رده أو شكك فيه (٣)، فقد أخذ الكاتب برواية حكيم بن حزام رضي الله عنه (٤) في عمر أمنا خديجة رضي الله عنها حين زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما هناك رواية من ابن عباس رضي الله عنهما تفيد أن عمرها كان ثمانية وعشرون رضي الله عنهما (٥).

(١) هيا العتيبي، تقرير موجز عن المستشرق مونتجمري وات، إشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود، نقلا محمد صلى الله عليه وسلم في مكة ص: ٧٣ " وفي نسخة الشيخ ص: ٩٨ - ٩٩ "، نقلا عن عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، ص: ٤٠.

(٢) أجماد الربابعة، مباحث في الاستشراق - بإشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود، نقلا عن محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - تعريب شعبان بركات - ص: ٧٣ " وفي نسخة الشيخ ص: ٩٨ - ٩٩ ".

(٣) أجماد الربابعة، مباحث في الاستشراق - بإشراف الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود.

(٤) حكيم بن حزام بن خويلد بن بن قصي الأسدي بن أخي خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم واسم أمه صفية وقيل فاخته وقيل زينب بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى ويكنى أبا خالد ، مات سنة خمسين وقيل سنة أربع وقيل ثمان وخمسين وقيل سنة ستين وهو ممن عاش مائة وعشرين سنة شطرها في الجاهلية وشطرها في الإسلام قال البخاري في التاريخ مات سنة ستين وهو بن عشرين ومائة سنة قاله إبراهيم بن المنذر ثم أسند من طريق عمر بن عبدالله بن عروة عن عروة قال مات لعشر سنوات من خلافة معاوية . الإصابة في تمييز الصحابة ، ذكر من اسمه حكيم بفتح الحاء ، ج : ٢ ، ص : ٩٧ .

(٥) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٩٨ - ٩٩ وأنقل هنا وجهة نظر المترجم والمراجع إتماما للفائدة " من المعروف طبيا أن المرأة التي عاشت حياة زوجية سليمة، وتكررت ولادتها، يمكنها أن تستمر في الإنجاب إلى سن متأخرة، ولكن من المعروف طبيا أن المرأة المرضع لا تحمل عادة، وعلى هذا فإن الفترة بين الحملين لمن تقل عن عامين حتى يتم فصال الطفل، فالقول بأن السيدة خديجة رضي الله عنها =

كما قام وات بالتشكيك بأمر ثروتها رضي الله عنها بقوله: " ربما لم تكن خديجة رضي الله عنها من الثروة كما يقال عنها أحيانا " ^(١)، وهو أمر لا بينة عليه ولا برهان.

وهنا ملاحظ تركيز الكاتب في معرض حديثه عنها رضي الله عنها أنه ركز على أمرين لا ثالث لهما، وكلاهما دنيوي بحت: عمرها حين تزوجت، و ثروتها رضي الله عنها .

وللدرد على ذلك أقول: مسألة العمر سبق الرد عليها، أما مسألة الثروة، فإن الكاتب حين حاول انتقاص ثروة الصديق رضي الله عنه، عزی ذلك لما عرف عنه من امتلاكه أربعة آلاف صرفت في سبيل الله، فكان المجال للأخذ والرد عليه ^(٢).

أما هنا فهو لم يذكر أي مثال، أو برهان وبينه، وإنما هو ادعاء لا أساس له ولا بنيان، لا لشيء إلا للانتقاص والحط من قدر الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فيا ليتة اعتمد نفس المنهج في حديثه عن أمتنا خديجة رضي الله عنها .

ولم يتطرق الكاتب ما كان لأمتنا خديجة رضي الله عنها من مواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم ما ذكر باختصار أنها زوجته الوفية المعينة، فتروى ذلك عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: " كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها أَثْنَى عَلَيْهَا فَاحْسَنَ الثَّنَاءِ، قَالَتْ: فَغَرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا، حَمْرَاءَ التِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَجَّلَ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا.

قَالَ صلى الله عليه وسلم: " مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَجَّلَ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسَّنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَجَّلَ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ " ^(٣).

كانت تلد كل عام قول مشكوك فيه طبيا، والأقرب إلى التصديق أن يكون كل عامين، فتكون الفترة التي أنجبت فيها الأبناء السبعة ١٤ عام، فلو كانت تزوجت رضي الله عنها وهي في الأربعين كما يقول حكيم ابن حزام رضي الله عنه، لكان عمرها في الحمل الأخير ٥٤ عاما على الأقل وهو أمر مستبعد إلى درجة كبيرة كما يقول المؤلف، وبذلك يكون قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن عمرها كان ٢٨ عاما أقرب إلى التصديق، والله أعلم " المترجم - عبد الرحمن الشيخ " ثم إنها لو كان عمرها رضي الله عنها عند الزواج أربعين لما كان ينتظر أن تخطب لنفسها شابا عمره ٢٥ سنة، لأن في هذه الحال في عمر أولادها، فما كان شرفها يسمح بذلك " المراجع - أحمد الشلي " .
(١) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٩٩ .

(٢) وكانت ثروته قوامها ٤٠ ألف درهم عندما أسلم - محمد صلى الله عليه وسلم في مكة، ص: ١٧٧، وذكر في موضع آخر: " كما أن تدني رأسمال أبي بكر من ٤٠,٠٠٠ درهم إلى ٥,٠٠٠ درهم في الفترة من تحوله للإسلام إلى الهجرة... "، ص: ٢٤٧ .

(٣) ذكره ابن كثير، البداية والنهاية، فصل موت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وذكر شيء من فضائلها ومناقبها، ج: ٣، ص: ١٢٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج: ١، ص ٦١١ بمعناه، السهيلي، الروض الأنف، ج: ١، ص ٤١٢ .

وبالرجوع لهذه الأحاديث، وتتبع ما بها من آثار، يعلم ما كانت تعنيه ﷺ له ﷺ ووجد الدليل الذى نفاه وات حين قال بأنه ليس لدينا دليل عما كانت تعنيه له.

أما أقرانه من الغربيين فلهم أقوال آية في الروعة في وصف رسول الله ﷺ وعلاقته بأمننا خديجة ﷺ، وويرادها هنا من باب شهادة شاهد من أهل وات.

" فمن ذلك قول بودلي ^(١): " إن ثقفتها في الرجل الذي تزوجته لأنها أحبته كانت تضىفى جوا من الثقة على المراحل الأولى للعقيدة التي يدين بها اليوم واحد في كل سبعة من سكان العالم.

أما درمنجم ^(٢) فيطيل الحديث عن موقف خديجة ﷺ حين جاءها زوجها من غار حراء خائفا مقرورا ^(٣) أشعث الشعر واللحية، غريب النظرات، فإذا بها ترد إليه السكنينة والأمن وتسبغ عليه ود الحبيبة وإخلاص الزوجة وحنان الأمهات، وتضمه إلى صدرها فيجد فيه حضن الأم الذي يحتفى به من كل عدوان في الدنيا "

وكتب عن وفاتها ﷺ: "... فقد محمد ﷺ بوفاة خديجة ﷺ تلك التي كانت أول من علم أمره فصدقته، تلك التي لم تكف عن إلقاء السكنينة في قلبه، والتي ظلت ما عاشت تشمله بحب الزوجات وحنان الامهات:

و " مرجليوث ^(٤) يؤرخ حياة محمد ﷺ باليوم الذي لقي فيه خديجة ﷺ ومدت يدها إليه تقديرا، كما يؤرخ حادث الهجرة إلى يثرب باليوم الذي خلت فيه مكة من خديجة ﷺ " ^(٥).

(١) سبقت ترجمته ص: ٤٥ .

(٢) سبقت ترجمته ص: ٧٢ .

(٣) تشبيهه للرجل حين يشعر بالبرد، البغدادي، لسان العرب، القر: البرد عامة، الفيروزبادي، قاموس المحيط، فصل القاف ، ج: ٤، ص: ١٤٦، بمعناه، وقال: يختص بالشتاء، الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج: ٥، ص: ٧٦، بمعناه .

(٤) ديفيد صمويل مرجوليوث (١٨٥٨م - ١٩٤٠) توفر له أثناء دراسته في أكسفورد على الآداب الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ومن ثم انتقل إلى دراسة اللغات السامية، وكانت ثمرة هذه الدراسة المزدوجة دراسته ونشرته لكتاب " فن الشعر " لأرسطو طاليس بترجمة متى بن يونس، وقد ظهرت في ١٨٨٧م، ثم عين أستاذا في جامعة أكسفورد ١٨٨٩م، ومن ثم ازدادت عنايته بالدراسات العربية والسامية، المرجع: عبد الرحمن البدوي، موسوعة المستشرقين، ص: ٣٧٩ .

(٥) المرجع موقع المعرفة .

عثمان بن عفان رضي الله عنه (١) :

دأب الكاتب على إظهار الصحابة رضي الله عنهم بمظهر من يلهث وراء متاع الدنيا الزائل من مال أو رياسة أو عرض زائل، رغم أن ذكرهم قد يكون نادرا، أما عثمان فقد تلمس الكاتب له النقد قبل إسلامه. ومن أمثلة ذلك ما ذكره بأنه: " لم يكن آباء عثمان بن عفان رضي الله عنهم المباشرون ذوى مكانة بارزة"، وقوله أيضا: " ربما كان عثمان رضي الله عنه أيضا يغار من أقرباءه الأغنى منه والأكثر نفوذا " (٢).

وللرد على ذلك أقول: رغم أن ما ذكره الكاتب كان قبل إسلام عثمان رضي الله عنه، ولا أثر له في حياته، فأقول، أولا لم يورد دليلا لما أورده، وإن فرضنا جدلا صحة ما أورده فمكانة آباء عثمان رضي الله عنهم لم تقدم ولم تأخر في حياته.

وأما غيرة عثمان رضي الله عنه فهي في غير محلها، ففي صدر الإسلام، ترك عثمان رضي الله عنه وطنه وهاجر للحبشة، تاركا أقرباءه وغناهم ونفوذهم خلف ظهره، فكانت أول هجرة بعد لوط عليه السلام (٣).

ومن يغار من أمر لا يدير له ظهره، كما فعل عثمان رضي الله عنه، بل الأولى أن يسعى للحصول عليه والنيل منه، بل إن عثمان رضي الله عنه كان ينافس نفسه أحيانا ، فينفق المرة تلو المرة حتى تطيب نفسه.

أما في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان منه رضي الله عنه من أمور عظام من البذل والفداء والتضحية والجهاد، ولم ينظر رضي الله عنه لأقربائه ومن شاكلهم، فجعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشره بعد بذله المال في سبيل الله بقوله: " ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم " (٤).

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو عبد الله وأبو عمر وأمه أروى بنت كزير بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس أسلمت وأمها البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح وكان ربعة حسن الوجه رقيق البشرة عظيم اللحية بعيد ما بين المنكبين وقال بن إسحاق قتل على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما من خلافته فيكون ذلك في ثاني وعشرين ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وقال غيره قتل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة رواه أحمد عن إسحاق بن الطباع عن أبي معشر وقال الزبير بن بكار ببيع يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة بعد العصر ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع وقتل وهو بن اثنتين وثمانين سنة وأشهر على الصحيح المشهور وقيل دون ذلك وزعم أبو محمد بن حزم أنه لم يبلغ الثمانين ، الإصابة في تمييز الصحابة ، العين بعدها الثاء ، ج : ٤ ، ص : ٣٧٧ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١٨٣ .

(٣) النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین - برقم: 6928 باب ذکر أول من هاجر بعد لوط وإبراهيم عليهما السلام .

(٤) رواه الترمذي في سننه، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج: ١٠، ص: ١٤٧، برقم: ٣٨٥٧، النيسابوري، المستدرک علی

الصحیحین، تجهيز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة، ج: ٣، ص: ١١٠، برقم: ٤٦٠٢، اللخمي، مسند الشاميين، ج: ٢، ص: ٢٤٥،

بل إنه بذل روحه ﷺ بعد رسول الله ﷺ لئلا تهرق قطرة دم يكون هو سببا فيها في يوم الدار،
ذاك اليوم الذي قتل فيه عثمان ﷺ، فهذه حاله ﷺ في محطات حياته المباركة، لم يبرز منها شيء مما
ادعاه وات.

نتنقل الآن للنظر في ما يراه الكاتب ويخلط لكثير من الأمور التي تقع بين الصحابة الكرام
ﷺ^(١)، مدعيا تهافتهم على الأمور المادية، ومنهم:

خالد بن سعيد ﷺ^(٢) :

ذكر الكاتب أمورا عديدة حين تحدث عن خالد بن سعيد ﷺ، فمن هذه الأمور:
أنه " أظهر العداة لأبي بكر الصديق ﷺ:"
ولرد على ذلك أقول: هنا لم يبرز الكاتب سبب هذا العداة لخالد بن سعيد ﷺ، ولعله يومئ
لما ورد في كتب السيرة من موقفين بارزين بينهما، وفي كلا الموقفين تبرير لتصرف خالد بن سعيد ﷺ.
إلا أن الكاتب يفضل أن يغض الطرف عما أقره على نفسه هذا الصحابي الجليل ليقدر هو
نيابة عنه ما سبب تصرفه.

- فالموقف الأول^(٣): " لم يزل خالد وأخواه عمرو وأبان على أعمالهم التي استعملهم عليها رسول
الله ﷺ حتى توفي رسول الله ﷺ، فلما توفي ﷺ رجعوا عن أعمالهم.
فقال لهم أبو بكر ﷺ: ما لكم رجعتم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، ارجعوا
إلى أعمالكم.

فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدا، وكان خالد ﷺ على اليمن،

برقم: ١٢٨٤، السيوطي، جامع المسانيد والمراسيل، ج: ٦، ص: ٣٤٧، رقم: ١٩٢١٧، النسائي، فضائل الصحابة ﷺ، ج:
١، ص: ٥١٥، رقم: ٨٤٩.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٣.

(٢) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أبي أحيحة القرشي الأموي، استعمل أبو بكر خالداً على جيش من جيوش المسلمين حين
بعثهم إلى الشام، فقتل بمرج الصفر في خلافة أبي بكر ﷺ، وقيل: كانت وقعة مَرَج الصُّفَر سنة أربع عشرة في صدر خلافة عمر.
وقيل: بل كان قتله في وقعة أجنادين بالشام قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة، أسد الغابة في معرفة الصحابة، باب الخاء
والألف، ج: ٢، ص: ٨٧.

(٣) القرطي، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ﷺ، باب خالد، ج: ٢، ص: ١٠، الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة ﷺ،
باب الخاء والألف، ج: ٢، ص: ٨٧.

=

وأبان رضي الله عنه على البحرين، وعمرو رضي الله عنه على تيماء وخيبر، وقرى عربية.

- أما الموقف الثاني فهو تأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه، فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر طيبوا الثمر، ونحن تبع لكم، فلما بايع بنو هاشم أبا بكر رضي الله عنه بايعه خالد وأبان^(١).
فأصل المسألة أنهم تبع لبني هاشم كما ذكر " ونحن تبع لبني هاشم "، فإن بايع بنو هاشم بايعوا، فلا يتقدمونهم، ولم يعلنوا شق عصا الطاعة كما يوهم الكاتب.
وأما قول الكاتب: " أن خالد بن سعيد رضي الله عنه على سبيل المثال يفترض أنه لم يكن واعيا إلا بالجوانب الدينية عندما تحول للإسلام"^(٢).

فالرد على ذلك وأقول: في كلام وات هذا رد عليه حين ادعى أن من الصحابة رضي الله عنهم من أسلم بغية الحصول على مزايا اقتصادية وسياسية.
على الرغم من أن خالدا رضي الله عنه تولى مناصب للنبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر رضي الله عنه فيما بعد، لأن القاعدة أن من أراد الدين فعليه بالدين، ومن أراد الدنيا، فعليه بالدين، ومن أراد الدنيا والدين فعليه بالدين، فأتت الدنيا له راغمة، ولم يكن له رضي الله عنه مأرب في حطام الدنيا.
إلا أن وات عد هذا من قلة وعي خالد رضي الله عنه بالعوامل الاقتصادية والسياسية في تحوله للإسلام، فعده عيبا، فيما هو في الأصل منقبة له، بالأنا ينظر لهذه العوامل المادية، بل يجعل إسلامه خالصا لله تعالى.

أما مسألة خالد رضي الله عنه والهجرة إلى الحبشة، فقد أشار إليها بقوله: " أما إقامته الطويلة في الحبشة، فرمما تشير أنه لم يكن متفقا مع سياسة محمد صلى الله عليه وسلم، خاصة فيما يتعلق بالأبعاد السياسية المتزايدة في الإسلام، وكان من رأيه أن هذا ربما يخالف النبوة ".
وأكد ذلك بقوله: " فلو كان خالد مهتما بالأمر السياسي، لتلاشت خلافاته مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعاد إلى مكة والمدينة قبل السنة السابعة من الهجرة بكثير"^(٣).

وللرد على ذلك أقول: بأن هجرة خالد ومن معه من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، إنما كانت بأمر من

(١) الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب الحاء والألف، ج: ٢، ص: ٨٧.

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١٨٩.

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١٨٩.

رسول الله ﷺ، وما كانوا ليرجعوا إلا أن يأذن لهم رسول الله ﷺ أيضا.

وأما الأمور السياسية... فإن كان هناك من خلاف في الأمور السياسية، فوات مطالب بالدليل، ليتسنى الحكم على ادعائه، أما ادعاء بلا بينة، فهو مرفوض.

وأمر آخر ناقض فيه الكاتب نفسه كعادته:

فمن ناحية يقول بأنه لم يكن واعيا إلا بالجانب الديني.

ثم يذكر أنه لم يكن متفقا مع سياسة محمد ﷺ، خاصة فيما يتعلق بالأبعاد السياسية.

ثم يقول بأنه لو كان مهتما بالأمور السياسية لتلاشت خلافاته مع الرسول ﷺ إن وجدت.

حاصل هذه الادعاءات الثلاثة عن خالد: أنه لا وعي له إلا بالدين، ورغم ذلك لم يتفق في سياسة رسول الله ﷺ، تلك السياسة التي لو كان مهتما بها في الأساس لتلاشت الخلافات مع رسول الله ﷺ، في حال وجدت هذه الخلافات.

كيف لي أن أحل ثلاثية التناقض هذه، لأصل إلى مفهوم ادعاءات وات، ولا أظن أني سأجد لذلك سبيلا.

نعيم بن عبد الله النحام رضي الله عنه (١) :

ذكر الكاتب نعيم بن النحام رضي الله عنه عدة مرات في كتابه (٢)، إلا انه في مرتين كان ينوه بأنه لم يهاجر للمدينة المنورة، دون أن يأتي على ذكر سبب عدم هجرته، كما لم يعلل سبب بقاؤه في مكة، بل وادعى أنه رضي الله عنه " تعرض للفتنة (٣) " .

وأكد على ذلك بقوله " فهو لم يذهب للمدينة حتى سنة ٦ هـ "، دون أن يبين ما سبب تأخر ذهابه للمدينة (٤).

(١) نعيم النحام وهو ابن عبد الله بن أسيد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب العدوي القرشي ، وإنما سمي النحام، لأن النبي : قال: «دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم فيها» والنحمة: السعلة، وكان قديم الإسلام يقال: أسلم بعد عشرة أنفس قبل إسلام عمر، وكان يكتنم إسلامه قال: الواقدي : كان نعيم قد هاجر أيام الحديبية فشهد مع النبي ما بعد ذلك من المشاهد واستشهد يوم يرموك في رجب سنة خمس عشرة في خلافة عمر وقيل استشهد بأجنادين سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر.

الإكمال في ذكر من له رواية في مسند أحمد ، حرف النون ، ج : ٢ ، ص : ١٦٩ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٨٠، ١٧٣، ٢٤٣.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٣.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٣.

وللد على ذلك أقول: نعم ثبت لدينا بالدليل الصحيح أنه ﷺ لم يذهب للمدينة، كما ثبت لدينا أيضا بذات الدليل الصحيح أن سبب عدم هجرته ﷺ هو اختلاف وضعه في قومه عن وضع من هاجر من المسلمين، فقد كان في منعة من قومه، فلم يأخذ وات طرفا من الدليل ويدع الآخر؟ ذكر ابن الأثير (١) ذلك فقال: " ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة، لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم ويموئهم.

فقالوا: " أقم عندنا على أي دين شئت، فوالله لا يتعرض إليك أحد إلا ذهبنا جميعاً دونك "، ثم قدم مهاجراً إلى المدينة بعد ست سنين (٢).

لأن النبي ﷺ قال له ﷺ حين قدم عليه المدينة، وكان معه أربعون من أهل بيته، فاعتنقه النبي ﷺ وقبله، وقال له: " قومك يا نعيم كانوا خيراً لك من قومي لي ".

قال ﷺ: " بل قومك خير يا رسول الله "، فقال الرسول ﷺ: " قومي أخرجوني وأترك قومك ".

قال ﷺ: " لا، بل قومك خير يا رسول الله، قومك أخرجوك إلى الهجرة، وقومي حبسوني عنها " (٣).

وأما ادعاؤه بأنه ﷺ تعرض للفتنة، فأقول: لا تخرج الفتنة التي إن قدر أن يتعرض لها نعيم ﷺ عن أحد ثلاثة أسباب:

= فإن كانت الفتنة من أهله:

فيأتيك الرد من ذات أهله، وذلك حينما قالوا له: " أقم عندنا على أي دين شئت " فقولك إذا ساقط.

(١) ابن الأثير القاضي الرئيس العلامة البارغ الأوحد البليغ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم المؤصلي، الكاتب ابن الأثير صاحب « جامع الأصول » و « غريب الحديث » وغير ذلك. مؤلفه بحريزة ابن عمّر في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة ونشأ بها، ثم تحوّل إلى المؤصل، وسمع من يحيى بن سعدون القرطبي، وخطيب المؤصل وطائفة سير أعلام النبلاء، الطبقة الثالثة والثلاثون، ج: ١٦، ص: ٤٧.

(٢) القرطبي، الإستهباب في معرفة الأصحاب، باب من اسمه نعيم، ج: ٤، ص: ٦٩، الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة ﷺ، النون والطاء والعين، ج: ٤، ص: ٢٤٦، رقم: ٥٢٦١، محمد الحسيني، الإكمال في ذكر من له رواية في مسند أحمد، حرف النون، ج: ٢، ص: ١٦٩، ٩٢٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ﷺ، النون بعدها عين، ج: ٦، ص: ٣٦١، الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة ﷺ، النون والطاء والعين، ج: ٤، ص: ٢٤٦، رقم: ٥٢٦١، محمد الحسيني، الإكمال في ذكر من له رواية في مسند أحمد، حرف النون، ج: ٢، ص: ١٦٩، رقم: ٩٢٤.

= وإن كانت الفتنة من غير قومه:

فمنهم أيضا يأتي الرد بقولهم: " فوالله لا يتعرض إليك أحد إلا ذهبت أنفسنا جميعاً دونك "

= أما إن كانت الفتنة لمخالفته لرسول الله ﷺ في الهجرة:

فلا يثبت ذلك، ولا أدل على إقراره ﷺ له على فعله الذي فعل من تقبيله ﷺ لرأسه، فضلا

عن ثنائه ﷺ على قومه.

وبإعراض الكاتب عن ذكر ذلك، يترك المجال لإساءة الظن بهذا الصحابي الجليل ﷺ.

ثم يورد الكاتب ما كان بين نعيم بن النحام والصديق مدعيا أنه ساد الفتور علاقته بأبي بكر،

دون ذكر واقعة تدل على ذلك، أو علة هذا الفتور.

وقد سبق الإجابة عن هذه المسألة حين اتهم الكاتب الصديق بعلاقته مع الصحابة الكرام ﷺ.

عثمان بن مظعون ﷺ:

لعل جعلت ما أثاره الكاتب عن عثمان بن مظعون ﷺ تاليا لمن سبق ذكره من الصحابة

الكرام ﷺ، لأن الكاتب تشعب في الطعن بهذا الصحابي الجليل مع عدة أطراف، وذلك مع كل من:

أولا: رسول الله ﷺ.

ثانيا: أبي بكر وعمر ﷺ.

ثالثا: وعموم أصحاب النبي ﷺ وﷺ.

فأما ما كان مع رسول الله ﷺ فقد ادعى " صعوبات واجهها محمد ﷺ مع أفكار عثمان بن

مظعون " (١)، وقد قام الكاتب بغض الطرف كعادته عن ذكر هذه الأفكار أو بيان ماهيتها، للإيهام

بوجود خلاف بينه ﷺ وبين رسول الله ﷺ.

وللرد على ذلك أقول: بأن أصل هذه الأفكار إن كان هذا مراد وات أنه ﷺ كان من أشد

الناس اجتهادا في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل، ويجتنب الشهوات، ويعتزل النساء.

واستأذن النبي محمد ﷺ في التبتل والاختصاص، فنهاه ﷺ عن ذلك، وقال له: " فإني أنا وأصلي

وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِيْضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا،

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٨٨.

وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ صَلِّ وَنَمْ" (١)، وقد كانت هذه خصاله ﷺ، فهو ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية (٢).

وأشار وات إلى ذلك من خلال تعرضه لأصالة القرآن الكريم فقال: " لقد حل القرآن الكريم مشاكل اجتماعية وأخلاقية وعقلية، ولكن ليس دفعة واحدة، وإنما على مراحل وبتدرج غير محسوس" (٣)، فعولجت هذه المسألة ولكن تطلب الأمر أخذًا وردًا لإفهامه وتفهمه ﷺ.

فإن حكم على ذلك بسبب توجهاته، فمن المعلوم أن الكثير من الصحابة ﷺ قبل إسلامهم كان لهم توجهات معينة، قومها ووجهها رسول الله ﷺ، كما هو مبين في الحديث الآنف الذكر. فمن الصحابة ﷺ من أراد أن يسلم ولا يجاهد ولا ينفق، فتم توجيهه، كما يروى بشير بن معبد بن الخصاصية ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه على الإسلام.

فاشترط علي: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وتصلي الخمس، وتصوم رمضان، وتؤدي الزكاة، وتحج، وتجاهد في سبيل الله.

قلت: يا رسول الله ﷺ، أما اثنتان فلا أطيعهما؟، أما الزكاة: فما لي إلا عشر ذود هن رسل أهلي وحولتهم.

وأما الجهاد، فيزعمون أن من ولي فقد باء بغضب من الله، فأخاف إذا حضرتني قتال كرهت الموت وخشعت نفسي.

فقبض رسول الله ﷺ يده، ثم حركها ثم قال: " لا صدقة ولا جهاد، فبم تدخل الجنة؟"، ثم قلت: يا رسول الله ﷺ أبايعك فبايعني عليهن كلهن " (٤).

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند السيدة عائشة رضي الله عنها، ج: ٧، ص: ٣٨١، برقم: ٢٥٩٠٩، ولفظ آخر عند الدارمي في سننه، باب النهي عن التبتل، ج: ٢، ص: ١٣٣، برقم: ٢١٧٠، وابن حبان في صحيحه، باب ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم هذي المصطفى ﷺ، ج: ١، ص: ١٧٧، برقم: ٩.

(٢) الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب العين والثاء، ج: ٣، ص: ٢٢٥، ابن سعد، الطبقات، طبقات البدرين من المهاجرين، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة رضي الله عنهم، العين بعدها الثاء، ج: ٢، ص: ٣٨١، القرطبي، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، باب من اسمه عثمان، ج: ٣، ص: ١٦٥.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٦٤.

(٤) البيهقي في سنن البيهقي، باب أصل فرض الجهاد، ج: ١٣، ص: ٢٣٠، برقم: ١٨١٦٠، الهيثمي، مجمع الزوائد، باب منه ثان، ج: ١، ص: ١٩٦، برقم: ١١٨، النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، باب: لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة، ج: ١، ص: ١٩٦، برقم: ١١٨، النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، باب: لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة، ج: ١، ص: ١٩٦، برقم: ١١٨.

وأما ما كان مع الصديق رضي الله عنه، فبادعائه بأن هناك حزين يتزعم أحدهما الصديق وعمر رضي الله عنه، والثاني عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

وقد أعرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سوء ظنه عندما مات عثمان رضي الله عنه على فراشه ولم يستشهد في ساحة الجهاد، فكانت هذه الملاحظة كما يزعم " وات " تعبيرا عن عداته للشخص الذي تزعم الحزب المعارض لجماعة أبي بكر رضي الله عنه (١).

وللدرد على ذلك أقول: لننظر في ما قاله عمر رضي الله عنه عن هذه الملاحظة، ليتسنى لنا الحكم على الموقف برمته.

أما ملاحظته على عثمان رضي الله عنه فقد كانت بعد وفاته رضي الله عنه، والخلاف كما يدعى وات كان حال حياته، ثم أن عمر رضي الله عنه زالت عنه هذه الفكرة، بعد اتضاح الرؤية لديه بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه.

إذ يقول رضي الله عنه: لَمَّا تُؤَيِّ عُمَانُ بِنُ مَظْعُونٍ وَفَاةً، لَمْ يُقْتَلْ، هَبَطَ مِنْ نَفْسِي هَبْطَةٌ ضَحْمَةٌ، فَعُلْتُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الَّذِي كَانَ أَشَدَّنَا تَحْلِيًّا مِنَ الدُّنْيَا ثُمَّ مَاتَ وَلَمْ يُقْتَلْ. فَلَمْ يَزَلْ عُمَانُ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ مِنْ نَفْسِي حَتَّى تُؤَيِّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَعُلْتُ: وَبِكَ إِنَّ خِيَارَنَا يَمُوتُونَ. ثُمَّ تُؤَيِّ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَعُلْتُ: وَبِكَ إِنَّ خِيَارَنَا يَمُوتُونَ، فَرَجَعَ عُمَانُ فِي نَفْسِي إِلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ" (٢).

إذا فلا أساس للملاحظة التي يدعيها وات هنا، بل إن الفارق رضي الله عنه يذكر ما كان لعثمان رضي الله عنه من مكانة في قلبه فيقول عنه: أنه كان أشدهم تحليا من الدنيا رضي الله عنه.

فوات يلوى عنق النص (٣)، ويتعسف في فهم اللفظ ويستنتق النص بما لم ينطق به، حتى يستخلص منه عداة عمر لعثمان بن مظعون رضي الله عنه، لأنه زعيم جماعة تعارض أبا بكر رضي الله عنه (٤).

٢، ص: ٨٩، برقم: ٢٧٩، ٢٤٦٩.

(١) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ١١٥، ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) السيوطي، جامع المسانيد والمراسيل، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج ١٣، ص ٤٢٩، برقم: ١٦٣٤، المتقى، كنز العمال، المجلد الثالث عشر، ج ١، ص ٢٧٦٤، برقم: ٣٧٣٥٨، ابن سعد؛ الطبقات الكبرى، طبقة البدرين من المهاجرين.

(٣) ومن أمثلة لوي عنق النص واستنطاقه بما ليس فيه: " هناك مرويات كثيرة عن التبرع بالمال أو دفع الصدقات تبين أن الشخص الذي لا يجد من يقبل صدقته هو شخص بائس سيء الطالع "، ص: ٣٢٦.

(٤) نعمات محمد لجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد صلى الله عليه وسلم

علما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو نسيب عثمان رضي الله عنه، فأخت عثمان زينب رضي الله عنها هي زوجة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهو خال عبدالله بن عمر وحفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها أجمعين، ومقام الصديق رضي الله عنه أعلى من هذه الحزبية البائسة التي يتحدث عنها الكاتب بلا بينة أو برهان.

أما أمره مع عموم الصحابة رضي الله عنهم، فهو ما ادعاه من شق عثمان رضي الله عنه ومن تبعه لعصا الطاعة والهجرة إلى الحبشة بلا أمر أو توجيه من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، مدعيا أيضا أن الزبير بن العوام رضي الله عنه ^(١) تبع عثمان بن مظعون رضي الله عنه ^(٢).

فقد ادعى أن الخلافات في الرأي أدت للهجرة إلى الحبشة ^(٣)، ومرد الخلافات لوجود عداوة بين عثمان بن مظعون وأبي بكر وعمر رضي الله عنهم، أو ما أسماه الكاتب جماعة أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين ^(٤). وللدرد على ذلك أقول: بأن هذا مردود على الكاتب لمخالفته صريح الروايات التي أثبتت أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة.

فكما هو واضح من الرواية بأن سبب الهجرة، هو الظلم، وسبب اختيار المكان هو وجود ملك لا يظلم عنده أحد، كما سنبينه تاليا.

هناك حقيقة لم يستطع الكاتب تلمسها، وتلك الحقيقة هي مراتب الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فحين تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة لم تكن المسألة قوة عدة ولا عتاد، وإنما هي رتبة الصديق رضي الله عنه بين الصحابة رضي الله عنهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٥) قال: لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم بلغ أهل مكة الخبر، قال: فسمع أبو قحافة رضي الله عنه

في مكة، محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ١٧٨.

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبدالله حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته أمه صفية بنت عبدالمطلب وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى كانت أمه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبدالمطلب واكتنى هو بابنه عبدالله فغلبت عليه وأسلم وله اثنتا عشرة سنة وقيل ثمان سنين ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ذكر من اسمه الزبير ، ج : ٢ ، ص : ٤٥٧ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٢٤٣.

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٢٤٤.

(٤) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٢٤٢.

(٥) أبو هريرة الدؤيبى اليماني، صاحب رسول الله وحافظ الصحابة، اسم أمه ميمونة بنت صخر ، تهذيب التهذيب ، أبو هريرة ، ج : ٦ ، ص : ٥٠٥ .

=

الهائعة، فقال: ما هذا؟ قالوا: توفي النبي ﷺ قال: أمر جليل، فمن قام بالأمر من بعده؟ قالوا: ابنك، قال: ورضيت بنو مخزوم وبنو المعيرة؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: اللهم لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت. فلما كان عند رأس الحول توفي أبو بكر ﷺ قال: فبلغ أهل مكة الخبر فسمع أبو قحافة ﷺ الهائعة، فقال: ما هذا؟ قالوا: توفي ابنك، قال: أمر جليل والذي كان قبله أجل منه، قال: فمن قام بالأمر بعده؟ قالوا: عمر بن الخطاب ﷺ قال: هو صاحبه (١).

* الإضطهاد عند وات:

في مسألة اضطهاد المشركين للمسلمين، يشكك (وات) في أنها كانت بالعنف الذي تشير إليه المصادر.

وينفي أن تكون بالشدة التي يعرفها الناس جيلا بعد جيل، وهو بذلك يمهد لنفي أن يكون سبب هجرة المسلمين إلى الحبشة بسبب الاضطهاد.

وإنما السبب الحقيقي، هو معارضة سياسة أبو بكر الصديق ﷺ وفريق معه (٢) فقال: " كان هناك انقسام حاد في الرأي بين الجماعة الإسلامية الناشئة أي جماعة عثمان بن مظعون ﷺ ومن معه، منافسة لجماعة أخرى يتزعمها أبو بكر ﷺ ".

ثم يدعى بأن من تعرض للاضطهاد " لا يمكن أن نطلق عليهم ضعفاء " (٣) معللا ذلك بأنهم من بين أكثر الأسر نفوذا.

وللدرد على ذلك أقول:

يضطرب الكاتب لإثبات وجهة نظره هذه، فكيف نسلم له بذلك، وقد قال ذكر نجاح رسول الله ﷺ في دعوته لقومه، مغلفا إياه بغلاف من الفشل، ومبررا ذلك الفشل بتوافه الأسباب.

فيقول بأن " النجاح الأصلي الذي أحرزه محمد ﷺ كان قليلا بسبب تواضع أنساب من اتبعوه في وقت من الأوقات ثم انشقوا عنه " (٤)، فتارة يذكرهم بأنهم من أكثر الأسر نفوذا، وتارة يذكرهم بأنهم

(١) النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، باب أمر النبي ﷺ بخضاب اللحية، ج: ٣، ص: ٢٧٤ .

(٢) هيا العتيبي، تقرير موجز عن المستشرق مونتجمري وات، الدكتور خالد القاسم - جامعة الملك سعود، نقلا عن المستشرقون والسيرة النبوية ص: ٤٦، ٤٩، ومحمد ﷺ في مكة، ص: ١٨٢ - ١٨٩ - ٢٤٢ .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٧٤ .

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢١٧ .

من تواضعت أنسابهم.

ثم أن ابن اسحاق له رأي خلاف ذلك فقال: " فوثبت كل قبيلة على من منها من المسلمين " (١)، بمعنى أن كونهم من بين أكثر الأسر نفوذا لم يفدهم ضرا ولا نفعاً. لأن هذه الأسر تخلت عنهم، ومن تخلت عنه أسرته لا يوصف بالقوي، بل لفظ ضعيف هو أصدق ما يوصف به.

كما أن الكاتب أكد هذا المعنى في موقع آخر مناقضا نفسه بنفسه فقال: " وقد شرح ابن سعد لفظ المستضعفين قائلا: " أنهم الذين لا عشيرة لهم تحميهم"، ولا بد أن الزهري قد أخذ أيضا بهذا المعنى " (٢).

فما بالك بمن كانت عشيرته وقبيلته قد رفعت يديها عن حمايته، بل وهي التي تمنع في إيدائه، فما هو أفضل من كلمة ضعفاء تطلق عليهم.

وقد ذكر أن من القبائل من ترفع يدها عن بعض من انتسب إليها وتسميهم بالخلعاء كما ذكر وات أن ادعاء التركيز على ذلك يعطى انطبعا خاطئا (٣)، بقوله: " أما قول عروة بن الزبير أنهم هاجروا للمدينة هربا من الاضطهاد، فالتركيز على ذلك يعطى انطبعا خاطئا ". وأوضح مسبقا أن هذا الدافع غير مقنع، " لشدة تمسك هؤلاء المهاجرين بالإسلام، كما أن بقاءهم في مكة وصبرهم على الأذى كان من شأنه أن يقدم نموذجا ملهما للآخرين " (٤).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج: ٣، ص: ٤٩، الطبري في تاريخه، ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله ﷺ عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإرساله جبريل ﷺ إليه بوحيه، ج: ٣، ص: ١٦٤، ابن هشام في السيرة النبوية، ج: ٢، ص: ٨٣، ابن اسحاق، السيرة النبوية، من عذب في الله بمكة من المؤمنين، ج: ١، ص: ١٤٢ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٨٧ .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩٠ .

(٤) نعمات محمد عبد الرحمن الجعفري، " العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ٢٠٧ - عند الشيخ ص: ٢٤٨ مع اختلاف في الألفاظ، في ترجمة الدكتور الشيخ: " بعضهم كانوا من المسلمين الصامدين المتمسكين بإسلامهم، وربما لم يكن من الممكن إغواؤهم، وردهم عن دينهم، ألم يكن من الأفضل أن يظلوا في مكة مع أقرانهم، ألم يكن هذا ادعى لشدة أزر المسلمين الآخرين ورفع معنوياتهم "، محمد ﷺ في مكة، ص: ٢٤٠، وفي موضع آخر: " فكل الشواهد تجعلنا نفترض أن الاضطهاد لم يكن عنيفا، فما ذهب إليه الباحثون الغربيون من اتهام بأن الحديث عن اضطهاد المسلمين عرض بشكل مبالغ فيه، هذا الاتهام لا يكاد ينطبق على المصادر الأولى، وربما كانت الأسئلة الرئيسية للمبالغة هي تلك التي تتناول الحالات التي تبين تمسك الشخص

وللد علي ذلك أقول: بأن تمسك الصحابة رضي الله عنهم بالإسلام هو سبب لتركهم ما سواه من الأوطان والأهل والعشيرة والتجارة.

أما صبرهم على الأذى، فقد كان الإضطهاد والتعذيب لا طاقة لأحد به، وما نوه إليه بأنهم ملهمين للآخرين، قد يكون سببا لافتتان الآخرين في حال ما افتتنوا هم أنفسهم، فيكون الملهمين سببا لفتنة الآخرين إذا لم يثبتوا.

أضف إلى ذلك تشكيكه في حقيقة الإضطهاد الذي تعرض له المسلمون الأوائل في مكة، على أساس أن الرواية التي نقلت لنا هذا الإضطهاد كان وراءها دافع قبلي.

لأن راويها عروة بن الزبير رضي الله عنه ينتمي إلى بطن معاد لبني أمية الذين نسب إليهم الدور الأكبر في هذا الإضطهاد، بهدف تشويه سمعتهم^(١).

وللد علي ذلك أقول: خالف الكاتب نفسه فيما ذكر في المقدمة حين استعرض أهمية المصادر التاريخية والحديثية التي رجع إليها.

فقال عن تاريخ الطبري: "ومن بين مصادره العامة يملك الطبري مصدرا مباشرا هو عروة بن الزبير مات ٩٤ هـ، الذي خلف لنا مواد مكتوبة لم تحفظ في مكان آخر"^(٢).

(يبدو أن إصدار الأحكام بشكل إعتباطي أمر مألوف في بحثه، فكثيرا لا نجد لحكمه أي دليل معتمد، اللهم إلا تخميننا يتحول في عرفه دليلا عن بداية استعمال السند بكتابات عروة، والتي لا تصلح أن تتخذ كدليل في هذا الميدان على خلو الأحاديث من الأسانيد.

وذلك لأن الإقتباسات من كتابات عروة رضي الله عنه لم ترد في تاريخ الطبري فقط، بل وردت في كتب عديدة أقدم من الطبري مثل مسند أحمد)^(٣).

بعقيدته واستعصائه على الردة"، ص: ٢٤٦.

(١) أي: تشويه سمعة بنو أمية، نعمات محمد عبد الرحمن الجعفري، "العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد رضي الله عنه في مكة، محمد رضي الله عنه في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت، ص: ١٨٨، محمد رضي الله عنه في مكة، ص: ٨، ٤٣، ٢٤٣.

(٢) محمد رضي الله عنه في مكة - ص: ٨، ٤٣، ٢٤٣.

(٣) نعمات محمد عبد الرحمن الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابيه محمد رضي الله عنه في مكة، محمد رضي الله عنه في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ١٨٩، أنظر عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، =

كما أن مصادر السنة روت ذلك عن غير طريق عروة، فروى ذلك البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه.

فنقض ذلك بين واضح من جهتين:

الأولى: من جهة من كتب قبل الطبري.

والثانية: من جهة من روى غير عروة.

ويجتمعات مسألة الاضطهاد هذه بقوله: " يؤيد القرآن... أن اضطهاد المسلمين كان من النوع المعتدل، ولم يكن يتضمن أية أفعال تمنعها الأعراف منعا حادا"، ويقول أيضا: " لكننا لا نكاد نجد شيئا يستحق حقيقة أن نسميه اضطهادا" (١).

بل وفي معرض حديثه عن الإضطهاد يقول: " فالنشاط المعادي الأساسي كان يطلق عليه اسم " الكيد"، " المكر"، وهي كلمات تعني حبك المؤامرات باستخدام حدة الذهن، وربما كانت من النوع الخطر" (٢).

ويذكر أيضا في مسألة الإضطهاد أنها " كانت دائما في النطاق المشروع، وقد تؤدي إلى إختلاق الأكاذيب وإلحاق خسائر، لكن ليس هناك برهان أكيد على أن المعارضة تحولت إلى اضطهاد" (٣). وللدرد على ذلك أقول: (أهمل وات حين رفض أن يكون الدافع للهجرة إلى الحبشة الأذى والاضطهاد الذي شنه كفار قريش على المسلمين الأوائل، جميع الأدلة القرآنية التي تنقض رأيه ذلك، فالإسلام ينص على اضطهاد المشركين للمسلمين قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ فَأَوْبِنَكُمْ وَيَأْتِدَكُمْ بِبَصَرِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤).

وحته للمسلمين الذين استضعفوا واضطهدوا من قبل قريش على الهجرة من مكة، حيث وصلوا إلى العجز عن القيام بشعائر دينهم بحرية وأمن ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً

ص: ٩٥، رواه البخاري في صحيحه، ١٣٢٢/٣، ٣٤١٦.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٥٤.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٦٨.

(٤) سورة الأنفال - الآية: ٢٦.

فَهَاجِرُوا فِيهَا ﴿١﴾ (٢).

ترى ما هي الآيات الواردة في القرآن الكريم وتثبت أن الإضطهاد الذي تعرض له الصحابة الكرام ﷺ كان معتدلاً.

ضرب، شتم، حثو التراب، حصار دام ثلاث سنين، دخول تحت حماية أناس ليسوا من قبيلته، بل ومحاولات للقتل... كل هذا ولا يعد إضطهاداً.

جعل وات أمر الإضطهاد راجع للعرف السائد، ثم رفض كل الأدلة والروايات ممن عاصر هذا الحدث، والتي وردت بأن العرف هذا كان هو الحكم على أن ما تعرضوا له من أشد أنواع الإضطهاد. فمن الذين عاصروا، قول جعفر للنجاشي، ومن الذين رووا، أقوال عروة وابن هشام والطبري، فهذا موقف من سلف.

أما موقف المعاصرين، فأن حقوق الإنسان التي يتشدد بها الغرب تجيز أياً من هذه الأفعال، فعلى أي عرف بني وات حكمه بأن العرف لم يمنع ذلك؟

ليت وات في بداية بحثه عرف لنا الاضطهاد، ليتسنى القياس عليه، إذ الظاهر من كلامه، أن الإضطهاد بعد كل ما ذكرنا، إنما هي كلمة خيالية لا تنطبق على الواقع الذي نعيشه الآن.

* الهجرة إلى الحبشة:

عادة ما تتطلب الدعوات وهي تعيش على المحك بين حياتها وموتها إلى قرار صعب يقبل الموازين لصالحها، ومن هذا الباب اتخذ الرسول ﷺ لأصحابه قرار الهجرة إلى الحبشة. ذلك البلد البعيد الذي يحكمه ملك عادل، أمر بالهجرة أشرف أصحابه؛ لضمان سلامتهم، وحسن استقبالهم، ومن أجل إنصاف الناس هناك في الحبشة لدعوتهم^(٣).

السبب الأول في الهجرة التي قررها رسول الله ﷺ: هو حماية الدعوة بمعنى أن الرسول ﷺ أراد أن يجعل للدعوة محضناً آخر غير مكة، بحيث إذا استؤصل الدعوة في مكة، تبقى طائفة أخرى في مكان

(١) سورة النساء - الآية: ٩٧.

(٢) نعمات الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونجمري وات، في كتابه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص - ٢١٤.

(٣) محاضرات مقروءة للشيخ راغب السرجاني سلسلة السيرة النبوية، هجرة الحبشة الأولى الرابط:

<http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=208017>

آخر لاستمرار الدعوة.

إذاً: الهجرة إلى الحبشة كانت لإنشاء مركز جديد للدعوة يضمن لها الاستمرارية والبقاء، وكانت وسيلة جديدة في مواجهة أساليب البطش في أرض مكة^(١).

لكن وات في كتابه يحاول إبراز أسباب الهجرة للحبشة خلافاً لذلك:

فتارة يدعى أن " الخلفاء في الرأي أدت للهجرة إلى الحبشة " ^(٢)، وأن الحزب الذي كان يتزعمه أبو بكر كان يلقي معارضة شديدة من عناصر أخرى، وعلى رأسهم عثمان بن مظعون وخالد بن سعيد بن العاص ونعيم بن عبد الله النحام ^(٣).

ثم يرى أنه من المحتمل أن " محمداً ^(٤) عندما علم بهذا الإنشقاق في صفوف المسلمين، رأى أن العلاج إقترح الهجرة إلى الحبشة " ^(٤).

بل ويذهب لأبعد من هذا حين ادعى " أن الهجرة إلى الحبشة لم تكن تنفيذاً لتوجيهات رسول الله ^(٥)، بل تمت بمبادرة قام بها المهاجرون أنفسهم " ^(٥).

وأن ما ورد في المصادر من " أن محمداً ^(٦) هو الذي أمر أصحابه ^(٦) بالهجرة، فإنما ذلك محاولة من المصادر لإخفاء الدوافع الحقيقية لهؤلاء الذين غادروا مكة وتخلوا عنه هناك " ^(٦).

ويستنتج أن " عودة كثير من مهاجري الحبشة إلى محمد ^(٧) قبل الهجرة إلى المدينة، يشير إلى عودة العلاقات بينهم وبينه إلى طبيعتها، ويرى أن هذا الدافع هو من أهم الدوافع وراء الهجرة " ^(٧).

من الفحص الأول لهذا الطرح التاريخي عند وات يتضح لنا بجلاء كيف يلجأ إلى نقض الأسباب

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد ^(٨) في مكة - ص: ٢٤٢، ٢٤٤.

(٣) المرجع السابق - ص: ٢٤٢، ٢٤٣، ولفظه في ترجمة الدكتور الشيخ: " السرعة النسبية لتسوية الأمور مع عثمان بن مظعون والآخرين الذين عادوا إلى مكة قبل الهجرة للمدينة تشير على الأقل إلى أنه لم تكن هناك قطعة كاملة بينهم ومحمد ^(٩)، ص: ٢٤٥.

(٤) محمد ^(١٠) في مكة، وترجمة الدكتور الشيخ: " إنه لما يتفق مع شخصية محمد ^(١٠) أن يعى بسرعة إمكان حدوث شقاق أو خلاف، فيتخذ بسرعة خطوات لیسد الثغرات، ويتحاشى النتائج السيئة، لذا بادر باقتراح الهجرة إلى الحبشة "، ص: ٢٤٤.

(٥) ورغم أن محمداً ^(١١) في هاتين الروايتين هو الذي اتخذ المبادرة، فإن المرء يكاد يفترض أن هؤلاء المسلمين الأوائل قد هاجروا في الأساس لخوفهم من المعاناة - محمد ^(١٢) في مكة، ص: ٢٣٩.

(٦) محمد ^(١٣) في مكة - ص: ٢٤٤.

(٧) المرجع السابق - ص: ٢٠٨ - ٢٤٤، ٢٤٥.

الوجيهة للدوافع التي تثبتها المصادر الحديثية، وعدم اقتناعه بها. وللدرد على ذلك أقول: أما مسألة الخلافات فقد تم التطرق إليها مسبقا في معرض حديثنا عن طعن الكاتب بالصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وأما ما أشار إليه بعودة العلاقات إلى طبيعتها ففي هذه الجزئية يتبادر إلى الذهن سؤال، إن كان الأمر كما يزعم وات بأن العلاقات بينهم وبينه رضي الله عنه عادت إلى طبيعتها، فما الداعي لرجوعهم إلى الحبشة مرة أخرى؟

(وإذا قرأنا نصه القائل فيه: " إن معظم الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا ينتمون إلى بطني مخزوم وعبد شمس، وهذان البطنان هما أساس المعارضة القرشية لمحمد رضي الله عنه وألد أعداء الإسلام. فكان المسلمون من هذين البطنين أشد تعرضا للإضطهاد دون سواهم من مسلمي البطن القرشية الأخرى، ومن هنا اضطروا إلى الفرار إلى الحبشة. يقول وات: " ورغم ما تنطوى عليه هذه النقطة من وجهة ظاهرية قد تغرى بقبول هذا الدافع، إلا أني أرفض الإقتناع به " ^(١).

وللدرد على ذلك أقول: لم يقدم وات لنا تفسيراً واحداً لأوجه عدم إقتناعه، لا نقلية ولا عقلية، سوى أنه عمل على استبدال الحقائق التاريخية الناصعة بأوهام وخيالات يتبناها تفكيره. محاولاً إسقاطها عليها، لتتواءم مع النتيجة التي يريد الوصول لها، وهي أن الرسول رضي الله عنه لم يحقق نجاحاً في بداية دعوته مع أصحابه.

ودليله في ذلك هذه الهوة العميقة من الخلافات، التي حدثت بالنبي رضي الله عنه أن يأمرهم بالهجرة، وقد سبق الرد عليها.

اتبع وات المنهج الإسقاطي للأوهام والخيالات على الوقائع والأحداث التاريخية المروية التي يشهد لها التاريخ بالتسليم.

ومن ذلك أسقاطه خيالاته وأوهامه على الواقع التاريخي لدوافع هجرة المسلمين إلى الحبشة في العام الخامس من البعثة بعد ان اشتد عليهم أذى مشركي مكة فرارا بأنفسهم ودينهم من اضطهادهم.

(١) نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابه محمد رضي الله عنه في مكة، محمد رضي الله عنه في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ص: ٢٠٨، محمد رضي الله عنه في مكة - ص: ١٧٨، ٢٣٩، ٢٤٠ بألفاظ أخرى في ترجمة الشيخ: " وحتى هذا السبب الثاني غير مقنع بما فيه الكفاية ".

واستجابة لأمر الرسول ﷺ الذي اختار لهم الحبشة مهجرا لهم لما اشتهر به ملكها من صفات العدل ولين الجانب، فضلا عما تتيحه لهم الهجرة من إمكان مزاولة التجارة التي كان يمارسها القرشيون هناك قبل الإسلام.

ولكن وات ينحى بتحليلاته تجاه هذا الواقع التاريخي، رافضا ما اتفقت عليه المصادر القديمة والحديثة بشأن دوافع الهجرة إلى الحبشة، فلا يقبل دوافع الفرار من الإضطهاد والأذى لسببين^(١):

١ - لأنه لا يقر ولا يعترف بشدة الأذى الذي تعرض له المسلمون^(٢).

٢ - استبعاده أن تكون هذه الشخصيات المتميزة المكانة قد هاجرت بدافع الأذى وأنه لو صح ذلك لكان الأولى بهم أن يعودوا بمجرد أن وجد الرسول ﷺ وصحبه ملاذا آمنا في المدينة، ولكن بعض المهاجرين استمروا في الحبشة حتى العام السابع للهجرة^(٣).

وتبرير ذلك، أن هجرتهم لم تكن منهم ابتداء، وإنما كانت بأمر من رسول الله ﷺ، للأسباب التي ذكرناها، ولم يكن لهم أن يرجعوا باجتهاد منهم، وإنما بأمر منه ﷺ أيضا.

ويرفض وات أيضا الدافع الثاني، وهو الدافع المادي الذي يقوم على فكرة أن المسلمين هاجروا سعيا وراء الإشتغال بالتجارة^(٤).

كما رفض الدافع الذي أثاره الغريون^(٥) من أن محمدا ﷺ أمرهم بالهجرة ليحول بينهم وبين خطر الإرتداد عن الإسلام لو استمر ذلك الاضطهاد.

وله تحليل آخر يدعى فيه أن الهجرة كانت رغبة من محمد ﷺ في تحويل الحبشة إلى قاعدة لمهاجمة تجارة مكة^(٦).

وتارة يدعى أن السبب في ذلك هو محاولته ﷺ الحصول على دعم عسكري من الحبشة ليتمكن

(١) قمنا بالرد على هاتان الجزئيتين سابقا ص: ٦٧.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٦، ٢٤٨.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤٠.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤١ بنص " كانت محاولة للوصول إلى طريق تجاري بديل يتجه من الجنوب إلى الإمبراطورية البيزنطية، حتى يكسر الإحتكار الذي يمارسه المكيون على طريق التجارة "

(٥) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٣٩.

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤١.

من السيطرة على مكة^(١).

إن الدوافع التي قررها وات هنا لا تستند إلى دليل، بل هي أقرب إلى الخيال من الحقيقة، إذ من المستبعد أن يدور بخاطر محمد ﷺ أن يتطلع إلى مساعدة عسكرية من الحبشة وهو في بدء الدعوة ولم يؤذن له بالقتال.

ولم يؤمر ﷺ إلا بتبليغ الدعوة، قال: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، ومهما حصل عليه من مساعدة عسكرية فالبون شاسع بين قوته وقوة المشركين.

وعلى فرض أنه ﷺ يريد المساعدة العسكرية، فلماذا يرسل الأطفال والنساء والشيخوخ؟ ألا يكفي إرسال بعث من أربعة أو خمسة رجال للحصول على الموافقة للمساعدة العسكرية^(٣)؟ وهل كانت علاقات وطيدة بين الرسول ﷺ وبين النجاشي ﷺ، تجعله يطمح ويأمل بأن يحظى بموافقة النجاشي ﷺ لتحويل بلده إلى قاعدة عسكرية تخوض حرباً ضد قوة قريش، لا علاقة لها ولا دافع له فيها^(٤)؟

وما الأدلة التي استند عليها وات على الإنقسامات والخلافات الحادة التي يدعى وجودها بين صفوف المسلمين، وما طبيعتها؟ وما دواعيها وأسبابها؟ ثم أنه ﷺ حين علم بتأييد النجاشي ﷺ له، لم يطلب منه تلك القوة العسكرية، ولم يطلب تأييده له، أو إرسال قوة خاصة لحمايته.

لا جواب لوات في طرحه لهذه القضية على أي من هذه الأسئلة، لأن تحليلاته فيها مبنية على أوهام وتحليلات أسقطها على هذا الواقع التاريخي بلا دليل صحيح أو قرينة علمية موثوقة^(٥). ومن باب إعطاء الكاتب حقه، يذكر أنه أثنى على رسول الله ﷺ في حسن تدبيره لأمر هجرة أصحابه إلى المدينة فقال: " وربما ترجع أسباب محمد ﷺ لانتظاره لوصول غالبية أتباعه إلى المدينة إلى:

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٤١.

(٢) سورة الحجر - الآية: ٩٤.

(٣) كما فعلت قريش حيث أرسلت عمرو بن العاص ﷺ وآخر للمطالبة بالقرشيين المهاجرين إلى الحبشة، فهذه أصول السياسة، لا كما ادعى وات.

(٤) لا سيما وأن الحبشة قريية عهد بمحاذة أبرهة والفيل حين غزا الكعبة.

(٥) أنظر نعمات محمد الجعفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات، في كتابه محمد

ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، ص: ٢٠٦ - ٢٠٩.

- * رغبته في التأكد من أن المترددين لم يمنعهم ترددهم من إكمال الشوط.
- * وليتأكد من أنه سيكون في موقف قوي ومستقل.
- * وألا يكتفى بالاعتماد على مسلمي المدينة وحدهم عندما يصل إلى المدينة (١).

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٢٩١، سبق الإشارة لهذه الجزئية ص: ١٢١ أيضا، عند الحديث عن رسول الله ﷺ ومدح
وات له.

المبحث الرابع: العرب وقريش.

يعتبر العرب والمسلمون هم المركز الذي تدور حوله دراسات الاستشراق أكثر من بقية الأمم والشعوب.

والدراسات التي تناولت الإسلام والمسلمين، تختلف عن تلك الدراسات لبقية أرجاء الشرق، ولعل هذا لافت للنظر.

- لماذا تتسم الدراسات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بالتحيز والتعصب والغضب^(١) ؟
- ولماذا لا تتسم بذلك الدراسات عن البوذية مثلاً، أو الهندوسية، أو الثقافات الأخرى، أو الحضارات الأخرى كالصين مثلاً؟

● ولماذا عندما تختص القضية بجانب إسلامي، أو بجانب يتصل بمجتمعات إسلامية، عندئذ تظهر جذور الإنفعالات المختلفة والعصبية المتنوعة والغليظ^(٢)؟

بداية وقبل الولوج في خضم هذا المبحث وجب علينا لزاماً أن نزيل إيهاماً ألقى به الكاتب في ثنايا كتابه حين ذكر أن " كلمة العرب تعني البدو "^(٣).

وسبب التفصيل في هذه المسألة دون ترجيح قول على آخر، هو إظهار الخطأ الجسيم الذي ارتكبه وات حين أطلق هذا الحكم، وعليه كان لزاماً إظهار الفرق بين العربي والأعرابي، والبدوي والحضري.

فالعرب: هم الأقوام الذين يتحدثون اللغة العربيّة، ويرجع نسب بعضهم إلى القبائل العربية المعروفة.

والأعراب: هم سكان البادية من العرب، يقول سيبويه^(٤) : الأعراب بالفتح: هم سكان البادية

(١) لعل السبب في ذلك كون الإسلام ليس بحضارة بل هو دين سماوي ، الأصل فيه دعوة الغير لما في الإسلام من خير .

(٢) أكرم ضياء العمري، موقف الاستشراق من السنة والسير النبوية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الدعوة - نقلاً من الشبكة الإسلامية عن إدوارد سعيد.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٧١.

(٤) إمام النحو، حجة العرب، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، ثم البصري. وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه. استملى على حماد بن سلمة، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل، وأبي الخطاب الاخفش الكبير. وقيل: عاش اثنتين وثلاثين سنة، وقيل: نحو الاربعين. قيل: مات سنة ثمانين ومئة، وهو أصح، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومئة ، سير أعلام النبلاء ، ملوك الأندلس ، ج : ٧ ، ص : ٥٨٣ .

خاصة، والنسبة إليه أعرابيّ، تقول في الأعراب: أعرابيّ أنه ليس له واحد من لفظه على هذا المعنى. يقول حافظ إبراهيم^(١): الفارق بين العربي والأعرابي، العربي: هو كل من نسب إلى العرب وإن لو يكن من البدو، أما الأعرابي: هو من سكن البادية من العرب.

وقال ابن الأثير في كتابه "النهاية في غريب الحديث": الأعرابيّ هو البدوي وجمعه أعراب. وقال ابن عزيز^(٢) يقال: رجل أعرابي إذا كان بدويا وإن لم يكن من العرب، ورجل عربي إذا كان منسوباً إلى العرب وإن لم يكن بدويا.

قال ابن قتيبة^(٣): الأعرابي لزيم البادية والعربي منسوب إلى العرب^(٤). فالعربي: الذي يسكن المدن والقرى الحاضرة، والأعرابي: صاحب العامود الذي يسكن البادية. ولا فرق بين العربي والأعرابي، إلا أن الأخير على فطرته لم يختلط بالأعاجم فلسانه فصيح ليس فيه لكنة ولا تشوبه عجمة.

ولهذا... كانت قريش تبعث الغلمان إلى بادية بني سعد ليتعلموا العربية الفصيحة فمكة بلد حاضرة كانت مظنة للاختلاط بغير العرب، ويفد إليها التجار من كل الأصقاع. ولهذا نجد أن المعاجم والقواميس العربية جمعت من أفواه الأعراب، جمعها العلماء كأمثال:

(١) محمد حافظ إبراهيم ولد في محافظة أسيوط 24 فبراير 21 - 1872 يونيو 1932 م. شاعر مصري ذائع الصيت. عاصر أحمد شوقي ولقب بشاعر النيل وبشاعر الشعب.

(٢) لم أفف له ترجمة لعدم معرفة الاسم كاملاً ، ولوجود العديد من أهل العلم ممن يسمى ابن عبد العزيز .
(٣) ابن قتيبة العلامة الكبير، ذو القنون أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المرزوي، الكاتب، صاحب التصانيف. نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته. قال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي: مات أبو محمد بن قتيبة فجاءه، صاح صيحة سمعت من بعد، ثم أغمى عليه، وكان أكل هريسة، فأصاب حرارة، فبقي إلى الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فما زال يتشهد إلى السحر، ومات - سأل الله - وذلك في شهر رجب، سنة ست وسبعين ومائتين. سير أعلام النبلاء ، الطبقة الخامسة عشر، ج : ١٠ ، ص : ٦٢٥ .

(٤) سيبويه، الكتاب الجزء السادس، من ويكي مصدر.

سيبويه، قطرب (١)، الأصمعي (٢) وأبي زيد الأنصاري (٣)، وغيرهم ممن كانوا يرتحلون للبوادي فيجمعوا كلام الأعراب وأشعارهم (٤).

أما الفرق بين العرب والأعراب من الناحية الدينية أجد أن هناك فرق وملاحظ من الآيات والأحاديث.

فمثلا قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ الآية (٥) هنا الكلام أطلق على الأعراب وخص بهم.

وأيضا فيه مقارنة فهم أشد كفرا ونفاقا من من؟ من هو المقارن مع الأعراب.

نذهب إلى حديث آخر، وهو قوله ﷺ: " لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب " (٦)، هنا الرسول ﷺ يحذر العرب من كلام الأعراب.

وحديث آخر وهو قوله ﷺ: " قد كنت نھيت عن طعام الأعراب؟ "، قال ﷺ: " يا عائشة إنهم ليسوا بأعراب، هم أهل باديتنا، ونحن أهل حاضرتهم وإذا دعوا أجابوا، فليسوا بأعراب " (٧).

هنا نفهم أن كل أعراي بدوي، وليس كل بدوي أعراي، حيث نھی النبي ﷺ عن طعام الأعراب،

(١) فُطْرُبُ النَحْوِيّ هُوَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسْتَنِيرِ، أَحَدٌ مِنْ اِخْتَلَفَ إِلَى سَيْبُوِيَه وَتَعَلَّمَ مِنْهُ، وَلَمْ يَقْرَأْ كِتَابَهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَدُلُّجُ إِلَيْهِ، وَإِذَا خَرَجَ رَأَى عَلَى بَابِهِ غَدُوَّةً وَعَشِيَّةً، فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ إِلَّا فُطْرُبُ ائِبِلِ! فَلَقَّبَ بِهِ. - قال ابن دريد: قطرب وقطروب ذكر الغيلان. قال: ولغة أزدية يسمون الكلاب الصغار القطارب. وقال ثعلب: القطرب دويبة كثيرة الحركة وهو الصرار. ومات فُطْرُبُ فِي سَنَةِ سِتِّ وَمِائَتَيْنِ. نور القبس، للمرزباني، ج: ١، ص: ١٧٦.

(٢) عَبْدُ الْمَلِكِ بَنُ فُرَيْبِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَلِيِّ الْبَاهِلِيِّ، أَبُو سَعِيدِ الْأَصْمَعِيِّ الْبَصْرِيِّ صَاحِبُ اللَّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْغَرِيبِ وَالْأَخْبَارِ وَالْمَلْحِ وَالنَّوَادِرِ، وَقِيلَ: إِنَّ فُرَيْبًا لَقَبٌ وَاسْمُهُ عَاصِمٌ، وَكُنِيَّتُهُ أَبُو بَكْرٍ. قال أبو سعيد السِّيرَافِي. قال أبو العِيَاءِ: تُوَقِّي الْأَصْمَعِي بِالْبَصْرَةِ وَأَنَا حَاضِرٌ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَمِئَتَيْنِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ. تَهْدِيبُ الْكَمَالِ، عبد الملك، ج: ١٢، ص: ٧٨.

(٣) لم أقف له على ترجمة، لوجود كثير ممن تسمى بأبو زيد الأنصاري.

(٤) موقع ملتقى أهل الحديث: <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=185927>.

(٥) سورة التوبة - الآية: ٩٧.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، باب وقت العشاء وتأخيرها، ج: ٥، ص: ١١٧، برقم: ١٤٠٥، مسلم في صحيحه نفس الباب، ج: ٥، ص: ١١٧، برقم: ١٤٠٥.

(٧) رواه أحمد في مسنده، مسند السيدة عائشة رضي الله عنها، ج: ٧، ص: ١٩١، برقم: ٢٤٦١٧، الهيتمي، مجمع الزوائد، باب ثواب الهدية والثناء والمكافأة، ج: ٤، ص: ٢٦٤، برقم: ٦٧٣٣، النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، باب لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، ج: ٤، ص: ١٤٢، برقم: ٧٢٤٦، بشار وآخرون، المسند الجامع، كتاب الأطعمة والأشربة.

وقبلها من أهل باديته كما في الحديث.

أما من ناحية الفصاحة، فالقرآن نزل بلسان عربي، ولم يقل أعرابي، ففي البخاري " فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم أن ينسخوها في المصاحف.

وقال لهم: " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عريية من عريية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم " ففعلوا^(١)، ولم يتم اعتبار الأعراب في هذا الأمر إطلاقاً، ولا يمكن.

وأما علماء اللغة المتأخرين فلا حجة في فعلهم، وربما كانوا يبحثون عن أناس لم يخالطوا الأعاجم.

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن... ما سبب طعن الكاتب في العرب عامة، وفي قريش خاصة؟

ما هي علة وصفه لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم بأنها دعوة لوحدة سياسية عربية، فقال أنه صلى الله عليه وسلم: " يتطلع إلى

درجة من الوحدة السياسية بين العرب لم يسبقه إليها أحد من القادة العظام في الجاهلية "^(٢).

ما السبب وراء ما ألقى به الكاتب في ثنايا كتابه، وهو زعمه بأن " المفهوم عند العرب بأنهم

أمة واحدة، وما تبع ذلك من أنهم مميزون عن باقي الشعوب وأعلى منهم " في مخالفة صريحة لكتاب الله

تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

وللرد على ادعاءات الكاتب أقول: بين الله تعالى من المميز، فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْقَىكُمْ﴾^(٣).

بل وزاد الأمر تفصيلاً رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: " لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا

بالتقوى " ^(٤).

بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقر تولية مولى من الموالى على رجال قريش لمقامه الديني، لا لمقامه

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب، ج: ٤، ص: ١٢٩١، برقم: ٤٩٨٤، البيهقي في سننه،

باب الدليل على أن ما جمعه الصحابة رضي الله عنهم كله قرآن، ج: ٢، ص: ٣٣٥، برقم: ٢٤١٣، ابن أبي داود، المصاحف، جمع عثمان

رضي الله عنه المصاحف، ج: ١، ص: ٢٠٠.

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٧١.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣ .

(٤) أحمد في مسنده، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ج: ٦، ص: ٥٧١، برقم: ٢٣١٠٥، الهيثمي، مجمع الزوائد، باب

الخطب في الحج، ج: ٣، ص: ٥٨٦، برقم: ٥٦٢٢، المتقى، كنز العمال، ج: ١، ص: ٥٨٢، برقم: ٨٥٠٢.

الاجتماعي، وأصل ذلك ما رواه مسلم أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ (١) لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ (٢) ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟
فَقَالَ: ابْنُ أَبِي (٣) ؟ قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبِي؟ قَالَ: مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ: فَاسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى؟

قَالَ: إِنَّهُ قَارِءٌ لِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ قَدْ قَالَ: " إِنْ اللَّهُ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ " (٤).
إِنْ مِنَ الْمُؤَسَّفِ أَنْ أَعْدَاؤُنَا عَلِمُوا مِنْ أَيْنَ نَوْتِي، وَمَا هُوَ سِرٌّ قَوْتُنَا لِيَنْقُضُوا عَلَيْهِ بِخَيْلِهِمْ وَرَكَابِهِمْ طَاعِينَ فِيهِ.

وأنا هنا لست أدعو لقومية بائسة ولا لعروبة زائفة، وإنما أفصل في المسألة لبيان مواقع انتقاص العرب العامة والخاصة.
ورد عند البخاري في الأثر قول عمر بن الخطاب ﷺ: " وَأَوْصِيهِ بِالْأَعْرَابِ حَيْرًا فَإِنَّهُمْ أَضَلُّ الْعَرَبِ وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ " (٥)، فبالطعن في العرب بداية طعن بمادة الإسلام.

(١) نافع بن عبد الحارث بن جبالة بن عمير الخزاعي، له صحبة ورواية، استعمله عمر بن الخطاب ﷺ على مكة، وفيهم سادة قريش، فخرج نافع إلى عمرو واستخلف مولاة عبد الرحمن بن أبي، فقال له عمر: استخلف على آل الله مولاك فعزله، وولى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، وكان نافع بن عبد الحارث من كبار الصحابة وفضلائهم، وقد قيل: إن نافع بن عبد الحارث أسلم يوم الفتح، وأقام بمكة ولم يهاجر. الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، باب من اسمه نافع ، ج : ٤ ، ص : ٥٤ .
(٢) عُسْفَانَ بضم أوله، وإسكان ثانيه: قرية جامعة وهي لبني المصطلق من خزاعة: وهي كثيرة الآبار والحياض. روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ صَلَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَضَجَّانَ. وروى جابر أن النبي ﷺ، كان بعُسْفَانَ والمشركين بينه وبين القِبْلَةِ، فَصَلَّى بِهَمْ صَلَاةَ الْخَوْفِ. معجم ما استعجم ، العين والسين ، ج : ٣ ، ص : ٢٤٧ .

(٣) عبد الرحمن بن أبي الخزاعي، مولى نافع بن عبد الحارث الخزاعي، سكن الكوفة، واستعمله علي على خراسان، وأدرك النبي ﷺ وصلى خلفه، أكثر روايته عن عمر، وأبي بن كعب، وقال فيه عمر بن الخطاب: عبد الرحمن بن أبي ممن رفعه الله بالقرآن. الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، باب من اسمه عبد الرحمن ، ج : ٢ ، ص : ٣٦٦ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، ج: ٦، ص: ٨٢، برقم: ١٨٤٧، أحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب ﷺ، ج: ١، ص: ٥٨، برقم: ٢٣٤، الدارمي في سننه، باب إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ج: ٢، ص: ٤٤٣، برقم: ٣٣٦٣، وسبق التطرق لهذه العبارة والرد عليها أيضا سابقا ص: ١٢٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه: باب قصة البيعة، والاتفاق على عثمان بن عفان ﷺ، ج: ٣، ص: ١٣٥٣، برقم: ٣٦١٨، ابن حبان، باب رضا المصطفى ﷺ على عثمان بن عفان ﷺ، ج: ٦، ص: ٢٦٢، برقم: ٦٨٠٣، البيهقي في سنن البيهقي، باب من جعل الأمر شورى بين المستصلحين، ج: ١٢، ص: ٢٧٥، برقم: ١٦٩١٤.

=

ذكر وات بأن " البدوي لا يرى في السرقة أي جريمة "(١)، بل اعتبر أن " شن الغارات هو الرياضة القومية للعرب "(٢) .

بل ويقول أيضا: " لا تتناسب مثل المروءة البدوية مع المجتمع التجاري "، ويوميء بخصال سيئة حين أتبع ذلك بقوله بأن: " النجاح في مضمار التجارة والمال مرتبط بإهمال الضعيف وتوثيق عرى الصداقة مع القوي "(٣).

وللد على ذلك أقول: لا يستقيم الكلام مع واقع الحال، فمبادئ الأمانة، مهمة في كل المجتمعات بدوية كانت أو حضرية، والتاجر الناجح لضمان نجاح تجارته فهو حريص على توزيع إهتماماته كل بحسب قدره، لا كما زعم الكاتب بأن إهمال الضعيف سبب من أسباب النجاح. كما أن الكاتب بذلك أعطى حكما عاما على أهل البادية كلهم، متناسيا سبب عقد حلف الفضول وسبب حرب الفجار (٤) .

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٥٠ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٧٠ .

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٥٥ .

(٤) كان سبب حرب الفجار أن النعمان بن المنذر بعث بلطيمة له إلى سوق عكاظ للتجارة وأجارها له الرجال عروة بن عتبة بن جابر بن كلاب فتزلوا على ماء يقال له أواره فوثب البراض بن قيس أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة وكان خليعا على عروة فقتله وهرب إلى خيبر فأستخفى بها ولقي بشر بن أبي خازم الأسدي الشاعر فأخبره الخبر وأمره أن يعلم ذلك عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة وحرب بن أمية ونوفل بن معاوية الديلي وبلعاء بن قيس فوائى عكاظا فأخبرهم فخرجوا موائلين منكشفين إلى الحرم وبلغ قيسا الخبر آخر ذلك اليوم فقال أبو براء ما كنا من قريش إلا في خدعة فخرجوا في آثارهم فأدركوهم وقد دخلوا الحرم فناداهم رجل من بني عامر يقال له الأدرم بن شعيب بأعلى صوته ان ميعاد ما بيننا وبينكم هذه الليالي من قابل وانا لا نأتلي في جمع وقال :

لقد وعدنا قريشا وهي كارهة *** بأن تجيء إلى ضرب رعايل

قال ولم تقم تلك السنة سوق عكاظ قال فمكنت قريش وغيرها من كنانة وأسد بن خزيمة ومن لحق بهم من الأحابيش وهم الحارث بن عبد مناة بن كنانة وعضل والقارة وديش والمصطلق من خزاعة لحلفهم بالحارث بن عبد مناة سنة يتأهبون لهذه الحرب وتأهبت قيس عيلان ثم حضروا من قابل ورؤساء قريش عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة وحرب بن أمية وأبو أحيحة سعيد بن العاص وعتبة بن ربيعة والعاص بن وائل ومعمر بن حبيب الجمحي وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وخرجوا متساندين ويقال بل أمرهم إلى عبد الله بن جدعان وكان في قيس أبو براء عامر بن مالك بن جعفر وسبيع بن ربيعة بن معاوية النصرى ودريد بن الصمة ومسعود بن معتب الثقفي وأبو عروة بن مسعود وعوف بن أبي حارثة المري وعباس بن رعل السلمي فهؤلاء الرؤساء والقادة ويقال بل كان أمرهم جميعا إلى أبي براء وكانت الراية بيده وهو سوى صفوفهم فالتقوا فكانت الدبرة أول النهار لقيس على قريش وكنانة ومن ضوى إليهم ثم صارت الدبرة آخر النهار لقريش وكنانة على قيس فقتلوهم قتلا ذريعا حتى نادى عتبة بن

وأما ما اعتبره رياضة قومية، فهو معارض لما ذكر آنفا، أضف إلى ذلك أن أحدا من المؤرخين لم يذكر ذلك.

وهو وإن صح جدلا، فلا يعد شيئا مقارنة بما كان في الإمبراطورية البيزنطية النصرانية واقتتال البشر مع الأسود، واقتتال العبيد مع بعضهم البعض حتى الموت. وهذا ليس من باب الرياضة، بل من باب التسلية، فأني افتراء يدلي به الكاتب ها هنا على العرب؟

وبالنظر لما أورده وات في كتابه حول قريش، فبداية ذكر أنه: "كان من عادة الطبقات العليا في مكة أن تدفع بأبنائها إلى حاضنات من القبائل البدوية حتى ينمو الطفل في جو الصحراء النقي فيغدو قوي البنية"^(١).

وللد على ذلك أقول: يشعرا وات من خلال هذه العبارة بوجود تلوث بيئي في مكة في ذلك الزمان دفع أهل مكة بسببه أبناءهم لينموا في الجو النقي. والأمر خلاف ذلك، فهو بالفعل يغدو قوي البنية لطبيعة الصحراء، ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد، كما أفرد وات.

فعادة العرب أن يرسلوا أبناءهم ليعودوهم خشونة العيش، وليتعلموا الفروسية وفنون القتال، وليتعلموا طبائع العرب وكرمهم وعاداتهم التي لا غنى لهم عنها، سواء في حياة البادية أو الحياة المستقرة. أضف إلى ذلك، رغبتهم بنشوء أبنائهم على لغة الصحراء، اللغة العربية الفصحى، ليسلموا من العجمة واللحن في لسانهم، لأن ذلك من أشد العيوب عند العرب.

وحين تعرض وات لأمر السقاية ذكر تعريفها، فقال: "الإشراف على موارد الماء وتوفيرها للحجاج"، ثم ادعى أنه "كان على الحاج أن يدفع مالا في مقابل استخدام ماء زمزم"^(٢).

ربعة يومئذ وانه لشاب ما كملت له ثلاثون سنة إلى الصلح فأصلحوها على أن عدوا القتلى وودت قريش لقيس ما قتلت فضلا عن قتلاهم ووضعت الحرب أوزارها فأنصرفت قريش وقيس قال رسول الله ﷺ وذكر الفجار فقال قد حضرته مع عمومي ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فعلت فكان يوم حضر بن عشرين سنة وكان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة قال أخبرنا محمد بن عمر قال فحدثني الضحاك بن عثمان عن عبد الله بن عروة عن حكيم بن حزام قال رأيت رسول الله ﷺ بالفجار وقد حضره قال محمد بن عمر وقالت العرب في الفجار أشعارا كثيرة - الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: ١، ص: ٤٤ .

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٩٢ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٥٩ .

وللد علي ذلك أقول: علينا الرجوع للواقع التاريخي لهذه المسألة، حيث أن السقاية لم تكن في زمن قصي ولا بعده، إلى ما قبل مولد الرسول ﷺ بقليل، لأن عمرو بن الحارث سيد جرهم طمر زمزم عندما تأكد من هزيمته أمام خزاعة.

وقد كانت السقاية إلى عبدالمطلب " الذي حفرها " أيام حياته، ثم صارت إلى ابنه أبي طالب مدة.

ثم اتفق أنه أُملق في بعض السنين، فاستدان من أخيه العباس ﷺ عشرة آلاف إلى الموسم الآخر، وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية.

فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء، فقال لأخيه العباس ﷺ: أسلفني أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك.

فقال له العباس ﷺ: بشرط إن لم تعطني، تترك السقاية لي أكفكها، فقال: نعم.

فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطي العباس ﷺ، فترك له السقاية فصارت إليه ثم من بعده صارت إلى عبدالله ولده.

ثم إلى علي بن عبدالله بن عباس ﷺ، ثم إلى داود بن علي، ثم إلى سليمان بن علي ثم إلى عيسى بن علي، ثم أخذها المنصور واستتاب عليها مولاه أبا رزين^(١).

فواقع الرواية أن السقاية كانت للحجيج بلا مقابل، ولم يورد وات ما يثبت عكس ذلك أو ما يؤيد دعواه بكونها كانت تستخدم مقابل مبلغ من المال.

أما حين تعرض لقريش ذكر علو مكانتهم، ورفيع مقامهم من باب التضعيف والاحتمال الذي يبعث على الشك، فقال: " وقد قيل أن قريشا سادة العرب، وأن الخلافة لا تكون في غيرهم "^(٢).

وللد علي ذلك أقول: بأن ما أورده الكاتب ليست مقولة تروى من باب التضعيف، وإنما هي من قول النبي الكريم ﷺ^(٣).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، باب جماعة من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى ﷺ، ج: ٢، ص: ٢٤٤ .

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٦١ .

(٣) طربي حديث... الأول: " قريش سادة العرب وقيس فرسانها وتميم رحاها " رواه الرامهرمزي في أمثال الحديث ١/١٤٨، المتقى، كنز العمال المجلد الثاني عشر، ج: ١، ص: ٢٤٠٩، برقم: ٣٤١١٤، والحديث الثاني: " فضل قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا يعطيها أحدا بعدهم إن الخلافة فيهم الحجابة فيهم السقاية فيهم النبوة فيهم نصرؤا على الفيل عبدؤا الله سبع سنين لم يعبده =

كما كان يعمد وات للتقليل من شأن قريش من خلال إظهار أن قوتهم إنما كانت لوجود العبيد والتحالفات، وأن أهل مكة كانوا يدفعون للرجال ليقاتلوا من أجلهم^(١).

وللد على ذلك: أورد ما ذكره وات في آخر الكتاب معارضا لامانس: " الإفتراض الضار غير الصحيح الذي ذهب إليه لامانس بأن قوة مكة كانت قائمة على جيش من العبيد - إفتراض لا حقيقة له.

فلم يكن تجار مكة مولعين بالحرب، بل كانوا يحاولون تحاشيها، وإن كان هذا لا يمنع من اتخاذهم الحيلة لأنفسهم عند الضرورة"^(٢).

كما ذكر وات أن " الأغنياء من تجار قريش كانوا راغبين عن القتال في معركة بدر "، وقد أورد الكاتب عدة أسباب تدفع هذا الادعاء^(٣):

فقال: " أنهم لم يكونوا جناء ".

وقال: " كانوا قادرين على الظهور بمظهر مشرف ".

وقال: " أبلى المسلمون من قريش في بدر بلاء حسنا ".

ثم تأتي الطامة الكبرى حين قال: " رياسة قريش لم تكن بسبب براعتهم في القتال كأفراد، كان سر مهابتهم قوتهم العسكرية"^(٤).

وللد على ذلك أقول: هنا ناقض الكاتب نفسه من ناحيتين، الأولى من حيث المنطق، والثانية من حيث مناقضة الكاتب لنفسه في هذه الجزئية.

فأقول: هل هناك قوة عسكرية بدون براعة في القتال؟؟؟ فإن أعظم الجيوش مهما بلغ عددها وعتاها، إن لم يكن لهم براعة في القتال هزموا من قلة قليلة ممن كان بارعا ومتمرسا في القتال.

الأمر الآخر وهو مناقضة الكاتب لنفسه حين ذكر بأن " النبالة والهيبة بين عرب الصحراء

أحد غيرهم نزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم لإيلاف قريش " رواه الواحدي في أسباب النزول عن فاختة بنت أبي طالب رضي الله عنها برقم: ٩٣٢، السيوطي، جامع المسانيد والمراسيل، ج: ٥، ص: ٣٥٤، برقم: ١٥٣٠٢.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٦١

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٣٠٥.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٦١، ٦٢.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٦٢.

تتعلق بالقوة العسكرية إلى درجة كبيرة^(١) " .

أظهر لنا التاريخ بعد ذلك أبطال أخذوا راية الشجاعة من أقرانهم كأمثال حمزة وعلي وخالد بن الوليد^(٢) وأبي عبيدة والزبير رضي الله عنهم... الخ.

وأكد الكاتب مناقضته لذلك بقوله: " أبلى المسلمون من قريش في بدر بلاء حسنا^(٣) فمن أبلوا كانوا من قريش، ولم يكونوا من العبيد، ولم يكونوا من الأحلاف^(٤) .

وأضيف إلى ذلك: إصرارهم على القتال يوم بدر، على الرغم من أن أبا سفيان طلب منهم الرجوع بعد تأكده من سلامة القافلة، إلا أنهم لم يجيبوه لطلبه.

ثم ينفي هذه الشجاعة بأسلوب غير مباشر بادعائه بأن " الحكمة السياسية هي الضمان الذي احتفظت مكة بسيادتها على جيرانها^(٥) .

وأقول هنا بأن من كانت له حكمة سياسية أمر لا شك فيه أن تكون له السيادة على أقرانه، إلا أن القاعدة تقول بأن من أمن العقوبة أساء الأدب.

فكان أدعى دواعي الحكمة السياسية، توفير القوة الرادعة لمن تسول له نفسه إساءة أو تطاولا تجاه مكة وأهلها.

وأما شجاعة العرب، فيكفي دليلا على أنها طبيعة فيهم، هذه الفتوح الإسلامية التي خرت عروش الروم والفرس والحبش أمامها مستسلمة، وفي الجاهلية ما تنسى معركة سلوت^(٦) بين الفرس وقبيلة

(١) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٦١ .

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن محزوم القرشي المخزومي سيف الله أبو سليمان أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبدالمطلب وهما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم كان أحد أشرف قريش في الجاهلية وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية كما ثبت في الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلها ، مات خالد بن الوليد بمدينة حمص سنة إحدى وعشرين وقيل توفي بالمدينة النبوية ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ذكر من اسمه خالد ، ج : ٢ ، ص : ٢١٥ .

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٦١ .

(٤) حلف الأحلاف لعقة الدم : حلف بين عدد من أفخاذ و بطون قبيلة قريش قبل الإسلام، وقد عقدته بعض أفخاذ قريش لدعم بني عبد الدار بن قصي في نزاعهم ضد بني عبد مناف .

(٥) محمد صلى الله عليه وسلم في مكة - ص: ٦٣ .

(٦) معركة سلوت: معركة بين العرب الأزدية والفرس، ووقعت في صحراء سلوت بعمان، انتصر فيها الأزد العرب على الفرس، فأثخروا الوجود الفارسي في عمان ، ولا يعرف تاريخها بالتحديد، إلا أنها مشهورة في كتب تاريخ عمان، للمؤرخ العماني نور الدين

زهرا الأزدية، ويوم ذي قار أيضا^(١).

وبمناسبة ذكر يوم ذي قار، ادعى الكاتب أن سبب هذه الحرب هو القوافل التي كانت تنقل اللبان والبخور والمنتجات المحلية الأخرى، فضلا عن البضائع المستوردة من الهند^(٢). إن لهذا الكاتب جرأة في تزييف الحقائق، وتزوير التاريخ، حتى وإن بدا بسبب ذلك كمن لا يفقه شيئا في التاريخ، فمعلوم أن سبب معركة ذي قار لا علاقة له بأي شيء مما ذكره الكاتب، وما هو إلا يوم بر ووفاء بين العرب أنفسهم، وقد كان للعرب فيه صولات وجولات. (ولا نسي الفرس والروم معا أنهم أقاموا من دولتي غسان والحيرة العربيتين متاريس حين عجزوا عن لقاء العرب، إذ آمنوا أنه لا يفيل الحديد إلا الحديد)^(٣)، بل إن العربي ليفخر بطلبه الموت من مظانه. وليست المهابة أمر معني بالقوة العسكرية دون غيرها، فأبرهة الحبشي هاب عبدالمطلب رغم الفارق الشاسع بينهما^(٤).

السلمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج / ١، ص: ٢٣ - ٣٠.

(١) ذي قار: هي معركة شهيرة قامت في جنوب العراق بين العرب والفرس إنتصر فيها العرب، كان من أعظم أيام العرب، وأبلغها في توهين أمر الأعاجم، وهو يوم لبني شيبان، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم، وقيل كانت في عام ٦٠٤م، وقيل عام ٦٠٩م، وقيل عام ٦٢٤م، وكان في سنة أربعين من مولد رسول الله ﷺ وقيل في عام وقعة بدر الأول أقوى، وكان من حديثه أن كسرى برويز غضب على النعمان بن المنذر وحبسه، فهلك في الحبس، وكان النعمان قد أودع حلقتة، وهي السلاح والدروع، عند هانئ بن مسعود البكري، فأرسل برويز يطلبها من هانئ المذكور فقال: هذه أمانة والحر لا يسلم أمانته، وكان برويز لما أمسك النعمان، قد جعل موضعه في مُلك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي، فاستشار برويز إياساً المذكور فقال إياس: المصلحة التغافل عن هانئ بن مسعود المذكور حتى يطمئن، وتبعه فتدركه، فقال برويز: إنه من أحوالك، ولا تألوه نصحاً، فقال إياس: رأي الملك أفضل، فبعث برويز الهرمزان في ألفين من الأعاجم، وبعث ألفاً من بهرا، فلما بلغ بكر بن وائل خبرهم، أتوا مكاناً من بطن ذي قار فنزلوه، ووصلت إليهم الأعاجم، واقتتلوا ساعة وانهزمت الأعاجم هزيمة قبيحة، وأكثرت العرب الأشعار في ذكر هذا اليوم، هذا الخبر من المختصر في تاريخ البشر " تاريخ أبي الفداء، الفصل الرابع، وله مواضع أخرى، أثرت ذكر المختصر لعدم الإطالة، كتاريخ الطبري، تاريخ ابن خلدون، المناقب الزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحاية الأرب في معرفة أنساب العرب.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٦٥.

(٣) عبد المتعال جبري - السيرة النبوية واوهام المستشرقين، ص: ١٠٨.

(٤) وروي أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فيها فعظم في عينه وكان رجلاً جسيماً وسيماً. وقيل: هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رعوس الجبال، فلما ذكر حاجته قال: سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وشرفكم في قديم الدهر، فألهاك عنه ذود أخذ لك فقال: أنا رب الإبل ولليبت رب سيمنعه، تفسير النسفي، تفسير سورة الفيل، ج: ٤، ص: ٥٥٧، الرازي في تفسيره، ج: ٣٢، ص: ٢٩٢، الخوارزمي، تفسير الكشاف، ج

وقد ألمح وات لهذا الأمر في معرضه عن الحديث عن قبيلة نوفل، فقال: " أن هذه العشيرة لم تكن كبيرة العدد، لكن شيوخها " قادتها " كان لهم نفوذ كبير " (١).

ومن الأمور التي ذكرها وات في حق قريش قوله: " لقد أصبحت أفعال الكرم " المقصود الصدقات والزكاة... الخ " كنوع من التضحية " تقديم الأضحيات " لاسترضاء القوي الأقدار، لانتقاء غضبها وكسب رضاها.

إنها استمرار لما كان يفعل آباؤهم وأجدادهم الوثنيون من تقديم أضحيات للآلهة الوثنية " (٢). وللدرد على ذلك أقول: هذا تشبيه مع فارق كبير، كيف له أن يشبه تقديم الأضحيات للآلهة، كتقديمها لله تعالى؟

مما لا شك فيه أن الإنفاق فيه رضا لله تعالى، ودفع لغضبه، فقد قال رسول الله ﷺ: " صدقة السر تطفئ غضب الرب " (٣).

لكن ما نرفضه هنا هو هذا التشبيه السقيم، وادعاؤه باستمرارهم على ما وجدوا عليه آباءهم، ولكن عوضا عن أن يكون للآلهة الوثنية، فهي لله تعالى، وأقل ما يقال في هذا أنه سوء أدب مع الله تعالى.

كما يحاول الكاتب أن يرفع من شأن الأنصار على المهاجرين ﷺ في غير موضع وما ذلك إلا لانتقاصهم، فيقول: "... كان الأنصار هم المقاتلين الأفضل من جميع النواحي " (٤).

فهو بذلك يدعو لأحد أمرين، إما التفريق المنهي عنه بين المهاجرين والأنصار ﷺ، وإما لإظهار تفاضل الأنصار على المهاجرين ﷺ أجمعين، الذين هم أساس هذا الدين المبارك، ولنا في ذلك توجيه نبوي، " دعوها فإنها منتنة " (٥).

٤، ص: ٢٨٥.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٨٢.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ١٦١.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، باب صدقة السر، ج: ٣، ص: ٢٩٣، برقم: ٤٦٣٧، النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، النهي عن ثمن الكلب وكسب الحجام، ج: ٣، ص: ٦٥٧، برقم: ٦٤٧٣، مسند الشهاب، ج: ١، ص: ٩٢، برقم: ٩٩.

(٤) محمد ﷺ في مكة - ص: ٦١.

(٥) جزء من حديث عند البخاري برقم ٤٥٥٠ (حديث مرفوع) حَدَّثَنَا عَلِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، قَالَ عَمْرُو : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ: كُنَّا فِي عَزَاةٍ ، قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا

ومن العجائب التي ذكرها وات في كتابه مسألة أبرهة وغزوه لمكة، فيبرز أن هناك دافع ظاهري لهذا الغزو، ما علمه أحد من المؤرخين سوى وات.

فقال: " أبرهة نائب الملك قاد حملة ضد مكة، كان غرضها الظاهري هو تدمير الكعبة، كي يحج العرب إلى كنيسته التي بناها في الجنوب " هنا يثبت الكاتب الدافع الظاهري، في حين في مواضع أخرى يطلب منا عدم الأخذ بالدوافع الظاهرية.

وباستكمال عجيبة وات في أمر أبرهة فيقول: " ربما فرع أبرهة من النجاح التجاري المتزايد لأهل مكة " هذا استنتاجه الأول.

أما استنتاجه الثاني وهو الأعجب، فقوله: " وربما كان هناك أيضا كنز في الكعبة أو حولها ". ويختم وات أعجوبته هذه بقوله: " وعلى أية حال، فقد فشلت الحملة في الجزيرة العربية، ولم تتحقق الأهداف الحبشية، إذ دمر الجيش الحبشي بالطاعون فيما يظهر ". ويجزم بذلك أيضا قائلا: " ونظرا لانتصارهم في الحرب، فإنه يمكن افتراض أنهم قد حققوا أهدافهم "(1).

وللرد على ذلك أقول: أين الكاتب من سورة الفيل؟ بل ومراجع التاريخ التي تثبت عكس ذلك، وأي حرب تلك التي انتصروا فيها وهم لم يدخلوها بداية.

ألا يخشى هذا الكاتب أن يسأله التاريخ، من هم أطراف هذه الحرب، بل ومن شارك فيها من كلا الطرفين؟

لم يورد الكاتب ها هنا ما يثبت ادعاءه من الناحية التاريخية، بل ولا من خلال سرد المعاصرين لتلك الفترة.

وهو بنفسه من أقر على نفسه بذلك بقوله بأن " الكثير مما يقال عن سياسات أهل مكة يخضع

لأنصار، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِّلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: " مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَسَعَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: " دَعْوَاهَا فَإِنَّمَا مُنْتَبَهَةٌ "، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلَوْهَا أَمَا وَاللَّهِ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَامَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ "، وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ، قَالَ سُفْيَانُ: فَحَفِظْتُهُ مِنْ عَمْرٍو، قَالَ عَمْرٍو: سَمِعْتُ جَابِرًا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْم: ٤٦٨٨، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، بِرَقْم: ٣٢٥٦ وَآخَرُونَ غَيْرِهِمْ.

(١) محمد ﷺ في مكة: ص: ٦٦، ٦٧.

=

للحدس والتخمين"^(١)، فهلا أنصت لنفسه قبل أن يطلق هذا الكيل من الاتهامات لهم. ومع الأسف فإن الكاتب عمد إلى التشكيك لإثبات وجهة نظره، فتارة بادعائه أنه "ربما يكون بعض جوانب الموضوع قد حدث فيها تعديل نتيجة للأحداث التي وقعت فيما بعد"^(٢). وتارة يوهم القارئ موافقة قريش لفعل البراد من بنى بكر حين هاجم إحدى القوافل بقوله: "أن قريشا ستؤيده"^(٣)، نافيا بذلك الحكمة التي أثبتها هو بنفسه لسياسة قريش، ولا أدل على بطلان قوله هذا من قيام حرب الفجار. في مسألة العرب... لا يلتفت الكاتب لوجود ما هو أقوى من قوة النسب والتحالف والمصالح المشتركة.

فكل تبريراته وتحليلاته مبنية على هذا الأمر، متناسيا ما تتمتع به العرب على مر العصور من مكارم الأخلاق، أقرها الكاتب بنفسه. بل وأثنى على من سبقه في الإطراء هذه الأخلاق فقال: "وقد أحسن ر. أ. نيكلسون"^(٤) وصفه"^(٥) عندما قال: "هي الشجاعة في القتال، والصبر عند المصيبة، والإصرار عند الإنتقام، وحماية الضعيف، وتحدى القوي"^(٦). وأضاف وات لذلك قوله: "كان الكرم وحسن الضيافة من الصفات التي تثير الإعجاب إلى درجة كبيرة في حياة الصحراء"^(٧). وذكر أيضا "فضيلة عدم التفكير في الغد"، وعقب بأن "الوفاء والإخلاص من الفضائل

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٦٩.

(٢) محمد ﷺ في مكة - ص: ٥٤.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٦٢.

(٤) رينولد ألين نيكلسون ١٨٦٨م - ١٩٤٥م هو مستشرق إنجليزي، يعد بعد "ماسينيون" أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي، ولد في Keighly في ٨ أغسطس ١٨٦٨م، ودخل جامعة أبردين ثم كلية الثالوث في كمبردج حيث بدأ بالدراسات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية)، عبد الرحمن البدوي، موسوعة المستشرقين ص: ٤١٥.

(٥) أي: وصف المروءة.

(٦) محمد ﷺ في مكة - ص: ٧٤.

(٧) محمد ﷺ في مكة - ص: ٧٤.

الهامة" (١).

فكل هذه الصفات والأخلاق كانت سببا لاختيار الإسلام من صحراء الجزيرة، ومن العرب خاصة، فهذا أصل هذا الدين القويم، قال رسول الله ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (٢).
ومن أمثلة ذلك واقعتين حدثت مع الصديق رضي الله عنه ، وذلك مع طربي النقيض لكل طرف منهما " صديق وعدو " .

فالأولى مع الصديق رضي الله عنه وابن الدغنة، فإنه لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد (٣) لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة. قال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي.
قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق؛ فأنا لك جار إرجع واعبد ربك ببلدك.
فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشرف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة (٤).
هذه هي صفات العرب، وإن لم يكونوا متفقين في الديانة، فإن المرجع الذي اعتمد عليه ابن

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٧٥.

(٢) أحمد في مسنده: مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج: ٣، ص: ٨٠، برقم: ٨٨٨٢ بلفظ " صالح الأخلاق بدلا عن مكارم الأخلاق، أبي شيبة في مصنفه: باب ما أعطى الله تعالى محمدا ﷺ، ج: ٧، ص: ٤٤٠، برقم: ٢٧٥٠٨ بنفس لفظ أحمد، البيهقي في سنن البيهقي: باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ج: ١٥، ص: ٢٥٢، برقم: ٢١٢٤٢، مسند الشهاب، ج: ٢، ص: ١٩٢، برقم: ١١٦٥.

(٣) (وِبْرُكٌ ، مثال قِرْدٍ، اسم موضع بناحية اليمن؛ قال ابن بري: و بَرْكُ الْعِمَادِ موضع باليمن. ويقال : الْعِمَادُ وَالْعِمَادُ، بالكسر والضم، وقيل: إن الْعِمَادَ بَرَهُوت الذي جاء في الحديث أن أرواح الكافرين فيه، وحكى ابن خالويه عن ابن دريد أن بَرْكُ الْعِمَادِ بقعة في جهنم، ويروى أن الأنصار رضي الله عنهم ، قالوا للنبي: يا رسول الله، إنا ما نقول لك مثل ما قال قوم موسى لموسى، اذهب أنت وربك فقاتلا } ، بل بآبائنا نُفْدِيكَ وَأُمَّهَاتِنَا يا رسول الله، ولو دعوتنا إلى بَرْكِ الْعِمَادِ، وفي حديث الهجرة: لو أمرتُها أن تبلغ بما إِبْرَكَ الْعِمَادِ، بفتح الباء وكسرها، وتضم الغين وتكسر، وهو اسم موضع باليمن، وقيل: هو موضع وراء مكة بخمس ليال. لسان العرب ، باب الياء ، ج : ٤ ، ص : ١٣٦ .

(٤) صحيح ابن حبان، ذكر وصف كيفية خروج المصطفى ﷺ من مكة، ج: ٦، ص: ٤٧، البلخي، البدء والتاريخ، الفصل الخامس عشر، ج: ٢، ص: ٥٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، السيرة النبوية، ج: ١، ص: ٢٢٠.

الدغنة في هذه الحادثة أخلاق الصديق.

أما الثانية فمع عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه (١) ، فإنه طلب إلى قريش أن يخرج ليفاوض النبي ﷺ قبل صلح الحديبية، فقال لهم: يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من تبعثون إلى محمد إذا جاءكم، من التعنيف وسوء اللفظ. وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد، وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسيتكم بنفسي.

قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه، فقال: يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لتفضها؟ إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل (٢) قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، وإيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً. قال: وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ قاعداً، فقال: امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه!

قال: من هذا يا محمد؟، قال ﷺ: " هذا ابن أبي قحافة "، قال: والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها، وكان عروة رضي الله عنه قد تحمل بديهة، فأعانه أبو بكر رضي الله عنه فيها بعون حسن (٣). لننظر إلى أي مدى بلغت أخلاق العرب التي ينكرها وات، أعانه في دية وهو لا يعرفه، وقد حضر من الأمر مع رسول الله ﷺ ما ترون، والموقف مشحون، إلا أنه تنازل للصديق لحسن أخلاق

(١) عروة بن مسعود الثقفي: الصحابي رضي الله عنه هو أبو مسعود وقيل أبو يعفور بالفاء والراء عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بالعين المهملة الثقفي، وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف القرشية يجتمع هو والمغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود في مسعود. وفي صحيح مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: ورأيت عيسى بن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبيهاً عروة بن مسعود. تهذيب الأسماء واللغات ، باب عجلان وعدي وعراة والعرباض وعرفجة وعروة ، ج : ١ ، ص : ٣٠٥ .

(٢) قوله: العوذ المطافيل: يريد النساء والصبيان ، والعوذ: في الأصل جمع عائذ: وهي الناقة إذا وضعت، وبعدها تضع أياماً حتى يقوى ولدها، والمطافيل: جمع مطفل وهي الناقة التي معها ولدها. ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، باب الباء والسين ، ج : ١ ، ص : ٢٠٩ .

(٣) رواه أحمد في مسنده، حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه، ج: ٥، ص: ٤٢٣، برقم: ١٨٥٥٥، البيهقي في سننه، باب المهادة على النظر للمسلمين، ج: ١٤، ص: ٧٦، واللفظ هنا لأبي شيبه في مصنفه، غزوة الحديبية، ج: ٨، ص: ٥١٢، برقم: ٣٢٦٤٤ .

الصديق معه في الجاهلية.

ومن أجمل العبارات التي أوردها وات في كتابه من باب إعطاء كل ذي حق حقه ما ذكره بقوله:
" ففى أتون الصحراء يحترق خبث الإتجاهات والأفعال الدنيا تاركاً ذهب الأخلاق العالية، ودستور
العلاقات الإنسانية والمستوى العالى من التفوق الإنساني خالصاً نقياً"^(١).
فيا ليتته استمع إلى صوت العقل والإنصاف الذي أقر هو به، وأقبل لهذا الدين الذي فيه نجاته
في الدارين، ولكنه أمر الله أن يهدى إليه من أناب.

"فلو كان الموضوع موضوع صحراء، لكانت الصحراء الكبرى بأفريقيا، أو صحراء كاليفورنيا
مصدر الأنبياء والمرسلين.

ولو كان الأمر بلورة مبادئ وتقاليد رفيعة للصحراء، لكان الحكم في رفعة هذه التقاليد إلى
الصحراء، بما فيها من غارات وإباحية، وهرب من المشكلات المعقدة بالخمور، ولم يكن بمحمد ﷺ من
هذه الصفات الصحراوية شيء"^(٢).

كل هذه وذاك دفع الكاتب إلى الإقرار بأنه: " كان للصحراء الدور الأول في ظاهرة الإسلام
ككل"^(٣)، وإن أبدينا رأينا في وصفه للإسلام بوصف الظاهرة مسبقاً^(٤).
بل الأمر خلاف ذلك، فهي في هذه الصفات التي تركتها الصحراء في نفوس العرب، وصفات
كانت في العرب دون غيرهم، فقد كان للصحراء أثر في تنمية وتركيب هذه الصفات.

(١) محمد ﷺ في مكة - ص: ٧٧.

(٢) عبد المتعال جبري - السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص: ١٠٦.

(٣) محمد ﷺ في مكة - ص: ٤٩ .

(٤) أنظر ص: ٣٠ من البحث .

الخاتمة:

الخلاصة من هذا البحث إلى أن وات شارك غيره من المستشرقين في نقاط ... يذكر منها على

سبيل المثال:

* أخذ منهج غربي صالح للتطبيق على اليهودية والنصرانية، وتطبيقه قسرا على الإسلام.
* عدم الاعتراف بالاختلافات الجوهرية بين الإسلام من جهة، واليهودية والمسيحية من جهة أخرى، والالتزام بمنهج واحد في دراسة هذه الأديان.
* سوء استخدام المنهج العلمي النقدي خاصة مع الإسلام فقط، وإخفاء استخدامه مع اليهودية والمسيحية.

* اعتمادهم على مفهوم نمو الأديان التدريجي بناء على المرحلة الزمنية وإصاق ذلك بالإسلام.
أما بخصوص مونتجمري وات تحديدا فمما يمكن استنتاجه بوضوح من منهجه ما يلي:
* ألزم نفسه بعدم مصادمة مشاعر المسلمين والتعرض لمعتقداتهم الأساسية بأي سوء، وتجنب الاحتمالات الوهمية، وقد بات هذا المنهج المفضل والطريقة الحديثة عند المستشرقين.
* (ظهر لنا بمظهر المستشرق المتسامح المتعاطف الحيادي^(١))، ليوحى بأنه لن يعارض الحقائق الأساسية للإسلام.

ولكن الواقع الحقيقي يفصح ويكشف عن كثير من المغالطات في الاستنتاجات المبنية على أركان وهمية.

وهذه هي العبقرية التي وظفها وات لاستخلاص اليقين المزعوم من المقدمات والوهم والخرص^(٢).

(١) أمجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتائبون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونتجمري وات نموذجًا فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٨، وفي الحاشية: هاجم بعض المستشرقين مثل المستشرق ألفرد جيوم منهج وات، لأن وات خرج عن الخط التقليدي للمستشرقين في بعض الاتجاهات، أنظر البهي، المبشرون والمستشرقون، ص: ١٥، والدكتور محمد البهي رحمه الله تعالى (1905 - 1982) هو وزير الأوقاف المصري الأسبق أحد مفكري الإسلام في العصر الحديث، دعا إلى الإصلاح الديني بالعودة للأصول، وتتبع نشأة الفكر الإسلامي منذ بدايته حتى الوقت المعاصر مقارنا بينه وبين غيره من المذاهب الفكرية، متصديا للأفكار الهدامة وفاضحا الاستعمار ودوره في المجتمعات الإسلامية. وقد ترك البهي ثروة غنية من المؤلفات التي أثرت الفكر الإسلامي والمكتبة الإسلامية كان أكثرها أهمية كتابه "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" الذي كان له الفضل في التعريف به كمفكر إسلامي في الأوساط العربية والإسلامية .

(٢) المرجع السابق، ص: ٥٨، نقل عن محمد خليفة حسن أحمد، نقل عن عتر، وحي الله، ص: ١٥٦، ١٥٧.

* لم يختلف وات كثيرا عن باقي المستشرقين من حيث النتائج النهائية التي اعتمدها. إلا أن الاختلاف قد برز من ناحية الأسلوب الذي اعتمده للوصول إلى مراده، ويمكن وصفه بأنه كان أقل مصادمة في العرض، ولعل هذا أوهم البعض بأنه متعاطف ومحيد.

* اتكأ على معلومات سابقه، وفسر بعض الأحداث التي مرت بالرسول ﷺ تفسيراً مادياً اعتمد فيها على الإسقاط مثلاً:

* الأخذ بالمفهوم الغربي الحديث للنمو التدريجي للأديان، أي أن الرسول أو النبي ﷺ يعمل وفق مقتضيات المرحلة لكل فترة تاريخية.

ومن ثم فإن منظوره للدين إنما هو وليد مواضع تلك الفترة، فهو لا يملك ابتداء رؤية شمولية عن أبعاد دوره كنبى، وعن الملامح النهائية للعقيدة التي جاء يبشر بها^(١).

ولقد أقام الطيباوي^(٢) نقداً علمياً لمنهج وات الذي كتبه على نفسه... وعلى سبيل المثال فإنه عندما يقول: إن محمداً ﷺ كان على دراية بالتعاليم اليهودية، وأنه كان يحاول أن يجعل دينه أكثر يهودية، وأن يظهر اعتماده على التقاليد الإنجيلية فإنه من الصعب أن نصدق بأن الكاتب لم يكن على علم بأن كل هذه المزاعم تتناقض حرفياً مع القرآن الكريم.

وأنها لا تنسجم إطلاقاً مع إقرار الكاتب نفسه بصدق محمد ﷺ في كونه رسول الله ﷺ. وبالتأكيد فإن كاتباً مثله قد عكف على دراسة الإسلام مدة طويلة كان يجب أن يعرف أن

(١) أجد قورشة، سوسن هاكوز، المستشرقون الكتائبون ومواقفهم من الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه، مونجمري وات أنموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية، بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ص: ٥٨، ٥٩، ٦١، نقل عن خليل المستشرقون والسيرة، ص: ١٧٧، نقل عن الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص: ٩٨.

(٢) ولد عبد اللطيف الطيباوي في الطيبة سنة ١٩١٠م تعلم في مدرسة طولكرم الأميرية ثم بدار المعلمين بالقدس - نال عام ١٩٥٢م خلال دراسته جائزة لمسابقة أعدتها مجلة (الهلال) لأحسن مقال، نال شهادة البكالوريوس في التاريخ والأدب العربي عام ١٩٢٩م وبيع معها جائزة موند ، عين استاذاً للتاريخ في ثانوية الرملة ثم رقى سكرتيراً خاصاً بمدير المعارف العام، فمساعد مفتش في القدس ، نال الدكتوراة في الفلسفة من جامعة لندن ، نشر مقالات متعددة الموضوعات في اختصاصه فمحتة جامعة لندن درجة (استاذ باحث) المتفرغ لدراسة المعالم البريطانية الثقافية والدينية في فلسطين، دعتة جامعة هارفارد في الولايات المتحدة لإخراج كتاب عن مصالحتها الثقافية والدينية في سوريا، منحتة جامعة لندن درجة دكتوراة في الآداب مكافأة على آثاره العلمية. نشر عشرات المقالات والمراجعات في التاريخ والأدب والتربية وصنف كتب اتسمت بالعمق والشمول باللغة .

أحكامه هذه تسيء للإسلام القويم، وأنها لا ترجح في تقييم الأدلة التاريخية .
(تقول الأستاذة زاهية مصطفى قدور في رسالتها لجائزة الماجستير: " وأخالنا نفرط في حق أنفسنا وتاريخنا أشد تفريط إذا لم نأخذ من المستشرقين زمام البث في تاريخنا، إذ أنهم - رغم الجهود التي بذلوها في القرن العشرين لكشف نواحي التاريخ الإسلامي - ما زالوا بعيدين عن كثير من الحقائق. وسيقون كذلك ما داموا يعيشون في غير محيطنا، ويتأدبون بغير آدابنا وينظرون بمنظار قد لا يظهر لهم حقائق هذا التاريخ، بحكم نشأتهم وبيئتهم وثقافتهم الأولى ومجتمعهم. ثم إنهم وهم يعيشون في مجتمع مادي، يصعب عليهم فهم الروح التي جاء بها الإسلام، فتلك لا تأتي بالقراءة والتتبع، ولكنها تأتي مع ذلك من التقاليد الموروثة والبيئة والشعور بالصلة بيننا وبين بناء هذا التاريخ) (١).

(١) عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - ص: ٤٩، لجنة البيان العربي، عائشة أم المؤمنين ﷺ - ص: ٤، نشر سنة ١٩٤٧م، ١٣٦٦ هـ.

* التوصيات:

عمل وقف يعود ريعه للرد على الدراسات الاستشراقية، وتبنى المؤتمرات لذات الغاية. عمل موقع على غرار الويكيبيديا، يودع فيه كل ما يقال عن الإسلام... من مادح لإظهاره، ومن قادح للدفاع عنه، ومن مستفسر لإفهامه وتفهيّمه، مع دعم المواقع القائمة حاليا بهذا الدور إن وجدت.

عمل موقع على الشبكة العنكبوتية على غرار موقع اليوتيوب خاص بالأفلام الخاصة بالمستشرقين من أسلم منهم ومن لم يسلم، مؤيدهم لإظهار حجته، ومعارضهم للرد عليهم، مع دعم المواقع القائمة حاليا بهذا الدور إن وجدت.

تخصيص قنوات إذاعية وتلفزيونية لبيان دعاوى المستشرقين والرد عليهم، مع دعم المواقع القائمة حاليا بهذا الدور إن وجدت.

تخصيص قوافل دعوية لزيارة الجامعات والكليات والمكتبات العامة، في الوطن الإسلامي خارجه لشرح الإسلام الصحيح، وليس الإسلام المشوه كما يقدمه المستشرقون.

تخصيص قوافل دعوية لدعوة عموم النصارى في مشارق الأرض ومغاربها.

تخصيص برامج توعوية لتوعية المسلمين بدينهم، وتصحيح التشويه الحاصل في المناهج الدراسية. طرح هذه الافتراءات في المناهج العلمية، لتحسين الجيل الناشئ من سمومهم.

عمل برامج توعوية للمسلمين لهدفين:

الأول رجوع المسلمين إلى دينهم، لأن بعدهم عن دينهم هو أول سبب لعدم إقبال غير المسلمين عليه.

الثاني قيام المسلمين بواجب الدعوة إلى الله بالقول والعمل، لأن أقوى وسيلة لتوضيح حقيقة الإسلام لغير المسلمين، هي الدعوة بالصفات.

عمل جمعية للمتطوعين في الرد على المستشرقين، لحشد الكل الجهود لمقاومة هذا الغزو الفكري والعقدي للمسلمين.

عقد الندوات والمؤتمرات بهذا الشأن، ومع المستشرقين أنفسهم، وليكن شعارنا " لتتكلم عن أنفسنا، لسنا في حاجة لأن يتكلم أحد نيابة عنا!!! ".

وأخيرا أقول...

رغم الدعم المادي الضخم الذي يتلقاه المستشرقون، ورغم تنوعه وتعدد أساليبه للصد عن سبيل الله، إلا أن موعود الله تعالى نافذ فيهم إذ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْمَرُونَ﴾ (٣٦) (١).

فهذه ثلاث مراحل كتبها الله تعالى على أهل الباطل:

○ الأولى: إنفاق المال والجهد والوقت، ولكل مجتهد نصيب، وإن كان على باطل ويظهر أثره، ولو بعد حين.

○ الثانية: كل ما تم إنفاقه سيعود عليهم بالحسرة والندامة، وخيبة الأمل.

○ الثالثة: النصر والغلبة في النهاية لأمر الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

(١) سورة الأنفال - الآية: ٣٦.

(٢) سورة يوسف - الآية: ٢١.

المراجع:

القرآن الكريم.

ابن اسحاق - محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني أبو بكر - السيرة النبوية (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

الزكي - يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف - (د. ط) بيروت - المكتب الإسلامي - ١٩٦٥ م.

الزكي - يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف - أبو الحجاج - جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني - تهذيب الكمال في أسماء الرجال (د. ط) بيروت - دار الفكر - ١٩٩٤ م.

الطبراني - سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم - الأحاديث الطوال (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٢ م.

الملقن - عمر بن علي بن أحمد الأنصاري ابن الملقن سراج الدين أبو حفص - التوضيح بشرح الجامع الصحيح (د. ط) قطر - وزارة الأوقاف - ٢٠٠٨ م.

إدريس - جعفر شيخ إدريس - منهج مونتجمري وات في نبوة محمد ﷺ (د. ط) تونس - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ١٩٨٥ م.

إدوارد الشبكة الإسلامية عن إدوارد سعيد.

إسحاق - أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري أبو إسحاق - تفسير القرآن (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

أحمد - أحمد محمد آل يحيى - شبهات المستشرقين حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي (د. ط) ماليزيا - جامعة المدينة العالمية - كلية العلوم الإسلامية - قسم الدعوة ٢٠١٤ م.

أرنولد - سير توماس أرنولد - الدعوة إلى الإسلام - ط: ٣، مصر - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٠ م.

أزرقى - محمد بن عبد الله بن عقبة الأزرقى المكي أبو الوليد - أخبار مكة (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

ألوسي - محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي شهاب الدين أبو الثناء - الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهوتية - دار القيم - ٢٠٠٧ م.

- ألوسي - محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي شهاب الدين أبو الثناء - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٨٥ م.
- بخاري - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله - صحيح البخاري - دار ابن كثير - ١٩٩٣ م.
- بزار - أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار أبو بكر - مسند البزار - مكتبة العلوم والحكم - ٢٠٠٥ م.
- بغدادى - عبد القادر بن عمر البغدادي - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.
- بلخي - أحمد بن سهل البلخي أبو زيد - البدء والتاريخ - بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٧ م.
- بنتي - محمد بن عمر نووي الجاوي البنتي إقليمياً التناري بلداً - كاشفة السجا - بيروت - دار الفكر - ١٩٩٦ م.
- بنتي - محمد بن عمر نووي الجاوي البنتي إقليمياً التناري بلداً - مراح لبيد لكشف معاني القرآن المجيد بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٧ م.
- بيهقي - أحمد بن الحسين بن علي - أبو بكر البيهقي - السنن الكبرى للبيهقي (د. ط) بيروت - دار الفكر - ١٩٩٦ م.
- بيهقي - أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ﷺ - بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٨٨ م.
- بيهقي - أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي - شعب الإيمان (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ٢٠٠٠ م.
- ترمذي - محمد بن عيسى بن سورة السلمى البوغي الترمذي - سنن الترمذي (د. ط) بيروت - دار الفكر - ١٩٩٤ م.
- تونسي - أحمد التونسي - نشر اللآلي بشرح بدء الأمالي، (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).
- تيمية - أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي مجد الدين - مجموع فتاوى ابن تيمية (د. ط) بيروت - دار الفكر - ١٩٩٣ م.

ثبتي - أمل بنت عواض الثبتي - السيرة النبوية في كتابات الاستشراق البريطاني - دراسة تاريخية نقدية (د. ط) السعودية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى - ٢٠٠٣م.

جاحظ - البيان والتبيين - للجاحظ (د. ط) مكتبة الخانجي - ١٩٩٨م.
جبري - عبد المتعال محمد جبري - السيرة النبوية وأوهام المستشرقين (د. ط) مصر - مكتبة وهبة (د. ت).

جعفري - نعمات محمد عبد الرحمن الجعفري - العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات في كتابيه محمد ﷺ في مكة، محمد ﷺ في المدينة (د. ط) الكويت - بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - ٢٠١٤م.

حاكم - محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي الطهماني النيسابوري ويعرف بابن البيع أبو عبد الله - المستدرک علی الصحیحین (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٠م.

حبان - محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم البستي - صحيح ابن حبان (د. ط) بيروت - دار الفكر - ١٩٩٦م.

حبان - محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم البستي ويقال له ابن حبان - ثقات ابن حبان (د. ط) بيروت - دار الفكر - ١٩٧٥م.

حبان - محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم البستي - مشاهير علماء الأمصار (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٥م.

حجر - أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - بيروت - دار الفكر - ١٩٩٣م.

حسيني - محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي شمس الدين - الإكمال في ذكر من له رواية في مسند أحمد سوى من ذكر في تهذيب الكمال (د. ط) السعودية - دار اللواء - ١٩٩٢م.

حلي - الأمين المأمون علي بن برهان الدين الحلي - السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون ﷺ (د. ط) بيروت - دار المعرفة - ١٩٨٠م.

حلي - هبة الله محمد بن نما الحلي - المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (د، ط)، (د،

(م)، (د. ن)، (د. ت).

حنبل - عبد الله بن أحمد ابن محمد بن حنبل بن هلال - السنة " مسند أحمد " - (د. ط) بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٩٣م.

حيان - محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النَّفري أثير الدين التفسير الكبير المسمى البحر المحيط (د. ط) بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٩٠م.

خزيمة - محمد بن إسحاق بن خزيمة السُّلمي أبو بكر - صحيح ابن خزيمة (د. ط) بيروت - المكتب الإسلامي - ١٩٩٢م.

خطيب - عبد الكريم الخطيب - النبي محمد ﷺ إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد وليّ الدين الحضرمي الإشبيلي تاريخ ابن خلدون (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ٢٠٠٢م.

خليل - عماد الدين خليل المستشرقون سيرة النبوة بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات بيروت دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ. خوجة - خوجة كمال الدين المثل الأعلى في الأنبياء ﷺ (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

دارمي - عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي الدارمي السمرقندي - أبو محمد - سنن الدارمي (د. ط) بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩٦.

داود - بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر السجستاني - المصاحف (د. ط) بيروت - دار البشائر الإسلامية - ٢٠٠٢م.

داود - سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني أبو داود - أبو داود (د. ط) بيروت - دار إحياء التراث العربي (د. ت).

داود - محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعيّ الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين - سنن أبي داود (د. ط) بيروت - دار إحياء التراث العربي (د. ت)

ذهبي - محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

ذهبي - محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله - سير أعلام النبلاء (د).
ط) بيروت - دار الفكر - ١٩٩٧م.

رامهرمزي - الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي الرامهرمزي - أمثال الحديث (د، ط)،
(د، م)، (د. ن)، (د. ت).

ربابعة - أمجاد الربابعة - مباحث في الإستشراق (د. ط) السعودية - جامعة الملك سعود
١٤٣٦هـ.

رضا - محمد رشيد رضا - الشمائل المحمدية (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

رفاعي - توفيق بن خلف الرفاعي - لك القرار (د. ط) القاهرة - دار الآثار - ٢٠٠٩م.

زبخشري - محمود بن عمر الخوارزمي الزبخشري جار الله أبو القاسم - الكشف عن حقائق
التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (د. ط) بيروت - دار الفكر (د. ت).

زبخشري - القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزبخشري جار الله - ربيع الأبرار ونصوص
الأخيار (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

سالمي - عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (د. ط) عمان
- مكتبة الإمام نور الدين السالمي - ١٩٩٥م.

سخاوي - محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي الشافعي شمس الدين أبو الخير أبو عبد الله
- المقاصد الحسنة (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ٢٠٠٣م.

سعد - محمد بن سعد بن منيع الزهري مولاهم أبو عبد الله - الطبقات الكبرى لابن سعد
(د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

سهيلي - عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الحنطلي السهيلي - الروض الأنف (د. ط) بيروت
- دار الكتب العلمية - ١٩٩٩م.

سيبويه - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البصري - كتاب سيبويه (د. ط)
بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٩م.

سيد - سيد رضا - سيدنا محمد ﷺ (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

سيوطي - عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن همام الخضيرى السيوطي جلال الدين - جامع
المسانيد والمراسيل جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير (د. ط) بيروت

- دار الفكر - ١٩٩٤م.

شايب - خضر شايب - نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر (د، ط)، (د، م)،
(د. ن)، (د. ت).

شنقيطي - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني - الشنقيطي أضواء البيان
في إيضاح القرآن بالقرآن (د. ط) بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٩٦م.

شيباني - المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري مجد الدين - أسد الغابة في معرفة الصحابة
ﷺ (د. ط) بيروت - دار المعرفة - ١٩٩٧م.

شيبية - عبد الله بن محمد بن أبي شيبية العبسي مولاها الكوفي أبو بكر - المصنف في الأحاديث
والآثار (د. ط) بيروت - دار الفكر - ١٩٩٤م.

شيرازي - إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزبادي الشيرازي أبو إسحق جمال الدين - طبقات
الفقهاء (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

صفدي - خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي صلاح الدين - الوافي بالوفيات (د، ط)،
(د، م)، (د. ن)، (د. ت).

طبراني - سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم - معجم الطبراني
الأوسط (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).

طبراني - سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم - المعجم الكبير
(د. ط) العراق الموصل - مطبعة الزهراء الحديثة (د. ت).

طبري - محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر - تاريخ الطبري (د، ط)، (د، م)،
(د. ن)، (د. ت).

طيالسي - سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش أبو داود الطيالسي - مسند الطيالسي
(د. ط) بيروت - دار المعرفة (د. ت).

عبد الرزاق - محمد بن إسماعيل الحسني الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم عز الدين المعروف
كأسلافه بالأخير - مصنف عبد الرزاق (د. ط) - بيروت - دار الفكر - ١٩٨٩م.

عبد ربه - أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حُدَيْر بن سالم أبو عمر - العقد الفريد (د. ط) -
بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٧م.

عتيبي - هيا العتيبي - تقرير موجز عن المستشرق مونتجمري وات (د. ط) السعودية -
جامعة الملك سعود (د. ت).

عجلوني - إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي أبو الفداء - كشف
الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (د. ط) دار التراث -
٢٠٠١م.

عجلي - أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي - ثقات العجلي.
عساكر - علي ابن الشيخ أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين - تاريخ دمشق
- لابن عساكر (د. ط) بيروت - دار إحياء التراث العربي - ٢٠٠٣م.

عسقلاني - أحمد بن علي بن محمد الكناي عسقلاني أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر -
الإصابة في تمييز الصحابة (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٥م.

عمري - أكرم ضياء العمري - السيرة النبوية الصحيحة (ط: ٦) السعودية - مكتبة العلوم
والحكم - ١٩٩٤م.

عمري - أكرم ضياء العمري - موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية (د، ط)، (د،
م)، (د. ن)، (د. ت).

عيني - محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد بدر الدين العيني الحنفي - عمدة القاري
شرح صحيح البخاري (د. ط) بيروت - دار إحياء التراث العربي - ٢٠٠٣م.

فخر - الرازي محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي أبو عبد الله - تفسير الفخر الرازي
(د. ط) بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٩٥م.

قدورة - زاهية مصطفى قدورة - عائشة أم المؤمنين (د. ط) لجنة البيان العربي -
١٣٦٦هـ.

قرطبي - يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي المالكي أبو عمر - الإستيعاب في معرفة
الأصحاب (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٥م.

قرطبي - محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي - الجامع لأحكام
القرآن " تفسير القرطبي " - بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٨٥م.

قضاعي - محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي المصري الشافعي - مسند الشهاب
(د. ط) بيروت - مؤسسة الرسالة (د. ت).

قلقشندي - أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (د. ط)
دار الكتب العلمية (د. ت).

قورشة وهاكوز - أمجد قورشة، وسوسن هاكوز - المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من
الإسلام من حيث الإنصاف وعدمه مونجمرى وات أنموذجًا فيما يخص العلاقة التاريخية
بين القرآن واليهودية والمسيحية (د. ط) الأردن - بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الأردنية
- ٢٠١٤م.

كثير - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري دمشقي أبو الفداء عماد الدين - البداية
والنهاية (د. ط) بيروت - مكتبة المعارف - ١٩٨٨م.

كثير - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري دمشقي عماد الدين - تفسير القرآن
العظيم (د. ط) بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٨٥م.

لخمي سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم - مسند الشاميين (د. ط)
بيروت - مؤسسة الرسالة (د. ت).

ماجة - محمد بن يزيد الرّبيعي القزويني أبو عبد الله ابن ماجه - سنن ابن ماجة (د. ط) بيروت
- دار إحياء التراث العربي.

مباركفوري - صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (د. ط) دار الوفاء، ٢٠٠٧م.

متقى - علي بن حسام الدين علاء الدين الهندي الشهير بالمتقى نزيل الحرمين - كنز العمال
في سنن الأقوال والأفعال (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية (د. ت).

مسلم - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - صحيح مسلم (د. ط) بيروت
- دار الكتب العلمية - ١٩٩٢م.

منده - محمد بن يحيى بن منده - الإيمان (د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ٢٠٠١م.

ندوي - سليمان الندوي - الرسالة المحمدية (ط: ٢) مصر - الدار - ١٩٨٤م.

نسائي - أحمد بن علي بن شعيب بن بحر أبو عبد الرحمن النسائي - فضائل الصحابة ﷺ
(د. ط) بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٨٦م.

- نسفي - عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات حافظ الدين - تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل (د. ط) لبنان - دار النفائس - ١٩٩٦ م.
- نعيم - أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم - تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).
- نعيم - أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم - معرفة الصحابة ﷺ (د. ط) - بيروت - دار الكتب العلمية - ٢٠٠٢ م.
- نعيمي - عبد الله محمد الأمين النعيمي - الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية (ط: ١) المعهد العالمي للفكر الإسلامي - ١٩٩٧ م.
- نويري - أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبادة البكري النويري الشافعي - نهاية الأرب في فنون الأدب (د، ط)، (د، م)، (د. ن)، (د. ت).
- هشام - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري جمال الدين - السيرة النبوية (د. ط) بيروت - دار الجيل (د. ت).
- هيثمي - علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي أبو الحسن نور الدين المصري القاهري - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (د. ط) بيروت - دار الفكر - ١٩٩٤ م.
- وات - وليام مونتجمري وات - محمد ﷺ في مكة (د. ط) مصر - الهيئة العامة للكتاب المصري ١٤١٥ هـ.
- واحدي - علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي - أسباب النزول (د. ط) بيروت - دار المعرفة - ٢٠٠٠ م.
- مكتب التربية العربي لدول الخليج المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم - مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، (د. ط) تونس - مكتب التربية العربي لدول الخليج المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم - ١٩٨٥ م.
- بشار عواد معروف وآخرون - المسند الجامع (د. ط) بيروت - دار الجيل - ١٩٩٣ م.
- [.https://ar.wikipedia.org](https://ar.wikipedia.org)
- [.https://www.marefa.org](https://www.marefa.org)

[.http://audio.islamweb.net](http://audio.islamweb.net)
[http://rasoulallah.net.](http://rasoulallah.net)
[.http://web.macam.ac](http://web.macam.ac)
[.http://www.ahlalhdeeth.com](http://www.ahlalhdeeth.com)
[.http://www.dorar.net](http://www.dorar.net)
[https://ar.wikisource.org/wiki.](https://ar.wikisource.org/wiki)
[https://books.google.ae.](https://books.google.ae)
[.https://www.goodreads.com](https://www.goodreads.com)
<https://www.rasoulallah.net>